

١٣/٥٥ - ٢٠٠٥

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

سجل تحت رقم: 685

تاريخ: 2008

الرقم:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

تلمسان

كلية الآداب واللغات

مكتبة اللغة والأدب العربي

قسم اللغة العربية وآدابها

الاستثناء في علم التجويد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغويات

إشرافه:

د. عبد الجليل مرتاض

الطالبة:

لطيفة عبو

أعضاء لجنة المناقشة:

جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	أ.د. محمد عباس
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	أ.د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	أ.د. المهدي بوروية
جامعة مستغانم	أستاذ محاضر	عضواً مناقشاً	د. مختار لزعر
جامعة ورقلة	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	أ.د. أحمد جلايلي
جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	أ.د. أحمد عزوز

السنة الجامعية: 1429-1430هـ / 2008-2009م



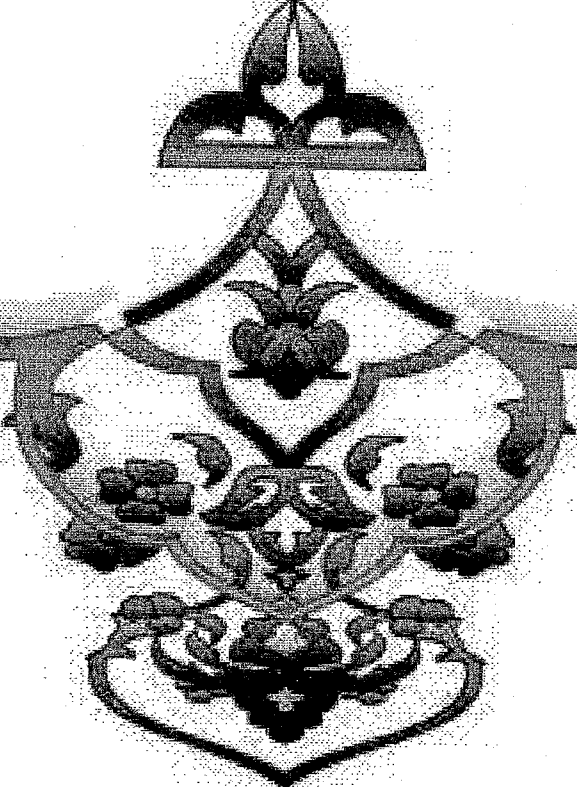
إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من حبب إليّ اللغة العربية...

إلى كلّ مهتمّ ومعتن بلغة القرآن الكريم والعروبة.

إلى والديّ.. وأساتذتي



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم سبحانه اللهم خير معلم علّمت بالقلم القرون الأولى، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد أفصح العرب والعجم وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

فجاءت معالم الدرس الصوتي العربي القديم مرتبطة بالدراسات اللغوية العربية الأولى، فما كتبه سيويه (ت. 180هـ) عن الأصوات العربية في باب الإدغام ضمن "الكتاب" أرسى أسس هذه الدراسة، وأعطاهم موضوعاتها وثبت مصطلحاتها، وعلى منوال سيويه واصل علماء العربية الأوائل، مثل المبرّد وابن السراج في بحثهما في أصوات العربية واستطاع ابن جنّي أن يجمع الموضوعات الصوتية في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" "والخصائص"، أشار فيهما إلى علم الأصوات والحروف، فكان الدرس في الصوت العربيّ عند علماء العربية مرتبطاً ببحث عدد من المسائل الصرفية التي اختلطت بالدراسة الصوتية مثل الإدغام والإبدال والإمالة، فكانت المباحث الصرفية واللغوية مختلطة بالمباحث الصوتية آنذاك، فلم تخط هذه الدراسة عند علماء العربية خطوة أخرى تكمل ما بدأه ابن جنّي ليكون علم الأصوات علماً مستقلاً عن النحو والصرف، وعليه ضعفت الدراسة الصوتية لدى علماء العربية المتأخرين وكانّ علماء التجويد حملوا عنهم عبء هذا البحث.

أحدث ظهور علم التجويد نقلةً نوعيّة في تاريخ الدرس الصوتي العربي، فقد استطاع علماء القراءة جمع كلّ ما له علاقة بالصوت في مباحث خاصّة وهي المباحث الصوتية، كما عملوا على صياغتها ضمن أطر جديدة شكّلت

مقدمة

الهيكل العام لعلم أصوات اللّغة العربية فكتب علماء التجويد موضوعات علم الأصوات في كتبهم، فقد ألف مكّي بن أبي طالب القيسي (ت. 437هـ) كتاباً في علم التجويد وسّماه "الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" فقال فيه: "وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تُدغم فيه الدّال وغيرها من الحروف، ممّا اختلف القراء فيه فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتب كتب تُحفظ منها الرّواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية وهذا كتاب دراية".

وعلى الرّغم من أنّ علم التجويد شارك علم القراءات في كون موضوعه ألفاظ القرآن إلّا فإنّه يُعنى بحقائق النّطق ويبحث في طبيعة الأصوات وخصائصها، بينما يعنى علم القراءات باختلاف وجوه النّطق المروية عن القراء، ووَصَفُ مكّي لكتب القراءات بأنّها كتب رواية وكتب التجويد بأنّها كتب دراية، لا يعنى الانفصال بين الدّراية عن القراءات أو الرّواية عن التجويد، فالدرّاية معناها الفهم والتعقّل للمرويّ، وليس الخروج عليه، فالقراءات تُؤخذ رواية أي عن طريق الحفظ، وقواعد التجويد تعتمد على الدّراية أي على التفهّم للأحكام وتفسير العلل التي أدّت إليها، فهناك فرق بين الأحكام الصوتية وبين البحث في عللها، والحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها، فالأحكام الصوتية مرتبطة بالرّواية التي يجب الحفاظ عليها والتمسك بها، أمّا البحث في العلل وتحديد المخارج والصفّات فإنّه يمكن أن يكون موضوع خلاف بين العلماء تماشياً لاختلافهم في الفهم وقوّة النّظر.

فإنّ العلماء لم يشيروا عبثاً إلى أنّ معرفة علم التجويد فرض كفاية، والعمل به فرض عين، لأنّ درس الأحكام والتأليف فيها من واجب العلماء، أمّا الالتزام بالقراءة الصّحيحة وأحكامها فإنّه أمر يتعيّن على كلّ من قرأ القرآن الكريم، وقد وردت أحاديث نبويّة شريفة كثيرة في بيان فضل القرآن الكريم والحثّ على تلاوته، ومن هذه الأحاديث قول رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلّم القرآن وعلمه"، وقوله ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلّا نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة وحفّت بهم الملائكة وذكّروهم الله فيمن عنده"، وقوله ﷺ: "لا حسد إلاّ في اثنين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه أثناء الليل وأثناء النهار، فسمعه جارا له، فقال: ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل، ورجل أتاه الله ما لا فهو يهلكه في الحقّ، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل".

ولقد اعتنى العلماء بموضوع تلاوة القرآن الكريم وحكم تعلّم تجويده،

وقد أشار ابن الجزري إلى ذلك في المقدّمة فقال:

"والأخذ بالتجويد حتم لازم
لأنّه به الإله أنزلاً
هو أيضاً حليّة التلاوة
من لم يجود القرآن آثم
وهكذا منه إلينا وصلأ
وزينة الأداء والقراءة"

مقدمة

واستثنى بن الجزري من هذا الحكم من لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه إلى الصواب، فقال: فإنّ حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حقّ تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً. فكما أنّ القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأوّل، فكذلك التجويد، فأحكامه مضمّنة في القراءات المروية، ولا أحد يقول بإمكان تغيير حركات الإعراب، فكذلك لا أحد يقول بتغيير أحكام التجويد من إدغام وإخفاء أو ترقيق وتفخيم أو مدّ وقصر إلّا ما استثنى من تلك الأحكام، وعليه بنيت موضوع بحثي هذا تحت عنوان "الاستثناء في علم التجويد".

إنّ المتفحص لقواعد علم التجويد الكليّة يجدها خليطاً من علوم عديدة لسانية وشرعية وتقنية، شاركت جميعها في بلورة هيكل علم التجويد العام وبناء صرحه المتين، فالتأمّل لتلك القواعد يجد الاستثناء يكاد يشمل كلّ قواعد حيث تخرج بعض الكلمات أو المواضع أو الحالات من تلك الأحكام الكليّة وذلك لأسباب كثيرة، منها الأسباب اللسانية كالصوتية أو الصّرفية، ومنها غير اللسانية كرسم المصحف مثلاً والتواتر.

وعلى الرّغم من أنّني في زماننا لاحظت العناية الكبيرة التي حظي بها علم التجويد من دارسين متخصصّين، وظهور وسائل حديثة للتعلّم والتعليم باستخدام أجهزة التسجيل المسموعة والمرئية، ومختبرات الصوت، ومحطّات البثّ الفضائيّ، بالإضافة إلى حلقات التعلّم على يد المشايخ في المساجد، وعلى الرّغم من هذه المكانة التي يحتلّها علم التجويد والمساحة الواسعة من النشاط التي

مقدمة

يشغلها فإنني وجدت عدم الاعتناء بمؤلفات هذا العلم الأولى وقصورا في مواكبة ما استحدث في دراسة علم الأصوات اللغوية، حيث لم يعد مقبولا إطلاقا اليوم وفي خضمّ تطوّر الدرس اللغوي الحديث أن يقبل ذلك الانفصام بين العناصر اللسانية التي تُشكّل تواصلنا، ولم يعد مقبولا إطلاقا أن يُفصل بين التراث اللغوي بكلّ ما يحويه من عناصر تدخل في تعاملنا وأحكامنا الشرعية، ولا يحسب أنّ الإنسان في مقدوره اليوم أن يفهم الأحكام الشرعية فهما صحيحا إذا لم يستند إلى كلّ ما يمتّ بصلة إلى هذه التراكيب اللغوية، ومن ثمّ أثارت هذه المسألة اهتمامي فرأيت أن تكون موضوعاً لرسالتي، الهدف منها استنباط العلل وتصنيفها لغويا مع إبراز العلاقة الكامنة بين القاعدة والأداء.

واقضى منّي هذا التصوّر أن أقسّم الموضوع إلى بابين: الباب الأوّل؛

غنوته بعلم التجويد: أسسه ومصادره، واحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: عنوانه التاريخ لعلم التجويد، تناول الدراسات الصوتية

الأولى واختلاطها بالكتب اللغوية العربية من صرف ونحو، وهذه تعدّ المرحلة

الأولى من علم التجويد، أمّا ما كتبه مواليا كان حول المؤلفات الأولى لعلم

التجويد كعلم مستقلّ، وتعدّ القصيدة الخاقانية لأبي مزاحم الخاقاني أوّل مؤلّف

في هذا العلم، وبعده تحدّثت عن مصطلح التجويد، وأخيرا كان الحديث عن

المؤلّفات التي ألّفت بعد زمن أبي مزاحم الخاقاني، ليعقب ذلك المؤلفات في

الزمن الحديث.

أمّا الفصل الثاني؛ فوسمته بمخارج الأصوات وصفاتها وموقعها في علم التجويد، وفيه تحدّثت عن الجهاز النطقي للإنسان، وكيفية حدوث الصّوت اللّغوي. في حين أنّي وسمت الفصل الثالث بالقواعد الكلّية لعلم التجويد، حيث كان الحديث مستفيضا فيه لأنّ موضوع القواعد موضوع واسع ومتشعب، فلم أترك قاعدة إلاّ وحاوت أن أعرفها وأورد فيها نصوصا تطبيقية.

وجاء الباب الثاني؛ تحت معنونا علل الاستثناءات في علم التجويد، فقسّمته إلى ثلاثة فصول أيضا:

فكان الفصل الأوّل بعنوان الاستثناء في قواعد اللّغة العربيّة، وفيه كان الحديث عن معنى الاستثناء لغة واصطلاحا، ثمّ عن الاستثناء في النّحو والصّرف، أمّا الفصل الثاني الموسوم بالاستثناء في الأحكام الشرعية، فتحدّثت فيه عن نظرة أهل الفقه إلى الاستثناء الوارد في الآيات القرآنية مع تنوّع الأحكام الشرعيّة المستنبطة منها على حسب المذاهب الشرعية المعروفة، كالمالكية والشافعية والحنبلية والحنفية في المواريث والحدود.

أمّا الفصل الثالث فحوى تصنيف حقائق المستثنيات في علم التجويد، وربما كان هذا الفصل أكثر تميّزا عن الفصول السّابقة لاهتمامه بذكر القاعدة واستخراج الاستثناء وعلته.

وأخيرا شعرت وأنا أعالج مسألة تلو مسألة في هذا البحث بلدّة الدّراسة والتنقيب عن الرّوابط اللّغوية المتمثّلة في روابط صوتية وأخرى صرفية في أسمى نصّ هو نصّ القرآن الكريم، الذي يلتقي فيه علم التجويد وعلم القراءات وبين

علوم اللغة العربية وما تتأسس عليه الدراسة في زمننا المعاصر وهي الدراسة اللسانية، وفي الأخير توصلت إلى نتائج علمية وأخرى تراثية، وفرضت عليّ طبيعة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي للقواعد الكلية ثم استنباط الاستثناء من النصّ القرآنيّ الكريم وعملية التصنيف اللغوي لكلّ استثناء.

أمّا عن الكتب والمراجع التي اعتمدت عليها، فقد تنوّعت بين الكتب القديمة وأخرى حديثة عربيّة ومترجمة، وكان من أبعدها أثرا في نفسي "علم التجويد دراسة صوتية ميسرة"، و"أبحاث في علم التجويد" غانم قدوري الحمد، و"الكتاب" لسيويو، و"الاستغناء في الفرق والاستثناء" لمحمد بن سليمان البكري، و"الاستغناء في الاستثناء" لعبد الرحمن القرافي، و"البحر المحيط" لأبي حيان التوحيد، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، و"الصوتيات العربية" لمنصور بن محمّد الغامدي، و"علم اللغة" لمحمود السّعران، و"الأصوات اللّغوية" لإبراهيم أنيس، و"الإيضاح في القراءات العشر" لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، و"نهاية القول المفيد في علم التجويد" لمحمّد مكّي، والكشف عن وجوه القراءات السّبع" لمحمّد مكّي القيسي وغيرها من المصادر والمراجع الحديثة المثبّته في نهاية الرسالة.

وفي الختام أتوجّه بوافر الشكر وخالصه إلى المشرف أستاذي الدكتور عبد الجليل مرتاض الذي تابع هذا البحث منذ تولّيه الإشراف عليه حتّى استوى في صورته التي هو عليها الآن، فكنت أعود إليه كلّما ضاقت بي السُّبل، فإليه أوجّه شكري الجزيل، وإن كنت أعلم أنّي أوفيه حقّه حتّى ولو حبست عليه

مقدمة

لساني، وإلى كل من قدّم لي المساعدة من قريب أو بعيد فإليهم جميعاً شكري وتقديري، كما أقدم شكري إلى اللجنة الموقرة التي تتولّى عملية تقويم ومناقشة هذا العمل المتواضع.

ثم إنّي أسأل الله تعالى أن ينتفع بجهدى هذا كلّ طالب علم وأن يكون خالصاً له وحده والحمد لله ربّ العالمين.

لطيفة عبّو

تلمسان يوم، الاثنين 06 ذو الحجة 1430 الموافق لـ 23 نوفمبر 2009.

المبانيج الأول

علم التجويد أسسه ومصادره

الفصل الأول: نشأة علم التجويد.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها وموقعها في علم التجويد.

الفصل الثالث: القواعد الكلية لعلم التجويد.

المفصل الأول

نشأة علم التجويد

- 1- كتابة القرآن ورسمه.
- 2- البدايات الأولى لعلم التجويد.
- 3- علم القراءات.
- 4- تأثير القصيدة الخاقانية في التأليف في علم التجويد.

1- كتابة القرآن ورسمه:

1-1 مراحل كتابة القرآن وجمعه:

مرّت كتابة القرآن وجمعه بثلاثة مراحل: أوّلها في زمن الرّسول ﷺ، وثانيها في زمن خلافة أبي بكر الصّدّيق، وثالثها في زمن خلافة عثمان بن عفّان، ولسنا بحاجة هنا الدّخول في تفسير تلك المراحل وإثما الذي يهمنّا هو تتبّع الأسس التي قامت عليها كتابة القرآن ومدى انعكاسها على اللّغات (الأحرف السبعة) للقراءات القرآنية.

المرحلة الأولى: عرفت هذه المرحلة بكتابة القرآن الكريم من لدن الصّحابي الجليل زيد بن ثابت وهو أشهر كتّاب الوحي في حياة رسول الله ﷺ، حيث اختصّ بهذا العمل، فهو يقول: "كنت جار رسول الله ﷺ فكان إن نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي" (1).

إنّ بيت زيد بن ثابت كان قريبا من بيت رسول الله ﷺ وكان يحتفظ في بيته بأدوات الكتابة، فكان إذا نزل الوحي قال رسول الله: "أدع لي ريّداً وليجئ باللّوح والدّواة" (2).

وفي هذه المرحلة كان التدقيق والمتابعة والمراجعة من لدن النبيّ ﷺ بالكتابة مباشرة، يقول زيد بن ثابت: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ"

(1) - المصاحف: أبو داوود (عبد الله بن سليمان) - تحقيق آرثر جيفري - المطبعة الرحمانية - مصر - 1936م - ص 3.

(2) - الجامع الصّحيح: البخاري (محمّد بن إسماعيل) - طبع محمّد علي صبيح - القاهرة - د.ت - ج 6 - ص 227.

وهو يملي عليّ، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرؤه، فإن كان فيه بسط أقامه ثم أخرج به إلى الناس⁽¹⁾.

توفي رسول الله ﷺ والقرآن الكريم لم يُجمع في صحف حيث بقي في الرّقاع^(*) والكرائف والعسب^(*)، ففي هذه المرحلة كان القرآن الكريم يكتب بإملاء الرسول ﷺ ويقرؤه زيد بن ثابت بعد الفراغ من الكتابة للتأكد من صحّة المكتوب، ولم يكن صعبا على زيد بن ثابت أن يفهم نطق الرسول ﷺ، فلم تكن الفوارق اللغوية كبيرة بين لغة قريش ولغة أهل المدينة وكلاهما تعودان إلى اللغة الحجازية؛ أي إلى مجموعة لغوية واحدة، وفي هذه المرحلة لم يدخلها شيء من قضية الأحرف السبعة التي كانت علاقتها بقراءة القرآن الكريم لا بكتابته.

المرحلة الثانية: جمع القرآن الكريم بعد أن كان مفرقا في الرّقاع في صحف، وتولّى مهمّة الجمع كاتب الوحي زيد بن ثابت، حيث قال فيه أبو بكر: "إنك رجل شاب، عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه"⁽²⁾، وكان ذلك بعد حروب الردّة ومعركة اليمامة خاصة.

(1)- المعجم الكبير: الطبراني- تحقيق أحمد عبد المجيد السلفي الزّهران- بغداد- ط2- 1984- ج5- ص142.
 (*)- الرّقاع: جمع رقعة وهي القطعة من الجلد (ينظر: دليل الحيران على مورد الظمان في فنّ الرسم والضبط- محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي- تحقيق عبد السلام محمد البكاري- دار الحديث- القاهرة- 2005- ص39.

(*)- العسب: جمع عسيب وهو جريدة من النخل مستقيمة دقيقة مُزَالٌ خَوْصُهَا. (ينظر: دليل الحيران على مورد الظمان في فنّ الرسم والضبط- المرجع نفسه- الصفحة نفسها).

(2)- ينظر: الجامع الصحيح: البخاري- 89/6 و92/9.

كان هدف أبي بكر من ذلك جمع القرآن الكريم في صحف منظمة يؤمن معها ضياع شيء من القرآن الكريم، وما قام به زيد بن ثابت سوى نقل الرقاع المتفرقة إلى صحف متتابعة يضمها لوحان، فما كتب بين يدي الرسول ﷺ من القرآن الكريم كان بلسان قريش، ولم تدخله آثار الأحرف السبعة، فكانت صحف تابعة للأصل الذي نقلت منه.

المرحلة الثالث: اختلف الهدف من الجمع على المراحل الأولى السابقة فأبو بكر الصديق، انطلق في جمعه للقرآن الكريم من الإحساس بالخوف من ضياع شيء منه، بسبب موت حملته وحفاظه، أما عن عثمان بن عفان فانطلاقته في عملية الجمع كانت من الخوف عن اتساع بلاد الإسلام وتضاعف عدد المسلمين واحتياجهم إلى من يعلمهم القرآن الكريم؛ وتولّى علماء القراءة من الصحابة، فأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه المعلمين من الأمصار لتعليم القرآن الكريم، فكان زيد بن ثابت، وأبي بن كعب في المدينة، أما عبد الله بن مسعود فكان في الكوفة، وأبو موسى الأشعري في البصرة، أما عن أبي الدرداء فكان في دمشق، ومعاد بن جبل في فلسطين، وآخر وهو عبادة بن الصامت في حمص⁽¹⁾.

واستغرق ذلك معظم خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي أبدى اهتماما عظيما بتعليم الناس القرآن والفقهاء ولقد نتج عن تعليم القرآن أمور تتلخص في مايلي:

(1) - ينظر: الطبقات الكبرى- بن سعد (محمد)- دار صادر- بيروت- 1957- ج6- ص7 وج2-

"ظهر الخلاف في القراءة لأنهم استمروا في القراءة بالوجوه التي كان يقرأ بها الصحابة، في رخصة الأحرف السبعة، لكن الأجيال اللاحقة لم تكن تدرك ما أدركه الصحابة من حكمة تلك الرخصة، فاشتدَّ الخلاف بين المعلمين والمتعلمين وجعل بعضهم يخطئ في قراءة الآخر"⁽¹⁾.

كما ظهرت في الأمصار مصاحف مكتوبة على قراءة الصحابة الذين أخذوا عنهم القرآن وقال ابن عطية: "واشتهر في خلال ذلك صحف^(*) في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف^(*) ابن مسعود، وما كتبت عن الصحابة في الشام، ومصحف أبي بن كعب، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها"⁽²⁾.

وذلك مما دفع عثمان بن عفان في التفكير في جمع الأمة على مصحف واحد بعد أن بلغه اختلاف الناس في القراءة بعد استشارة الصحابة الذين كانوا في المدينة فجمعه جمعاً ثانياً في مصحف بعد جمع أبي بكر الصديق. ولقد كلف عثمان بن عفان لهذا العمل أي (جمع القرآن من الصحف) إلى مصحف، أربعة من الصحابة من ذوي الحفظ والمعرفة بالكتابة وهم: زيد بن

(1) - ينظر: المصاحف - ابن أبي داود - ص 13-14.

(*) - الصحف: الأوراق المجردة التي جمع فيها الآن في عهد أبي بكر الصديق، وكان سرا مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفاً.

(*) - المصحف: مثلث الميم، اسم أعجمي معناه جامع الصحف. (ينظر: دليل الحيران - بن إبراهيم الشريشي - ص 40).

(2) - المصاحف: المرجع السابق - ص 14.

ثابت الأنصاري^(*)، وثلاثة من أبناء المهاجرين من قريش وهم: عبد الله بن الزبير^(*)، وعبد الله بن عمرو بن العاص^(*)، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(*)، وقد حدّد الخليفة لهؤلاء اللّغة الّتي يكتبون بها المصحف حتى يثبت نص القراءة، فجاء في تلك الرواية: "وقال عثمان لنفر القريشيين الثلاثة: إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم"⁽¹⁾.

فسرّ علمُ الدّين السّخاوي عبارة (بلسان قريش) "يريد لحنهم ولسانهم ولغتهم"⁽²⁾، لأنّ الخلاف كان في القراءة والنطق وليس في مصطلح الرسم، وحين عرضوا المصاحف وتوقفوا عن بضعة كلمات منها، (التابوت) و(التابوه)

(*)- زيد بن ثابت: أبو سعيد الأنصاري الخزرجي المقرئ، كاتب وحي نبيّ ﷺ أمره النبيّ أن يتعلّم خط اليهود فجاد الكتابة، وكتب وحفظ القرآن وأتقنه وأحكم الفرائض، وشهد الخندق وما بعدها، وأمره أبو بكر الصديق يجمع القرآن ثم عينه الخليفة عثمان رضي الله عنه بكتابة المصحف وثوقاً بحفظه وأمانته وحسن خطّه...

(*)- عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة شهد فتح إفريقيا في خلافة عثمان، وبويع الخلافة سنة 64هـ وكان بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي حروب انتهت بمقتل عبد الله بن الزبير سنة 73هـ. بمكة، روي له في كتب الحديث 33 حديثاً.

(*)- عبد الله بن عمرو بن العاص: أبو عبد الرحمن، وأبو محمد القرشي أحد المهاجرين قبل الفتح كتب عن النبيّ ﷺ كثيراً توفي بمصر 65هـ.

(*)- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: فهو من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ الذين كتبوا المصاحف في عهد عثمان توفي سنة 93هـ. (ينظر: هامش دليل الحيران- بن إبراهيم الشريشي- ص41).

(1)- فتح الباري في صحيح البخاري: ابن حجر - 226/6.

(2)- ينظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير (القراءات القرآنية، رسم المصحف، علم

التجويد)- غانم قدوري- دار عمّار- الأردن- ط1- 2007- ص54.

سألوا علماء القراءة عنها مثل أبي بن كعب وزيد بن ثابت، لتحقيق كيفية النطق وليس لمعرفة شكل الكتابة"⁽¹⁾.

إن القرآن الكريم نزل بلغة قريش خاصة وأمر رسول الله ﷺ كتاب الوحي بكتابه على نطقه في الرقاع والعسب التي نُقلت بعد ذلك في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق^(*) -رضي الله عنه- ثم نقلت الصحف في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان^(*) -رضي الله عنه- وجاءت الرخصة في القراءة لتيسير القراءة على الصحابة الذين شق عليهم التحول من لغتهم إلى لغة قريش، مع غلبة الأمية وضعف وسائل التعليم، وهذا حديث النبي ﷺ "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"⁽²⁾.

1-2 الرسم العثماني وعلاقته بكتابة القرآن الكريم

الرّسم في اللّغة هو الأثر والمراد به هنا مرسوم القرآن الكريم يعني حروفه المرسومة، ومراده بأصل الرسم ما يعتمد في كفيّاته ويرجع عند اختلاف المقارئ إليه⁽³⁾.

(1) - ينظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير- غانم قدوري الحمد- ص54.

(*) - أبو بكر الصديق: خليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار وهو عبد الله بن أبي قحافة.

(*) - أمير المؤمنين عثمان بن عفان: أبو عمرو الأموي ذو النورين ومن جمع الأمة على مصحف واحد هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، روى جملة كثيرة من العلم، وكان من الصادقين المنفقين في سبيل الله، استشهد يوم الجمعة 18 ذي الحجة سنة 35هـ وكانت خلافته 12 سنة. (دليل الحيران: إبراهيم الشريشي - ص36، 40).

(2) - فتح الباري في صحيح البخاري: ابن حجر - 227/6.

(3) - ينظر: دليل الحيران - بن إبراهيم الشريشي - ص36.

ارتبط اسم سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه بالمصاحف التي كتبها الصّحابة في خلافته، حيث أمر هذا الأخير بتشكيل لجنة رباعية من خيار حفاظ الصّحابة وكتّابهم، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، فتمّ نسخ خمسة مصاحف موثقة وزّعت في المدن الرئيسية، وهي مكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة، ويعود أصل المصاحف العثمانية إلى الصّحف التي جُمع فيها القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الرّقاع التي كتب فيها في زمن النبي ﷺ.

فالمصاحف العثمانية هي عين ما كتب في زمن الرّسول ﷺ بعدما جمع القرآن في الصّحف في خلافة أبي بكر الصديق ولكن نسبت المصاحف إلى سيّدنا عثمان بن عفّان لأنّ ذلك تمّ في خلافته وبأمر منه⁽¹⁾.

1-3 خطّ المصاحف العثمانية:

"كتبت تلك المصاحف جميعا بالخطّ الكوفي القديم، وظلّت الكتابة بالخطّ الكوفي مفضّلة لدى الناس حتّى تحوّلوا عنها إلى خطّ النسخ في القرن الرابع الهجري لكونه أكثر وضوحا وأبعد عن الالتباس"⁽²⁾.

لقد أثار رسم المصاحف العثمانية ظاهرة اعتنى بها علماء القرآن وكتّاب المصاحف وعلماء اللّغة، وأخذت دراسة خاصّة تمثّلت في "علم رسم المصحف" الذي كتبت فيه عشرات المؤلّفات منذ بدأ تدوين العلوم الإسلامية. ومن المباحث التي يثيرها رسم المصاحف أنّ الخطّ المثبت فيها يخالف النطق، ويخرج

(1)- ينظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير- غانم قدوري- ص 89. وينظر كذلك:

القراءات المتواترة وأثرها في الرّسم القرآني والأحكام الشرعيّة- محمد الحبش- ص 88.

(2)- القراءات المتواترة وأثرها في الرّسم القرآني والأحكام الشرعيّة- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

عن المعهود عند الناس في الكتابة؛ فمن الكلمات ما زيد في رسمه ومنها ما نقص منه، ومنها ما جاء مرسوماً بغير رمز... وصار مدار مباحث الرسم على خمسة فصول: الأول ما وقع فيه حذف، والثاني ما وقع فيه زيادة، والثالث ما وقع فيه من قلب حرف إلى حرف، أما الرابع فاختصّ بأحكام الهمزات، والخامس ما وقع فيه من القطع والوصل⁽¹⁾.

وللعلماء الذين تصدّوا إلى تعليل هذه الاختلافات في رسم كلمات المصحف مذاهب شتى، بعض منها لا يستند إلى أسس متينة، ومنها من حمل تلم الظواهر على خطأ الكاتب، كما كان تعليلهم لاختلاف الرسوم مبنياً على اختلاف أحوال معاني الكلمات، وهذه النظرية اشتهر بوضعها أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بابن البناء المراكشي (ت. 721هـ)، في كتابه المسمّى "عنوان الدليل في مرسوم خطّ التنزيل"⁽²⁾، ومن الأمور المهمة التي لها علاقة وطيدة باختلاف رسم المصحف والتعليل اللغوي لها هي:

أ- ثبات الرسم وتغيّر النطق: مثلاً في رسم المصحف تكتب (الصلاة والزكاة والحياة ومناة ومشكاة) بالواو بدل الألف، وقد علّل علماء اللغة العربية هذه الظاهرة بمجيء الرسم على لفظ التّفخيم للألف في نطق بعض العرب⁽³⁾. لكنّه يبدو تفسير هذا الرسم بالاستناد إلى ظاهرة احتفاظ الكتابة بصور نطقية قديمة أكثر قبولا من الأولى، فقد جاءت كلمة (مناة) مكتوبة في

(1) - الأجوبة العلمية: غانم قدوري - ص 91.

(2) - ينظر: الإتقان في علوم القرآن - السيوطي (جلال الدين) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار

التراث - القاهرة - ط 3 - 1405هـ - ج 2 - ص 212-213

(3) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

أكثر من نقش من النقوش النبطية التي يرجح أن الكتابة العربية انحدرت عنها، مكتوبة بالواو، هكذا (م ن و ت و) وورثت الكتابة العربية ذلك عنها⁽¹⁾.

ب- بناء الرسم على الوصل دون الوقف: لم يلتزم الكتاب وهم

يكتبون الكلمات على ما يقتضيه النطق بقاعدة بناء رسم الكلمة مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، فكانوا يستجيبون أحياناً لنطق الكلمة موصولة بغيرها، وعدم الالتزام بقاعدة موحدّة، أدّت إلى تعدّد صور رسم الكلمات، ولقد كان علماء الرّسم قد أدركوا ذلك وعلّلوا به بعض الظواهر: ففي رسم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانَ﴾⁽²⁾، علّل أبو عمرو الداني رسم (ترأى) بألف واحدة بعدة وجوه منها: سقوط الألف من اللفظ في حال الوصل لسكونها وسكون أوّل ما توصل به وهو اللام من (الجمعان)، فكما لزمها السقوط من اللفظ في حال الوصل كذلك أسقط من الرّسم، وذلك من حيث عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل دون الأصل والقطع، ألا ترى أنّهم حذفوا الألف والياء والواو في نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّةَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله أيضاً: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾⁽⁵⁾، وشبهه. لما سقطن من اللفظ لسكونهنّ وسكون ما بعدهنّ، وبنوا الخطّ على ذلك فأسقطوهنّ، فكما عومل

(1) - تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي - المجمع العلمي العراقي - بغداد - 1950-1951 - ج3 - ص299.

(2) - سورة الشعراء - الآية: 61.

(3) - سورة النور - الآية: 31.

(4) - سورة النساء - الآية: 146.

(5) - سورة الإسراء - الآية: 11.

اللفظ في هذه الحروف وبني الخطّ عليه فيهنّ كذلك عومل أيضا فيما تقدّم وبني عليه⁽¹⁾.

رسم النون الخفيفة ألفا ورسم التنوين نونا: يعلّل الداني رسم النون الخفيفة ألفا ورسم التنوين نونا بقوله " واجتمع أيضا كتاب المصاحف على رسم النون الخفيفة ألفا وجملة ذلك موضعان: في قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونُوا مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾⁽²⁾، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿لَتَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾⁽³⁾، وذلك على مراد الوقف...⁽⁴⁾.

وكذلك رسموا التنوين نونا في كلمة كائين في القرآن الكريم حيث وقعت وذلك على مراد الوصل، والمذهبان قد يستعملان في الرسم دلالة على جوازهما فيه، وكذلك رسم تاء التأنيث تاءً حيناً وهاءً حيناً آخر في مثل نعمت الله ورحمت الله... وأيضاً الهمز في مثل العلموا، والبلوا، من وراء حجاب ونبؤا الخصم، ومن نبأى المرسلين، وباب الوصل والقطع في مثل أن لا، وألا، وعن ما وعمّا، فإن لم وفالّم ونحو ذلك.

ومن الأمثلة التي توضّح ذلك رسم يا ابن أمّ المذكورة في المصحف، ففي قوله تعالى: ﴿إِبْنَ أُمَّ﴾⁽⁵⁾، جاءت مفصولة بناءً على قاعدة رسم الكلمة مبدوءاً

(1) - ينظر: الأجوبة العلمية - غانم قدوري الحمد - ص 96.

(2) - سورة يوسف - الآية: 32.

(3) - سورة العلق - الآية 15.

(4) - المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار - تحقيق محمد أحمد دهمان - دمشق - 1940 - ص 43-44.

(5) - سورة الأعراف - الآية 150.

بها وموقوفا عليها، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَبْنُومَ﴾⁽¹⁾، بناءً على اللَّفْظ والوصل فحذفت ألف (يا) وهمزة الوصل ورسمت الهمزة واوا على اللَّفْظ بها موصولة⁽²⁾.

ج- علامات الضبط: "كتبت المصاحف مجردة من علامات الحركات

ونقاط الإعجام، فلم يكن في الكتابة العربية في عصر تدوين القرآن الكريم علامات من أي نوع... وتكاد آراء الباحثين تتفق على أن أول من ابتكر طريقة لتمثيل الحركات في الكتابة العربيّة هو أبو الأسود الدؤلي (ظالم بم عمرو ت.69هـ) الذي اخترع نظام نقاط الحمر للدلالة على الحركات، فالفتحة نقطة فوق الحرف والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمّة نقطة أمام الحرف، وإذا كان مع الحركة تنوين جعل النّقطة نقطتين، وارتبط هذا العمل بظهور اللّحن ووقوع الخطأ في تلاوة القرآن الكريم فابتكر أبو الأسود الدؤلي هذه الطّريقة لضبط الكتابة وتيسير القراءة... لكنّ الكتاب وجدوا صعوبة في استخدام نظامين من النقاط بلونين من الحبر، فنصدّى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.170هـ) لحلّ هذه الصّعوبة، فابتكر طريقة جديدة للحركات باستخدام الحروف الصّغيرة المأخوذة من حروف المدّ وهي الضمّة والفتحة والكسرة التي لا تزال مستخدمة إلى يومنا، وأبقى نظام النّقاط المميّزة للحروف المتشابهة على ما كان عليه، واخترع إلى جانب ذلك علامات للهمزة والتشديد والرّوم والإشمام..."⁽³⁾.

من خلال ما سبق ذكره غلب استخدام مصطلح (علم النّقط والشّكل) على المؤلّفات الأولى، لكنّ المتأخّرين أطلقوا عليه مصطلح (علم الضبط) وكان

(1) - سورة طه - الآية 94.

(2) - ينظر: الأجوبة العلمية - غانم قدوري الحمد - ص 98.

(3) - المرجع نفسه - ص 106.

أشهر كتاب في هذا العلم كتاب الدّاني عنوانه "المحكم في علم نقط المصاحف" لكنّ تلميذه أبا داوود سليمان بن نجاح (ت.496) سمّى مؤلّفه كتاب "أصول الضّبط" وقال التنسي (ت.899هـ) في كتابه "الطّراز في شرح ضبط الخراز": "اعلم أنّ خطوط المصاحف يتكلّم عليها بوجهين أحدهما ما يرجع إلى بيان الزائد والتّاقص والمبدل وغيره والموصول وغيره وهو المسمّى بـ(علم الرّسم) والوجه الثّاني ما يرجع إلى علامة الحركة والسّكون والشّد والمدّ والسّاقط والزائد وهو المسمّى بـ(علم الضّبط)..."⁽¹⁾.

لم يقف الضّبط عند ما اخترعه الدّوّلي والخليل من العلامات فقد استحدث العلماء المتأخّرين علامة للسّكون وعلامة للمدّ وهمزة الوصل... والحاجة إلى هذه العملية لتلك العلامات هي تيسير القراءة وضبطها على القراء عامّة والمجودين خاصّة.

2- البدايات الأولى لعلم التجويد:

اهتمت بدراسة الأصوات العربية طوائف من علماء السلف أشهرهم النحويّون واللّغويّون، وعلماء قراءة القرآن الكريم، وهذه الطوائف وإن كانت جهودها متصلة إلا أنّ النحويين واللّغويين كانوا يعالجون الموضوع من خلال ما ورد إليهم من كلام العرب نثره وشعره، بينما كان علماء القرآن يدرسون الأصوات العربية ويطبّقونها على الأمثلة القرآنية بصورة خاصّة... وكانت رواية القراءات ودراستها والتأليف فيها خلال القرن الثّاني والثالث الهجري نشيطة وعميقة، لكن ذلك كله لم يُنتج كتاباً مستقلاً في دراسة الأصوات العربية

(1) - الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير: غانم قدوري - ص 108-109.

حتى جاء أبو مزاحم الخاقاني المتوفى سنة 325هـ، فوضع اللبنة الأولى في هذا الاتجاه، حين نظم قصيدته في حسن أداء القرآن⁽¹⁾.

ومن الكتب التي ألفها علماء العربية في دراسة الأصوات قبل أبي مزاحم الخاقاني هي:

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 170هـ) في مقدمة كتاب العين

عن مخارج الحروف وصفاتها.

2- باب الإدغام "الكتاب" لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت. 180هـ).

3- الأصوات العربية في "أبواب الإدغام" في كتاب "المقتضب" للمبرد (محمد بن يزيد ت. 285هـ).

أما علم القراءات يعتني بوجوه النطق المروية ويعرف بأنه العلم الذي يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً...⁽²⁾.

وورد في بعض مؤلفات علماء العربية القدماء أقوالاً تبين العلاقة القائمة

بين علم التجويد وعلم القراءات، يقول مكّي بن أبي طالب (ت. 437هـ):

"وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال وغيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتب تُحفظُ

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد- دار عمار- الأردن- ط1- 2002- ص12.

(2) - ينظر: القواعد المقررة والفوائد المحرّرة- البقرى (محمد بن قاسم إسماعيل)- تحقيق محمد بن إبراهيم

بن فاضل المشهداني- الرياض- ط1- 2005- ص21.

منها الرواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يُحَكَّمُ فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها فتلك كُتِبُ رواية وهذا كتابُ دراية⁽¹⁾.

وأورد محمد المرعشي (ت. 1150هـ) تلخيصاً من الفرق بين العلمين: "اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد، لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلاً يُعرَفُ في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي علم القراءة يعرف فحَمَها فلان ورقَّقها فلان، وبهذا يندفع ما عسى أن يقال: علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف، كالإدغام والإظهار، والمد والقصر، والتفخيم والترقيق وهي مباحث علم التجويد"⁽²⁾.

واعتنى هذا الأخير بإبراز حقيقة كلٍّ من علم التجويد وعلم القراءات بقوله: "إن قلت: ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفتها، فإذا ذكر شيء من ماهية صفات الحروف فهو تميم، إذ لا يتعلق الغرض به، وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تميم كذلك حُقِّق في الرعاية"⁽³⁾.

(1) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: القيسي (مكي بن أبي طالب) - تحقيق أحمد حسن فحات - توزيع دار الكتب العربية - مصر - ص 225-226.

(2) - ترتيب العلوم: المرعشي (محمد بن أبي بكر) - تحقيق نجلاء قاسم عباس - مركز إحياء التراث العلمي العربي - بغداد - د. ط - 1984 - ص 64.

(3) - جهد المقل: المرعشي - تحقيق سالم قدوري الحمد - دار عمار - الأردن - 1422هـ - 2001م - ص 110.

وعليه، كانت موضوعات علم التجويد جزءاً من كتب اللغة خاصة كتب النحو والصرف على نحو ما نبهه في كتاب (سيبويه ت. 180هـ) حتى مطلع القرن الرابع الهجري حاول علماء القراءة للقرآن استخلاص المباحث المتعلقة بأصوات العربية وكيفيات النطق بها، من كتب النحو وكتب القراءات فجمعوها في كتب خاصة مستقلة وقد أطلق عليها مصطلح علم التجويد. وعلم التجويد يرتبط بحقلين من علوم العربية الإسلامية: الحقل الأول: علوم اللغة، والثاني: علوم القرآن. لأن معظم قواعده المستنبطة ذات صفة لغوية، ومجال تطبيقاته تقع على نصوص الآيات القرآنية.

2-1 مصطلح علم التجويد:

"لم ترد في القرآن من مادة (التجويد) شيء في وصف القراءة، وكذلك لم توجد هذه الكلمة في (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) وهذا ما يستدل به على أن كلمة (التجويد) لم تكن معروفة في عصر النبوة بالدلول الذي صارت عليه فيما بعد"⁽¹⁾.

لكن وردت في المعجم العربي بعدد من الكلمات المشتقة منها، "الجيد نقيض الرديء، جاد الشيء جودة، وجودة أي فهو جواد أي سخي... الخ"⁽²⁾. حيث يقول الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): "إن التجويد مصدر جودت الشيء، ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه وبلوغ النهاية في تعيينه ولذلك يقال: جود فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً والاسم منه الجودة"⁽³⁾.

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص 59-60.

(2) - لسان العرب: ابن منظور (محمد بن مكرم) - دار صادر - بيروت - ط 1 - 1992 - مادة (جود) - ص 502.

(3) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني (أبو عمرو بن سعيد) (371هـ - 444هـ) -

تحقيق أحمد عبد التواب الفيومي - مكتبة وهبة - مصر - ط 1 - 1993 - ص 169.

وقال ابن الجزري: "مصدر من جود تجويدا والاسم منه الجودة ضد الرداءة يقال: جود فلان في كذا إذا فعل ذلك جيدا، فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة بجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق..."⁽¹⁾.

وجاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ما يتعلق بوصف القراءة كلمة (الترتيل)، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁽²⁾.

وجاء في الأحاديث أن النبي ﷺ كان يقرأ السور فيرتلها حتى تكون أطول منها، وكان يفسر ويرتل إذا قرأ"⁽³⁾.

والرَّتْلُ في اللغة حسن تناسق الشيء، ورَتَّلَ الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه، والترتيل في القراءة: الترسُّل فيها والتبيين من غير بغي. قال عبد الله ابن عباس -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، قال: بَيْنَهُ تَبْيِينًا، والتبيين لا يتم بأن يُعَجَّل في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقها من الإشباع"⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾⁽⁵⁾؛ أي أنزل على الترسل وهو المكث وهو ضد العجلة⁽⁶⁾.

(1)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- قدّم له وعلّق عليه جمال الدّين محمد شرف- دار الصحابة للتراث- مصر- مجلد 1- ط1- د.ت- ص171.

(2)- سورة المزمل- الآية: 4.

(3)- التحديد في الإتقان والتجويد: ابن الجزري- تحقيق غانم قدوري الحمد- دار عمار- الأردن- ط2- 1420هـ- 1999م- ص68.

(4)- أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد- ص61.

(5)- سورة الفرقان- الآية: 32.

(6)- التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني- ص172.

"ويُقابل كلمة (الترتيل) الهذُّ وفي الحديث الشريف عن منزلة قارئ القرآن في الآخرة قوله ﷺ: فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً، وروي ابن أبي شيبة عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: لا تهذُّوا القرآن كهذُّ الشعير ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب. وروي البخاري أن رجلاً قال لابن مسعود: قرأت المفصل البارحة. فقال: هذا كهذُّ الشعير" (1).

والهذُّ لغة: سرعة القطع، وسرعة القراءة، يقال: هو يهذُّ القرآن هذا، ويهذُّ الحديث هذا؛ أي يسرده سرداً (2).

ووردت كلمات أخرى توصف بها قراءة القرآن الكريم في أحاديث الرسول ﷺ مثل التغني في قوله ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم. وفي رواية أخرى: حسِّنوا القرآن بأصواتكم. والمراد التغني هو الترتيل وتحسين الصوت وحفظ الحروف ومراعاة الوقوف إلى سوى ذلك في تجويد القراءة وتصحيح التلاوة... (3).

ومن ذلك أيضاً الكلمات التي توصف بها القراءة التحبير، فقد روي أن النبي ﷺ وعائشة مرَّاً بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقي أبو موسى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا موسى، مررت بك، فذكر الحديث، فقال أبو موسى: أما إني لو علمتُ مكانك لحببته لك تحبيراً" (4).

(1) - ينظر: أبحاث في علم التجويد- المرجع السابق- ص62.

(2) - لسان العرب: ابن منظور- مادة (هذذ)- ص517.

(3) - ينظر: أبحاث في علم التجويد- غانم قدوري- ص63.

(4) - المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

"حَبْرَةٌ: حسنت؛ أي تحسين الصوت، وحبّرت الشيء تحبيراً إذا حسنته"⁽¹⁾.

فهذه المصطلحات: الترتيل - التغني - التحسين - التزيين - التحبير، كانت تستخدم في وصف القراءة إذ استوفى كل حرف فيها حقه من مخرجه وصفته إلى جانب ما يضيفه القارئ من حسن على القراءة، وهناك من يرى أن هذه المصطلحات التي سبق ذكرها وما تحملها من معنى فيما بينها، ظلت مستخدمة في وصف قراءة القرآن الكريم منذ زمن النبي ﷺ والصحابة والتابعين إلى ما بعد عصر التدوين والتأليف بزمان طويل، وأول من أَلَّف في علم التجويد هو أبو مزاحم الخاقاني.

2-2 أبو مزاحم الخاقاني وقصيدته في علم التجويد:

قال ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء) وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي المتوفى سنة 325هـ: "هو أول من صنّف في التجويد فيما أعلم وقصيدته الرائية المشهورة"⁽²⁾.

حياة أبو مزاحم الخاقاني: "هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان(*)"

أبو مزاحم، المشهور بالخاقاني العالم البغدادي المقرئ وهو من أسرة اشتغل أكثر من واحد من رجالها في الوزارة للخلفاء العباسيين، فكان أبوه عبيد الله وزيراً

(1) - لسان العرب: ابن منظور مادة (حبر) - ص 416.

(2) - غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري - تحقيق براجستراسر - مكتبة الخانجي - مصر - 1933 - ج 2 - ص 321.

(*) - خاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك، قال أبو منصور: وليس من العربية في شيء، اسم (خاقان) جد أبي موسى هو (النضر بن موسى بن أبي الضحى: مسلم بن صبيح، مولى سعيد بن العاص). (أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص 19).

للخليفة المتوكل لجعفر بن المعتصم بن الرشيد...، وقد قضى أكثر أيام حياته في بغداد وقضى بعض الوقت في سامراء مقر عمل أبيه، أو في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وقد جاء في بعض المصادر أن أبا بكر محمد بن الحسين الأحمري كان يروي قصيدة أستاذه أبي مزاحم في حسن أداء القرآن في مكة، وكان من طبقة حفاظ أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت. 324هـ) قارئ أهل بغداد في زمانه المشتهر بتأليفه كتاب: السبعة في القراءات⁽¹⁾.

يكون أبو مزاحم قد تتلمذ على يد كثير من كبار علماء القراءاة والحديث الذين درس عندهم ابن مجاهد وهؤلاء الشيوخ هم⁽²⁾:

- 1- أبو الفضل عباس بن محمد الدوري البغدادي الحافظ (ت. 271هـ).
- 2- أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري الضرير الحافظ (ت. 276هـ).
- 3- أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي السلمي (ت. 280هـ).
- 4- أبو بكر أحمد بن علي المروزي (ت. 292هـ).
- 5- أبو جعفر محمد بن غانم التتمام البصري نزيل بغداد (ت. 283هـ).
- 6- أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة البغدادي (ت. 282هـ).
- 7- أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل البغدادي الحافظ ابن الحافظ (ت. 290هـ).

(1) - ينظر: أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص 17-18.

(2) - المرجع نفسه - ص 19-21.

8- عبد الله بن أبي سعد الوراق.

9- إسحاق بن يعقوب العطار.

10- يعقوب بن يوسف المطوعي.

وقد تعلق أبو مزاحم بقول الشعر، وقد غلبت على شعره الحكمة والنظرة العقلية، كما يتضح ذلك من الأبيات التالية⁽¹⁾:

الشعرُ لي أدب أسلُو بحِكمته وما سبيلي فيه المادحُ الهاجي
ولستُ ما صَانِي المولى ووفَّقني إلى هِجاءٍ ولا مَدحٍ بِمِحتاجٍ
وقوله:

لعزة العلم يَبقى الطالِبون لَهُ إليه والعلمُ لا يسعَى إلى أَحَدٍ
وَكُلٌّ من لا يَصون العِلْمَ يَظلمُهُ وَمَنْ يَصُنُّه بِعَدْلِ يَهْدِ الرِّشادُ

وهذا ما يدل على تعلق أبي مزاحم بالشعر وتمكنه من العربية أنه "لظَّم قصيدته الرائية في حسن أداء القرآن الكريم وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً ومطلعها:

أقولُ مقالاً معجبا لأولي الحجرِ ولا فخرَ إنَّ الفخرَ يدعُو إلى الكبرِ
تناول فيها قضايا تتعلق بقراءة القرآن وتجويدها"⁽²⁾.

3- علم القراءات:

إنَّ العودة إلى الاطلاع وقراءة واقع اللّغة العربية قبل الإسلام الذي تمثّل في حالة المخاض العسير الذي عاشته اللّغة العربية وما تجلّى عن تلك الحالة الصعبة، فقد ترسخت العقد القبلية لدى كثير من العرب، وحلّت محلّ الإحساس

(1) ينظر: أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد- ص20.

(2) علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري الحمد- دار عمار- الأردن- ط1- 2005- ص24

القومي، وظهرت في العرب تيارات تدعو إلى إحلال اللهجات المحلية محل اللغة العربية الشاملة، وحينئذ ظهرت إلى الوجود لهجات عربية لا يمكنها أن تلتقي على أصول واحدة، فثمة انحرافات لغوية كانت شائعة في اللغة العربية، كالفأفة والثغّة، والغنة، واللكنة، والعقلة، والحبسة، والترخيم، والتمتمة، واللفف، والارتضاخ، والرطانة.

ولقد نقل لنا ابن عبد ربه وجوه هذه الانحرافات فقال: "التمتمة في النطق: التردد في التاء، والعقلة: التواء اللسان عند إرادة الكلام، والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته، واللفف: إدخال حرف في حرف، والرّتة: كالرتج؛ تمنع أول الكلام فإذا منه شيء اتصل به، والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يبيّن لك تقطيع الحروف، وأمّا الطمطمة: أن يعدل بحرف إلى حرف، والغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والحنة: أشدّ منها، والترخيم: حذف الكلام، والفأفة: التردد في الفاء، وأمّا كشكشة تميم: فإنّ بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئاً لقرب الشين من الكاف في المخرج، وأمّا سكسكة بكر: فقوم منهم يبدلون من الكاف شيئاً كما فعل التميميون في الشين، وأمّا طمطمانية حمير، ففيها يقول عنترة:

تأوى له قلصى النعام كما أوت حزم يمانية لأعجم طمطم⁽¹⁾

ولقد شاع عند العرب تسمية تلك الانحرافات باللغات، فيقولون لغة هذيل لغة قيس، لغة كندة، إذ هي في الحقيقة إلاّ منهج نطق العرب في عموم مفرداتهم، ومّا يثبت تلك المفارقات اللغوية التي كانت شائعة بين أهلها، تلك

(1) - العقد الفريد: ابن عبد ربه - حقه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأنباري - دار الكتاب العربي - بيروت - ط3 - 1965 - ج2 - ص475.

الوفود العربية التي كانت تأتي إلى النبي ﷺ فتحدثه بلهجاتها ولغتها فيخاطبها النبي ﷺ بما تعودته من لهجتها، فيكون ذلك مثار دهشة لأصحاب النبي ﷺ.

"من ذلك ما روي أن وفدًا من حمير جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله "أمن امبرا مصيام في امسفر"، فتعجب أصحابه مما سمعوا حتى تبين أن الوفد حي من العرب يدلون اللام ميمًا والميم لأمًا، وكان سؤالهم: أمن البر الصيام في السفر؟ فجاء جواب النبي ﷺ: "ليس من البر الصيام في السفر"، فكيف تكون حالة اللغة العربية في ضوء هذه المعطيات؟

لولا الثورة اللغوية التي أعقبت نزول القرآن الكريم وانتشار قرائه وحفاظه في الأمصار يجمعون الناس على منهج واحد، حيث تبوّأت اللغة العربية مكانها، أمّا عن اللهجات العربية فقد تكلفت بحفظها القراءات القرآنية التي أذن بها رسول الله ﷺ (1).

3-1 الوحي المصدر الأول للقراءات القرآنية:

إنّ المصدر الأوّل للقراءات القرآنية المتواترة هو الوحي، ذلك أنّ القراءات القرآنية تلقّاها النبي ﷺ من الله سبحانه وتعالى بواسطة ملك جبرائيل عليه السلام، وهو بدوره لقنها لأصحابه فأقرؤوا بها الناس من بعده وبذلك فإنّ سائر القراءات المتواترة توقيفية.

(1) - ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد الحيش - دار الفكر -

دمشق - ط 1 - 1999 - ص 29-30.

فالنبي ﷺ هو الذي أقرأ أصحابه بتحقيق الهمزات وتسهيلها وكذلك بالفتح والإمالة والإدغام والإظهار وهو الذي أذن بإقراء هذه الكلمة بوجهه، وتلك بوجهين وتلك بثلاث...

وهكذا فإن القراءات المتواترة جميعها هي قراءة النبي ﷺ ولا قيمة لأي قراءة لم تحظ بالإسناد المتواتر، المتصل إلى النبي ﷺ وليس لأئمة القراء أدنى اجتهاد أو تحكّم في نص القراءة المقبولة، بل إن مهمتهم تنحصر في ضبط الرواية وتوثيق النقل، وكانت غاية ما فعله الأئمة القراء أن تخصص كل واحد منهم بنوع من أنواع القراءة التي سمعها عن أصحاب النبي ﷺ، كما نقلوها عنه ﷺ وخدمها، وتفرغ لإقراءها وتلقينها، فنسبت إليه لا على سبيل أنه أنشأها وابتكرها بل على سبيل أنه قرأ بها وأقرأها، وإلا فالمنشأ واحد وهو الرسول ﷺ، ومن جبريل عليه السلام عن الله رب العالمين، وهو الوحي الذي هو المصدر الأول للقراءات القرآنية⁽¹⁾.

3-2 الأصل اللغوي والشرعي للقراءات:

الأصل اللغوي: القراءات جمع، مفردها قرأ، وجرى إطلاق السلف لفظة (قراءة) للتعبير عن صنيع القراء في أداء نص القرآن المجيد وهي مصدر الفعل الثلاثي قرأ، وورد عند ابن جنّي: "قرأ بإهمال الهمزة وعليه يقال قرئت وهي مبدلة من قرأت"⁽²⁾. "قال أبو الحسن اللحياني، يقال: قرأت القرآن، وأنا أقرؤه

(1) - ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية- محمد الحبش- ص26.
 (2) - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: بن جني (أبو الفتح عثمان) - تحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- ط1- 1998- ج1- ص22.

قرءاً وقراءة، وقرآناً، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قراءة وقراءة وقارئين، فأقرأت غيري، أقراته إقراء، ومنه قيل: فلان مقرئ⁽¹⁾.

"والقراءة في اللغة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته، سمي القرآن قرآناً لأنه جمع الآيات والسور وهو مصدر كالغفران من غفر وشكران من شكر⁽²⁾.

أما اصطلاحاً: "هي اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرهما"⁽³⁾.

الأصل الشرعي للقراءة: "لعل أقدم النصوص التي أشارت إلى تسمية الاختيار في التلاوة قراءة ذلك الحديث المشهور المروي في الكتب الصحاح ونصّه: عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم فلبّيته، فقلت: من أقرأك هذه السور التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فأقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لن تقرأنيها، وإنك أقرأني سورة الفرقان، فقال: يا هشام اقرأها، فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ، هكذا أنزلت، ثم قال اقرأ يا عمر، فقرأتها التي أقرأنيها فقال رسول الله ﷺ،

(1) - ينظر: لسان العرب - ابن منظور - 128/1.

(2) - ينظر: الإتيان في علم القرآن - السيوطي 82-83/1. وينظر: القراءات القرآنية نشأتها أقسامها حقيقتها - د. خير الدين سيب - دار الخلدونية للنشر والتوزيع - الجزائر - 2005 - ص 14-15.

(3) - ينظر: لسان العرب - المصدر السابق - 128/1.

هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"⁽¹⁾.

وعليه، فإن أصحاب رسول الله ﷺ أطلقوا لفظ (القراءة) على ما تحيِّره القراء من تلاوات النبي ﷺ من القرآن الكريم، وهذه القراءات لم تجد سبيلها إلى التدوين، إذ لم يجتمع للصحابي مذهب مستقل في الأصول والفرش^(*)، بل اختيارات متفرقة، تلقوها عن النبي ﷺ في مناسبات عديدة، ويكشف الحديث السابق عن الإذن الشرعي الصادر من النبي ﷺ والذي يأذن فيه للصحابة الكرام برواية القرآن الكريم عنه مع التفاوت في الأداء أصولاً وفرشاً.

3-3 علاقة القراءة بالأحرف السبعة:

كثيراً ما يقترن اسم القراءات بالأحرف السبعة حتى أن الناس ربطوا القراءات القرآنية على أنها الأحرف السبعة وأصبح الناس يتحدثون عن القراءات السبع وأحرف سبعة، والأحرف السبعة هي التي جاء الحديث الصحيح بالإشارة

(1)- أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل واللفظ للبخاري. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي العسقلاني- دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان- د.ط- د.ت- ج9- ص22.

(*)- الفرش هو كلمة من القرآن تقرأ على غير مثال، ويقسم علماء القراءة منهاج القراءة إلى:
- أصول: وهي قواعد القراءة لكل قارئ كمد الميمات وتحقيق الهمزات وإمالة الألفات وغير ذلك.
- فرش: وهي الكلمات القرآنية بعينها وكيف قرأها كل قارئ وسميت فرشاً لأنها تفرش في التعليم على مواضع الآيات، ولا تندرج تحت أصول جامعة. (ينظر: الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأمانى- محمد البيومي (الشهير بأبي عياشة الشافعي الدمنهوري)- تحقيق عبد العزيز بن ناصر السبر- مكتبة الملك فهد الوطنية- السعودية- ط1- 1417هـ- 1997م- ص92).

إليها في قول النبي ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا منه ما تيسر" (1).

من الأحاديث (*) التي ورد فيها نزول القرآن على سبعة أحرف، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (2).

وحديث آخر عن عمر بن الخطاب يقول: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم فلبيته، فقلت: من أقرأك هذه السور التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فأقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لن تقرأنيها، وإنك أقرأني سورة الفرقان، فقال: يا هشام اقرأها، فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ، هكذا أنزلت، ثم قال اقرأ يا عمر، فقرأتها التي أقرأنيها فقال

(1) - ينظر: فتح الباري شرح البخاري- العسقلاني- رقم الحديث 5419 - 33/5.

(*) - بلغ عدد الصحابة رضوان الله عليهم الذين رووا الحديث في موضوع الأحرف السبعة واحداً وعشرين صحابياً. ينظر: الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- 131/1 وينظر: النشر في القراءات العشر- ابن الجزري- 21/1.

(2) - ينظر: فتح الباري شرح البخاري- العسقلاني- 22/9.

رسول الله ﷺ، هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ: "إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه" (1).

يعبر حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" عن الرخصة في القراءة، وتوصف أحيانا برخصة الأحرف السبعة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما معنى الأحرف السبعة وعلاقتها بقراءة القرآن؟

تصنف الأحاديث التي ورد فيها (الأحرف السبعة) إلى ثلاث مجموعات هي: "مجموعة روايات تتضمن حصول نقاش بين بعض الصحابة حول القراءة ولجوئهم إلى النبي ﷺ فيسمع منهم قراءاتهم ويقرهم عليها ويقول لهم: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه، وقد حدث نقاش بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وبين أبي بن كعب ورجل من الصحابة، وكذلك حصل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومجموعة ثانية: وردت فيها الإشارة إلى حوار بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ حول قراءة القرآن الكريم وعلى كم حرف يقرأ، ومجموعة ثالثة: أشارت إلى قول النبي ﷺ "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" وعليه لم يرد في أي روايات الحديث تحديد الأحرف السبعة، قال أبو بكر ابن العربي: لم تتعين هذه السبعة بنص من النبي ﷺ، ولا بإجماع من الصحابة، وقد اختلفت فيها الأقوال" (2)، إنّ المتأمل في الروايات يجد أنّ

(1) - ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - العسقلاني - 22/9.

(2) - ينظر: البرهان في علوم القرآن - الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - عيسى الباني الحلبي -

موضوعها هو قراءة القرآن والاختلاف الحاصل بين الصحابة كان في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة.

دلالة كلمة الحرف في اللغة: "الحرف في الأصل الطرف والجانب، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه، وحرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي على ناحية منه، كأنه ينتظر ويترقّب، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾⁽¹⁾؛ أي على شكّ، والحرف من حروف الهجاء معروف، والحرف الأداة أو الرابطة، والحرف القراءة التي تقرأ على وجه"⁽²⁾.

ونستخلص ممّا ذكرنا سابقاً أنّهم اختلفوا في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً، والذي يرجّحه المحققون من العلماء ممّا ذكره الداني في تسمية الوجه من القراءة حرفاً، فقال: الحرف يتوجّه إلى وجهين أحدهما أن يكون يعني بذلك أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات، لأنّ الأحرف جمع حرف، وهو في الجمع القليل مثل: فِلس وأفلس ورأس ورؤوس، والحرف قد يراد به الوجه... فهذا سمّي النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً، على معنى أنّ كلّ شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر كنعو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾؛ أي على وجه إن تغيّر عليه تغيّر عن عبادته وطاعته...

أمّا الوجه الثاني من معنى الأحرف أن يكون ﷺ سمّي القراءات أحرفاً على طريقة السّعة كنعو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم

(1) - سورة الحجّ - الآية: 11.

(2) - لسان العرب: ابن منظور - (مادة حرف) - 386-385/10.

ما هو منه... فلذلك سُمِّي النبي ﷺ القراءة حرفاً وإن كانت كلاماً كثيراً من أجل أن منها حرفاً قد غيَّ نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو أزيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة⁽¹⁾.

تتلخَّص الحكمة في إنزال القرآن الكريم على الأحرف السبعة لأنَّ العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم كانت ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة ويتعذَّر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها وتعود لسانه التخاطب بها، فصارت طبيعة من طبائعه وسجيَّة من سجايه حيث لا يمكنه العدول عنها إلى غيره، فلو كلفهم الله تعالى مخالفة لهجاتهم لشقَّ عليهم ذلك وأصبح من قبيل التكليف بما لا يطاق، فاقترضت رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن يخفِّف وييسِّر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها كما يسَّر لها أمر دينها، فأذن لنبيه أن يُقرئ أمته القرآن الكريم على سبعة أحرف، بحيث ما كان رسول الله ﷺ أن يُقرئ كلَّ قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها، ويلخَّص إبراهيم أنيس هذه القضية بقوله: "فلا بدَّ أن تشترك لهجات اللُّغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل، فإذا اختلفت معظم معاني كلماتها واتَّخذت أساساً خاصَّة في بنية كلماتها، وقواعد خاصَّة في تركيب جملها لا تسمَّى حينئذ لهجة بل لغة مستقلة، وإن ظلَّت تتصل وغيرها بوشائج تجعلها تنتمي إلى فصيلة من الفصائل اللُّغوية"⁽²⁾.

(1) - ينظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير - غانم قدوري - ص 25.

(2) - في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - مصر - ط 3 - 1965 - ص 18.

فالقول بوجود هذا الاختلاف في الألفاظ المستخدمة في اللهجات العربية للتعبير عن المعاني أمر لا يتناسب وطبيعة اللغات البشرية وسننها.

4- تأثير القصيدة الخاقانية في التأليف في علم التجويد:

4-1 التأليف في علم التجويد في زمن أبي مزاحم

ذاع صيت قصيدة أبي مزاحم الخاقاني في التجويد في البلدان وتناقلتها الركبان واتجهت من بغداد شرقا وغربا، حفظها الدارسون، وشرحها العلماء واستشهد بها المؤلفون، فكانت تلك القصيدة ذات تأثيرات متنوعة في دراسات علماء السلف في القراءة وعلم التجويد، وحين بلغت هذه القصيدة أبا الحسين محمد بن أحمد الملقب بنزيل عسقلان عارضها بقصيدة ماثلة وهي تسعة وخمسون بيتا وزاد فيها الحافظ أبو عمرو بيتا واحداً تكملة لستين بيتاً.

- قصيدة محمد بن أحمد المالطي: وقد نقل ابن الجزري من هذه القصيدة

أربعة أبيات من أولها بسند ينتهي إلى أبي عمرو الداني، ثم إلى المؤلف، وهي⁽¹⁾:

أقول لأهل اللب والفضل والحجر

مقال مريد للشواب وللأجر

وأسأل ربي عفوه وعطاءه

وطرد دواعي العجب عني والكبر

وأدعوه خوفاً راعباً بتدليل

ليغفر لي ما كان من سيء الأمر

(1) - ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - تحقيق براجستراسر - مكتبة الخانجي - مصر -

وَأَسْأَلُهُ عَوْنًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

أَعُوذُ بِهِ مِنْ آفَةِ الْقَوْلِ وَالْفَخْرِ

- قصيدة محمد بن أحمد العجلي: هي قصيدة عارض فيها صاحبها قصيدة الخاقاني أيضاً، والعجلي هو (محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب بن علي أبو عبد الله)، ويقال أبو علي العجلي الألكائي المقرئ، شيخ متصدر، قال عنه الجزري: "صاحب تلك القصيدة الرائية، عارض بها قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، رواها عنه الأهوازي أبو علي الحسن بن علي المتوفى سنة 446هـ بدمشق في البطائح سنة ست وثمانين وثلاثمائة أولها:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ وَالْبِرِّ كَمَا أَنْتَ أَهْلٌ لِلْمَحَامِدِ وَالشُّكْرِ
فَهَذَا مَقَالِي وَاضِحًا وَبَيِّنًا شَبِيهَا بِمَا قَدْ شَاعَ فِي كُلِّ مَا مَضَرَ
عَنَيْتُ بِهِ قَوْلَ ابْنِ خَاقَانَ مُنْشِدًا أَقُولُ مَقَالًا مُعْجَبًا لِأَوْلِي الْحَجْرِ
وَأَبْيَاتُهَا زَادَتْ زِيَادَةَ مُرْجِع عَلَى مِئَةِ خَمْسًا تَزِيدُ عَلَى عَشْرٍ⁽¹⁾

- كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: "ألفه أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد السعيدي الرازي المتوفى في حدود سنة (410هـ)، تأثر هذا الأخير بقصيدة أبي مزاحم الخاقاني، حيث نقل منه بيتاً لما تحدّث عن إخفاء الميم عند الفاء، حيث يقول: وقال أبو مزاحم في قصيدته بيتاً، وهو في معنى ذلك:

فَلَا تُدْغِمَنَّ الْمِيمَ إِنْ جِئْتَ بَعْدَهَا بِحَرْفٍ سِوَاهَا وَاقْبَلِ الْعِلْمَ بِالشُّكْرِ

(1) - غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري - 85/2-86.

ونقل أيضا بيتًا آخر من القصيدة الخاقانية، وهو يتحدث عن الهمزة إذا كان قبلها ياءٌ أو واوٌ، فقال: وقد قال أبو مزاحم الخاقاني في قصيدته بيتًا في هذا المعنى وهو:

وإن تك قبل الواو والياء فتحةً وبعدهما همزٌ همزت على قدر⁽¹⁾

كتاب شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني: "ألف هذا الكتاب أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (444هـ-)، يقول أبو عمرو الداني في مقدمة الكتاب مبينًا أهمية القصيدة وموضحًا مترلة أبي مزاحم في ذلك الزمان وعند أهله، بعد حمد الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ: هذا كتاب قصدنا فيه إلى شرح قصيدة أبي مزاحم موسى بن عبيد الله يحيى بن خاقان البغدادي، المعروف بالخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، ولخصنا الأصول التي أوامًا إليها فيها وقوى بنا معانيها، ونبهنها على حقائقها ودللنا على صحة مراده فيما أمر به وندب إليه، من استعمال ما يجب استعماله بالآثار المروية عن الأئمة الماضين، والسنن الواردة عن العلماء المتقدمين، وذهبنا في جميع ذلك إلى وجه الاختصار وترك الإكثار، ليصل الناظرون فيه إلى حقيقة المراد في قرب، ويحصل للمتناولين حفظه في يسر، إن شاء الله تعالى. والذي دعانا إلى شرح هذه القصيدة وتلخيص معانيها ما رأيناه من استحسان العامة والخاصة لها، وشدة ابتهاج أهل القرآن بها، وأخذهم أنفسهم بحفظها، وظهور معانيها، وسلامتها من العيوب، ووفور حظها من الجودة، مع ما كان في أبي مزاحم -رحمه الله- من المناقب الحمودة، والأخلاق الشريفة ظاهر النسك، مشهور الفضل، وافر الحظ من العلم والدين، حسن الطريقة سنيًا جماعيًا، فألزمنا أنفسنا لذلك الإبانة عن جليلها،

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص 37-38.

وتكلفنا البيان عن خفيها، مع رغبتنا في تعليم من جهل ما رسمناه، وابتغائنا الأجر والثواب من الله - عز وجل - فيما توليناه، ونحن نستغفر الله من زلل كان منا ومن تقصير لحقنا، ونسأله التوفيق لنا، والسلامة لديننا، والهداية لما فيه رشدنا وخلاصنا، فإنما نحن به وله. قال أبو عمرو: أنشدنا أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الحمصي (ولد بجمص سنة 333هـ)، وتوفي بمصر سنة (401هـ) وأبو الحسن طاهر بن غلبون الحلبي (توفي بمصر سنة 399هـ) قال: أنشدنا جعفر بن محمد الدقاق (توفي بمصر سنة بضع وثمانين وثلاثمائة)، قال: أنشدنا أبو مزاحم لنفسه:

أقول مقالاً مُعجَباً لأولي الحجرِ لا فخرَ إنَّ الفخرَ يدعُو إلى الكبرِ⁽¹⁾

فهذه السلسلة الإسنادية التي يروي بها الداني قصيدة أبي مزاحم، تبين كيف وصلت هذه القصيدة إلى مصر، ثم غربت حتى عبرت البحر ودخلت بلاد الأندلس، فجعفر بن محمد الدقاق هو الذي نقل القصيدة من بغداد إلى مصر، حيث أخذها منه شيخا الداني، الذي نقلها إلى الأندلس حين عاد إليها بعد رحلته المشرقية⁽²⁾.

قصيدة مقدمة في الوقف والابتداء: " (تسمى بنظام الأداء) ألفها الشيخ أبو الأصبع عبد العزيز بن علي بن محمد السماني الأندلسي المعروف بابن الطحان (توفي بعد سنة 560هـ)، قال السماني بعد أن ذكر بأن القارئ مأمور عند العلماء بإحسان الوقف والابتداء، حتى يأمن الوقوع في اللحن. وقد قال أبو مزاحم الخاقاني:

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص 38.

(2) - ينظر: المرجع نفسه - ص 38-39.

فأول علم الذِّكْرِ إِتْقَانُ حَفْظِهِ وَمَعْرِفَةُ اللَّحْنِ فِيهِ إِذَا يَجْرِي
فَكُنْ عَارِفًا بِاللَّحْنِ كَيْمَا تُزِيلُهُ فَمَا لِلَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّحْنَ مِنْ عُدْرٍ⁽¹⁾

قصيدة عمدة المجيد وعمدة المفيد في معرفة التجويد: "لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين السخاوي المتوفى 643هـ وهي قصيدة نظمها علم الدين السخاوي في علم التجويد مطلعها:

يَا مَنْ يَرُومُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَيُرُودَ شَأْوِ أُمَّةِ الْإِتْقَانِ
لَا تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مَدًّا مُفْرَطًا أَوْ مَدًّا مَا لَا مَدَّ فِيهِ لَوَانِ

وقد أشار علم الدين في قصيدته هذه إلى القصيدة الخاقانية بقوله في آخرها:

أَبْرَزْتُهَا حُسْنًا، نَظْمُ عُقُودِهَا دُرٌّ
فَصِلْ دُرَّهَا بِجُمانِ
فَانظُرْ إِلَيْهَا وَامِقًا مُتَدَبِّرًا فِيهَا
فَقَدْ فَاقَتْ بِحُسْنِ يَمانِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ جَائِرٌ فِي ظُلْمِهَا

إِنْ قَسَّتْهَا بِقَصِيدَةِ الْخَاقَانِيِّ⁽²⁾.

كتاب المفيد شرح عمدة المجيد: لأبي محمد بدر الدين الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي، المعروف بابن قاسم المتوفى سنة 739هـ، كتاب المفيد هو شرح لقصيدة علم الدين السخاوي المذكور سابقا، وقد نقل ابن أم قاسم أبياتا من القصيدة الخاقانية في هذا الشرح، في موضعين:

(1)- أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد- ص40.

(2)- المرجع نفسه- ص43-44.

الأول: وهو يتحدث عن تعريف التجويد، وأن التجويد لازم في جميع أحوال القراءة، من ترتيل و حدر وتوسط، فقال: وربما توهم قوم أن التجويد إنما يكون مع الترتيل، لاعتقادهم أن التجويد إنما هو الإفراط في المد وإشباع الحركات ونحو ذلك، مما لا يتأتى مع الحدر وليس كما توهموه... وإلى هذا المعنى أشار الخاقاني بقوله:

فدو الحذقِ مُعطٍ للحروفِ حقوقها إذا رتّل القرآن أو كان ذا حدرٍ
والثاني: قوله هو يتحدث عن مراتب التلاوة: وإلى تفضيل الترتيل أشار الخاقاني بقوله:

وترتيلنا للقرآن أفضل للذي أمرنا به من لئنا فيه والفكر
وأما حدرنا درسنا فمُرخصٌ لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر⁽¹⁾

قصيدة شرح الواضحة في تجويد الفاتحة: هذه قصيدة نظمها برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت.732هـ)، وشرحها لابن أم قاسم المرادي (ت.749هـ)، المذكور في الفقرة السابقة، وقد نقل شرح الواضحة بيتين من القصيدة الخاقانية وهو يتحدث عن اللحن حيث يقول: وذكر أبو عمرو الداني بإسناده إلى ابن مجاهد أنه قال: اللحن لحنان، جليّ وخفيّ، فالجليّ لحن الإعراب، والخفيّ ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه، فينبغي للقارئ أن يعرف اللحن ليتجنبه كما أشار إليه الخاقان في قوله:

فأول العلم الذكر إتيان حفظه ومعرفةً باللحن من فيك إذ يجري
فكن عارفاً باللحن كيما تُزيله وما للذي لا يعرف اللحن من عذر⁽²⁾

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد - ص45.

(2) - المرجع نفسه - ص46.

إنّ القصيدة الخاقانية هي أول كتاب مستقلّ في علم التجويد في عرف المؤرّخين لهذا العلم، وهي التي استطاعت أن تؤثّر في المؤلّفات التي كتبت في زمانها وبعد زمانها، وعليه تعدّ قصيدة أبا مزاحم الخاقاني مصدرا مهماً لكلّ من توجه إلى التأليف في علم التجويد.

4-2 التأليف في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية؛

من خلال قول المؤرّخين لهذا العلم إنّ أول كتاب ألف بعد قصيدة أبي مزاحم الخاقاني هو كتاب التنبيه على اللحن الجليّ واللحن الخفيّ، ألفه صاحبه أبو الحسن علي بن جعفر الرازي السعيدي المتوفى في حدود سنة 410هـ، وهو كتاب صغير الحجم غزير المادّة، تحدّث صاحبه في صفحاته الأولى عن تجويد ألفاظ سورة الفاتحة، ثمّ عقد أبواباً قصيرة عن نطق الواو والياء في أحوالها المتعدّدة، وأعقبها بالحديث عن صور نطقية شتى حذر القارئ من الوقوع فيها⁽¹⁾.

ومنذ مطلع القرن الخامس الهجري إلى اليوم تواصل التأليف في علم التجويد، فظهرت عشرات الكتب التي تنوّعت مناهجها وأساليب تأليفها، ومن أشهر ما ألف في هذا العلم:

1- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة لصاحبه مكّي بن أبي طالب (ت. 437هـ).

2- التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد السداني (444هـ).

(1)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري الحمد- ص24.

- 3- الموضح في التجويد لعبد الوهّاب بن محمّد القرطبي (ت. 462هـ).
- 4- التجريد في علم التجويد لأبي عليّ الحسن بن أحمد المعروف بابن البناء البغداديّ (ت. 471هـ).
- 5- نهاية الإتقان في تجويد القرآن لشريح بن محمّد الرعينيّ الإشبيليّ (ت. 539هـ).
- 6- التجريد في علم التجويد لأبي عليّ سهل بن محمّد الحاجّي (ت. 543هـ).
- 7- الإنباء في تجويد القرآن لأبي الأصبع عبد العزيز بن عليّ الأندلسيّ المعروف بابن الطحّان (ت. حوالي 560هـ).
- 8- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمدانيّ العطار (ت. 569هـ).
- 9- نبذة المرید في علم التجويد لأبي المعالي محمد بن أبي الفرج فخر الدّين الموصلی (ت. 621هـ).
- 10- الترشيد في علم التجويد لأبي عليّ الحسين بن عبد العزيز بن محمّد بن أبي الأحوص الأندلسيّ المعروف بابن الناظر (ت. 679).
- 11- التجريد في علم التجويد لأبي الحسن عليّ بن يعقوب عماد الدين الموصلی المعروف بابن أبي الزهران (ت. 682هـ).
- 12- الدرّ النّضيد في التجويد لأبي العباس أحمد بن عبد الله الخبوريّ (ت. 690هـ).
- 13- بغية المرید في معرفة التجويد لأبي محمد عبد الكريم بن عبد الباريّ الصعيديّ (من علماء القرن السابع الهجري).

- 14- الدرّ النّضيد في معرفة التجويد لمحمّد بن قيصر المرديني (ت.721هـ).
- 15- عقود الجمان في تجويد القرآن لإبراهيم بن عمر الجعبري (ت.732هـ).
- 16- التسديد في علم التجويد لأبي بكر عبد الله بن أيدغدي بن عبد الله الشهرير بابن الجندي (ت.769هـ).
- 17- روح المرید في شرح عقد الفريد لمحمّد بن محمود السمرقندي (ت.780هـ).
- 18- التمهيد في علم التجويد لأبي الخير محمد بن الجزري (ت.833هـ).
- 19- المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه لابن الجزري مؤلف التمهيد، وهي منظومة المشهورة بالمقدمة الجزرية، وقد شُرحت شروحًا كثيرة موجزة ومطوّلة.
- 20- القول المفيد في أصول التجويد لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت.885هـ).
- 21- بغية المستفيد في علم التجويد لمحمد بن بدر الدّين الشهرير بابن بلبان الحنبلي (ت.1083هـ).
- 22- تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين، لمنصور بن عيسى بن غازي السمنودي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري).
- 23- غنية الطالبين ومنية الراغبين لمحمد بن قاسم البقري (ت.1111هـ).

24- كفاية المستفيد في علم التجويد لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي
(ت. 1143هـ).

25- جهد المقل محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده
(ت. 1150هـ).

وقد ألفت في العصر الحديث رسائل كثيرة في علم التجويد في مختلف
بلدان العالم الإسلامي، الغالب على كثير منها إيجاز العبارة واختصار
الموضوعات، ومع ذلك فهي أفادت في تعليم قواعد أحكام التجويد وأصول
التلاوة⁽¹⁾.

(1) - أخذت عناوين هذه الكتب من: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري الحمد - ص 25-27.

المفصل الثاني

مخارج الأصوات اللغوية صفاً وموقعها
في ضوء علم التجويد

- 1- مخارج الأصوات وموقعها في علم التجويد.
- 2- الصفات وموقعها في علم التجويد.
- 3- وصف الأصوات العربية الجامدة على حسب الجهاز النطقي.
- 4- دراسة صوتية عامة للأصوات الدائبة.
- 5- صوت الضاد بين النظرية والتطبيق في علم التجويد.

1- مخارج الأصوات وموقعها في علم التجويد:

تتولد الأصوات اللغوية من جهاز يسمّى الجهاز الصوّتي (Vocal) الذي يتكوّن من الأعضاء الواقعة بين الرّقيقتين الصّوتيتين من جهة وبين فتحتي الأنف والشّفتين من الجهة الأخرى، ومن هذا الجهاز تخرج جميع الأصوات اللغوية. يحتاج الجهاز الصوّتي عند خروج الأصوات اللغوية إلى مصدر للطّاقة، والمصدر الذي يزوّد الجهاز الصوتي بالطّاقة هو الجهاز التنفّسي الذي يتكوّن من القفص الصدري بما فيه الرّئتين والقصبه الهوائية، وسوف نتحدّث عن كلّ من الجهاز الصوّتي، والجهاز التنفّسي لما لهما من مساهمة كبيرة في عملية إنتاج الأصوات اللغويّة المركّبة.

1-1 العملية الفيزيائية لإحداث الصوت من الرّئتين:

- الرّئتان: هما مصدر الهواء الذي تنتج به الأصوات اللغوية، فبعد عملية الشّهيق تمتلئ الرّئتان بالهواء الذي يطرد من الرّفير فتقوم أعضاء آلة النطق بتكليفه لإنتاج الأصوات، وكلّما نفذ الهواء من الرّئتين، أعاد الإنسان ملأهما بعملية التنفّس التي لا تنقطع ما دامت الحياة في جسم الإنسان. والرّئتان لا تقومان بإنتاج أيّ صوت من الأصوات ولكنهما تعملان كمنفاخ يمدّ آلة النطق بالمادّة التي تنتج الأصوات.

القصبه الهوائية: وهي عبارة عن أنبوبة مكوّنة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة الاستدارة من الخلف، يتّصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائيّ، وهي تنقسم من أسفلها إلى فرعين ينتهيان بالرّئتين، ويجري فيها الهواء

من الخارج إلى الرتتين عبر الأنف وأعضاء آلة النطق الأخرى، وبالعكس. وتقع في أعلاها الحنجرة⁽¹⁾.

الحنجرة: موقعها على قمة القصبة الهوائية، وهي على شكل صندوق غضروفي، أو على شكل حجرة صغيرة، وهي مفتوحة من الأعلى ومن الأسفل، وهذا يسمح بمرور الهواء من القصبة الهوائية إلى الحلق فالفم أو الأنف والعكس. كما تتكوّن من غدروفين غير مكتملين من الخلف، شأنه شأن بقية حلقات القصبة الهوائية، ممّا يسهّل مرور الطّعام في المرئ الملاصق للقصبة الهوائية من الخلف، وتكون بارزة في مقدّمة الرّقبة عند غالبية الذّكور، وذلك لأنّ زاوية مقدّمتها عندهم 90° بينما هي عند الإناث 120°، فالتحدّب العالي عند الغضروف الثاني هو عبارة عن رقيقتين صوتيتين وهما متّصلتان في المقدّمة ومنفصلتان في المؤخّرة، ويحكّم فيهما غضروفا الأرتنويد اللذان يقومان بشدّهما أو إرخائهما أو السّماح بتقاربهما أو تباعدهما. فإنّ للرّقيقتين الصوتيتين وظائف إحيائية، ومن أهمّ وظيفتهما أنّهما تعملان كصمام يمنع دخول السوائل والأكل إلى الرتتين.

غدر في الأرتنويد يقومان بالتحكّم في الرّقيقتين الصوتيتين بطريقتين: الأولى: شدّ الرّقيقتين الصوتيتين، والثانية: تقريبيهما من بعضهما البعض. في حالة إبعادهما عن بعضهما يمرّ الهواء بينهما دون إحداث صوت؛ في حالة تقاربهما بدرجة كافية أثناء الزّفير، فإنّهما تتذبذبان مصدرتان بذلك صوتاً، هذا التذبذب يمكن التحكّم في شدّته ودرجة تردّده، وكلّما زاد شدّهما زادت درجة التردّد

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 33.

والعكس بالعكس، وإذا ما التحمنا حجبتا الهواء تماما فلا تصدران صوتا، إلا أنه بعد انفصالهما يخرج صوت الهمزة مثلا.

والرقيقتان الصوتيتان من أهم أعضاء الجهاز الصوتي، حيث لهما دور كبير في إخراج معظم الأصوات اللغوية كما أنّهما أول ما يستخدمه الإنسان من الأعضاء الصوتية، فصراخ الطفل بعد الولادة ناتج عن تذبذب الرقيقتين الصوتيتين. ويمكن إدراك الفرق بين تذبذب الرقيقتين الصوتيتين من عدمه بوضع رؤوس أصابع اليد على الخنجرة، ونفخ الهواء باستخدام الفم عندها لا تحس بتذبذب بهما، كما أنك لن تسمع لهما صوتا⁽¹⁾.

التجويف الحلقي: هو عبارة عن أنبوب يصل بين الخنجرة من جهة وأنبوبي التجويف الأنفي والتجويف الفموي من جهة أخرى، وهو يمتد من الخنجرة إلى بداية التجويف الفموي والتجويف الأنفي، وهذا التجويف ليس به أعضاء ذات أهمية تذكر، "وعبارة الحلق عند المتقدمين يشمل الخنجرة وهم يقسمونه إلى ثلاثة أقسام: أقصى الحلق (أي الخنجرة)، ووسطه وأدناه"⁽²⁾. ومن ميزاته يمكن تصغيره أو تكبيره وذلك يحدث برفع الخنجرة أو خفضها أو بتضييقها بواسطة جدار اللسان، وفي داخل تجويف الحلق يوجد لسان المزمار وهو على شكل ورقة نباتية من إحدى طرفيها في أعلى الخنجرة، أما الطرف الآخر فهو قابل للحركة، ومن ميزاته أنه يغلق أعلى الخنجرة فيمنع

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 37.

(2) - الكتاب: سيويه - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1975 - ج 4 -

الطعام والشرب عن الدخول إلى الجهاز التنفسي، ويسمح لهما بالمرور عبر المرئ إلى المعدة، غير ذلك فهو منتصب حتى لا يحجب الهواء عن التنفس.

التجويف الأنفي: يتكوّن التجويف الأنفي من تجويفين يفصل بينهما حاجز يمتدّ من بين فتحتي الأنف إلى مؤخرة التجويف الأنفي، حيث يلتقيان في فتحة واحدة تشرف على التجويف الحلقي، يفصل الحنك الصلب والحنك اللين بين التجويفين الأنفي والحلقي.

"وظيفة التجويف الأنفي المهمة هي تلطيف وتنقية الهواء الدّاخلي إلى الرئتين، إضافة إلى وظيفته كحاسة الشم، وهو تجويف ثابت أي لا يمكن التحكّم في حجمه أو الأعضاء الموجودة بداخله.

أما وظيفته الصوتية: تتمثل في الرنين الصّادر عن مرور الهواء عبر هذا التجويف، وهذا الأخير ينتج عن تردّد الرقيقتين الصوتيتين فيخرج منه الصوتين (م/ن) ما يسمّيه علماء التجويد بالغمّة؛ ويفصل التجويف الأنفي عن التجويف الفموي بطبيعته وهو متّصل بالتجويف الحلقي عن طريق فتحة الحنك الحلقية، ويقوم الحنك اللين بفصل هذين التجويفين عندما يرفع إلى الأعلى وتوصيلهما ببعضهما عندما يخفض"⁽¹⁾.

التجويف الفموي: أغلبية الأصوات تخرج من هذا التجويف وهو أكثر التجاويف تعقيدا وتحديدًا لموقعه، فهو يمتدّ من الشفتين إلى أعلى التجويف الحلقي، وتتمثل وظيفته الإحيائية في كونه المحطّة الأولى التي تتمّ فيها أوّل عملية من عمليات الهضم، كما يستخدم لعبور الهواء من وإلى الجهاز التنفسي في حالة انغلاق التجويف الأنفي، ويتكوّن هذا الأخير من العناصر التالية: الشفتين،

(1) - الصوتيات العربية: منصور بن محمد الغامدي - مكتبة التوبة - الرياض - ط1 - 2001 - ص40-41.

الوجنتين، الأسنان، اللسان، الحنك الصّلب، الحنك اللين، والفكين الأعلى والأسفل.

1- الشفتان والوجنتان: "الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وهما تتخذان أوضاعاً متعددة تؤدي إلى إنتاج عدد من الأصوات، كما تغطيان الأسنان والتجويف الفموي كله، وتتصل هذه الأخيرة بالوجنتين بمجموعة من العضلات بواسطتهما يتم غلق الشفتين في حالة نطق صوت /الباء/، ومن رفع الشفة السفلى لتقابل الثنايا العليا كما في صوت /الفاء/ وأيضاً تدويرها كما في نطق صوت /الواو/ وبسطهما كما في نطق صوت /الياء/ أو الفصل بينهما بشكل واضح كما في حالة /الألف/. هذه المجموعة من العضلات المعقدة مغطاة بطبقة رقيقة من الجلد الذي يشاهده على وجوه الآخرين"⁽¹⁾.

2- الأسنان: "هي من أعضاء النطق الثابتة، تتكوّن من طبقات متباينة في صلابتها، إذ تشكّل الطبقة الخارجية منها أصلب مادة في جسم الإنسان، ويتكوّن لبّ الأسنان من مادة لينة تشتمل على أعصاب وأوردة دموية، وتتصل الأسنان بالفكين العلوي والسفلي، وعدد الأسنان عند عامة الناس يبلغ اثنتان وثلاثون سنّاً. تنمو خلال السنة الأولى إلى السنة الثالثة عشرة، وهي تنقسم على عدد ستة عشرة سنّاً، في كلّ من الفكّ السفلي والفكّ العلوي، وتوزّع على الشكل الآتي: الثنايا (4)، والرباعيات (4)، والأنياب (4)، والضواحك (4)، والأضراس (16)، ووجودها في فم المتحدث مهمّ لإخراج بعض الأصوات من

(1) - الصوتيات العربية - منصور بن محمد الغامدي - ص 42-43.

مخارجها الصّحيحة، إلا أنّ القواطع أكثرها أهميّة حيث تخرج كثيرا من الأصوات اللّغوية وذلك باستناد طرف اللّسان عليها وبمرور الهواء من بينها"⁽¹⁾.

3- اللّسان: من أهم أعضاء النّطق في الجهاز الصوتي، وهو يحتلّ حيزا كبيرا داخل التجويف الفموي إضافة إلى وجود جزء منه في التجويف الحلقي، وهو يتكوّن من مجموعة من العضلات تجعله قابلا على الحركة واتّخاذ أوضاع متعدّدة تؤدّي إلى إنتاج عدد كبير من الأصوات، ويقسمّ دارسوا الأصوات اللّسان إلى عدّة أجزاء هي: طرف اللّسان، مقدّم اللّسان، وسط اللّسان، مؤخّر اللّسان، جذر اللّسان. ويقابل اللّسان أعضاء أخرى من الجهاز الصوتي، فهو لا يعمل بمفرده فمثلا يقابل طرف اللّسان الثنايا، ويقابل مؤخّر اللّسان الحنك اللّين.

4- الحنك: "هو سقف التّجويف الفموي وأرضية التّجويف الأنفي، ويمتدّ من أصول الثنايا العليا إلى اللّهاة، حيث تقع نهاية التّجويف الفموي والأنفي ويبدأ التّجويف الحلقي، وينقسم الحنك إلى قسمين: القسم الأول الحنك الصّلب: وهو الجزء المقعر وقد يسمّى بالغار، ويمتدّ من اللّثة التي يخرج منها صوت التاء إلى نهاية الغار حيث ينطق صوت الياء. القسم الثاني الحنك اللّين: أو أقصى الحنك، يقع في مؤخّرة التّجويف الفموي، وينتهي الحنك اللّين باللّهاة، وهي الجسم الذي يبدو متدلّيا في نهاية الفم عند فتحه والنّظر للمرآة، ويسمّى أيضا بالخياشيم، وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم عند التّجويف

(1)- الصوتيات العربية- منصور بن محمد الغامدي- ص42-43.

الحلقي، الذي تتحكّم في تسرّب الهواء إليه اللّهاة وما حولها من أقصى الحنك وينتهي في الخارج بفتحتي المنخرين⁽¹⁾.

وظيفته: "إذا ارتفع إلى أقصى ما يمكن فإنّه يمسّ الجدار الخلفي للتجويف الحلقي، فيمنع مرور الهواء الخارج من الرّئتين عن طريق الأنف، أمّا إذا انخفض فإنّه يجعل طريق الهواء مفتوحاً إلى الأنف عبر التجويف الأنفي المتّصل بالحلق، وذلك في نطق الميم والنون، وفي حالة التنفّس الاعتيادي⁽²⁾، وهو يقابل اللّسان لإخراج صوت الكاف، أمّا اللّهاة فتخرج منها الأصوات التالية: الحاء، الغين، والقاف.

5- **الفكّ:** "من الأقسام الأساسية الفكّ السفلي يساعد في زيادة أو إنقاص حجم التجويف الفموي، فعند نطق صوت الألف مثلاً نرى انخفاض الفكّ السفلي، بينما يرتفع عند نطق صوت الياء، وهكذا لبقية الأصوات مع تفاوت في درجة انخفاض الفكّ الأسفل حسب حاجة الصّوت لذلك⁽³⁾.

1-2 الكيفية الفيزيائية في عملية إنتاج الصوتي اللّغوي:

لقد سبق الذكر أنّ الرّئتين تعملان كمنفاخ يمدّ آلة النّطق بالمادّة التي تنتج الأصوات وهي:

أ- الهواء: "إنّ الهواء الخارج من الرّئتين هو مادّة الصوت الإنساني، فإنّ إنتاج الصوت اللّغوي لا يتمّ إلّا بالتدخّل الإرادي في تكييف النّفّس (أي الهواء) الخارج من الرّئتين في أعضاء آلة النّطق. والنّفّس حين يكون الإنسان في وضع

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة - غانم قدوري - ص 36.

(2) - المرجع نفسه - ص 35.

(3) - الصوتيات العربية - منصور بن محمّد الغامدي - ص 45.

طبيعيّ لا يكاد يسمع، فإذا تدخلت أعضاء النطق في النفس بحيث يكون مسموعاً صار صوتاً، فالصوت إذا النفس المسموع⁽¹⁾، فالخلاصة أنّ الأصوات اللغوية لا تحدث إلاّ بعاملين أساسيين، النفس الخارج من الرئتين، والثاني العارض الذي يتعرّض النفس في الحجرة أو الحلق أو الفم أو الشفتين، وهناك عوامل ثانوية أخرى تكسب صوت جرسه المميّز له.

ب- الرقيقتان^(*) الصوتيتان أو الوتران الصوتيتان: من أهم أجزاء الحنجرة المؤثرة في إنتاج الأصوات ومن الأوضاع التي يمكن أن تتخذها الرقيقتين الصوتيتين:

حالة الاسترخاء: "أثناء مرور الهواء الخارجي من الرئتين بهما يتجافى الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر بحيث يسمحان للهواء بالمرور من غير أن يقابله أيّ تضيق في طريقه، وفي هذه الحالة يظللان ساكنين دونذبذبة أو اهتزاز، والأصوات التي تنتج في هذه الحالة تسمى بالأصوات المهموسة، وتسمى حالة الوترين حينئذ بالهمس، فالهمس إذا هو سكون الوترين عند مرور النفس بهما، والصوت المهموس هو الصوت الذي لا يتذبذب أو يهتز الوتران الصوتيان عند إخراجهم من مخرجه، والأصوات المهموسة في العربية هي: (هـ، ح، خ، ك، ش، س، ص، ت، ط، ث، ف)"⁽²⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: المرجع السابق - ص 37.

(*) - وتعرفان بالحلين الصوتيين لكن نظراً لكونهما رقيقتين وليستا حلين سميتا بالرقيقتين الصوتيتين.

(2) - ينظر: علم اللغة - محمود السعران - دار المعارف - مصر - 1962 - ص 146، علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 38.

حالة التجاذب: "إذا تقاربا الوتران الصوتيان من بعضهما بدرجة كافية ولا يوجد بينهما فراغ، ولكن ذلك لا يمنع الهواء من اندفاع خلالهما بأن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وسرعة فائقة، فتحدث من ذلك التتابع لعملية الفتح والغلق السريعة والمستمرة، بسبب ضغط الهواء الصّاعد من الرّئتين، ذبذبات أو اهتزازات منتظمة تكوّن نغمة صوتية تسمّى الجهر، فالصوت الجهور إذن هو الذي يتذبذب أو يهتزّ الوتران الصوتيان حالة النطق به، والأصوات الجهورية هي الأصوات التي يهتزّ الوتران الصوتيان حالة النطق بها.

ويمكن إدراك الفرق بين تذبذب الوترين الصوتيين من عدمه بالطريقة الآتية: مثلا وضع رؤوس أصابع اليد على الحنجرة ونفخ الهواء باستخدام الفم عندها، لا تحسّ بتذبذبهما، كما أنّك لن تسمع لهما صوتاً⁽¹⁾.

1-3 دراسة مخارج الأصوات:

الجهاز الصوتي عند الإنسان عبارة عن تجاويف أو أنابيب بها أعضاء تعترض مسار الهواء الخارجي من الرئتين، فتحدث أصواتا مختلفة، حيث تمثل الحجرة مصدر التردد الأساسي لغالبية الأصوات اللغوية، كونها تحتوي الرّيققتين الصوتيتين، بينما تقوم التجاويف الثلاثة الأخرى الحلقي والأنفي والفموي بما تحتويه من أعضاء بالتأثير على التردد الأساسي الصّادر عن الرّيققتين الصوتيتين، فيتمكّن من إخراج أصوات عديدة ومتباينة، لكنّه هناك أصوات لغوية لا تعتمد على الرّيققتين الصوتيتين لإخراجها وإنّما تعتمد على وضع أعضاء النطق الأخرى كاللسان والشفتين التي تعترض انسياب الهواء مولدة ترددات صوتية.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص38.

أ- تحديد مخرج الصوت: هو النقطة الأساسية التي يتأسس عليها نوع الصوت وصفته. يمكن أن يقع مخرج الصوت في أي مكان من الجهاز الصوتي يكون فيه على الأقل عضو صوتي من الأعضاء الصوتية الأخرى التي تعترض الهواء (التنفس) بعد أن يجتاز الرقيقتين الصوتيتين؛ فالمخرج إذن هو الموضع أو الحيز أو النقطة أو المكان أو المدرج^(*) الذي ينشأ منه الصوت ويوصف باسمه.

ب- القيمة المعرفية في دراسة المخرج الصوتي عند علماء التجويد: لقد اعتنى علماء التجويد المتقدمون بمخارج الحروف وصفاتها عناية كبيرة حيث يقول الداني: "اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج"⁽¹⁾.

وهذا بن أبي عمر الأندرابي (ت. 500هـ) يقول، بعد أن ذكر مخارج الحروف وصفاتها: "وإنما ذكرت مخارج الحروف وأصنافها لأن حاجة قارئ القرآن إلى معرفة ذلك في كل حرف ماسة ليخرجه من مخرجه، ويؤدي حقه بتمامه، على اللغة التي أنزل الله تعالى القرآن بها، ولأن بعدها باب الإدغام لمن أراد معرفة تفصيله منها، لأنه يحتاج إليها فيه ليعلم المتباعد من المتقارب، والمتشاكل من المتنافر، حتى يظهر ما يجوز أن يدغم مما لا يجوز فيه، فإنه لا يدغم في المتباعد ولا المتنافر، ويدغم مع المتقارب والمتشاكل، ألا ترى أن حروف الحلق لا تدغم في حروف الفم لتباعدها منها، فلهذا يحتاج إلى معرفة مخارج الحروف وأصنافها في معرفة الإدغام ووجوهه..."⁽²⁾.

(*)- المخرج، الموضع الحيز، النقطة، المكان، المدرج: هذه مسميات اختلف فيها علماء الأصوات مع علماء التجويد.

(1)- التحديد في الإتقان وصناعة التجويد: الداني - ص 219.

(2)- راجع أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري - ص 81.

وَمَنْ نَوَّهُوا بِمَعْرِفَةِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا، أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَطَّارُ الْهَمْدَانِيُّ (ت. 569هـ) فِي أَوَّلِ بَابِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا قَوْلَهُ: "اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِنْ أَشْرَفِ أَصُولِ الْقِرَاءَةِ وَأَهَمِّ فِصُولِ التَّلَاوَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحُرُوفَ أَصْلَ الْكَلَامِ كُلِّهِ، وَعَلَيْهَا مَدَارُ تَأْلِيفِهِ، ثُمَّ مِنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَعَاطَى هَذَا الشَّأْنَ، مَتَى مَا أَهْمَلَ إِحْكَامَ هَذَا الْبَابِ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى تَجْوِيدِ الْقِرَاءَةِ وَتَهْذِيبِهَا، وَكَانَ كَمَنْ رَامَ قِطْعَ تَيْهِ^(*) بِلَا دَلِيلٍ، وَإِصْعَادَ قُنَّةِ^(*) نَيْقٍ^(*) بِغَيْرِ مَا سَبِيلٍ، فَإِذَا عَرَفَ الْحُرُوفَ وَأَتَقْنَهَا، وَلَا حَظَّ أَجْنَاسِهَا وَأَحْكَامِهَا ثُمَّ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ طَبَعٌ يَتَقَبَّلُ هَذَا الشَّأْنَ وَيَمْتَزِجُ بِهِ، أَشْفَى بِهِ ذَاكَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَلْفَاظِ الْقَوْمِيَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ وَمَنْهُ" (1).

وَمِنْ مَجْمُوعِ عُلَمَاءِ تَجْوِيدِ الْقَدَامِيِّ الَّذِينَ بَيَّنُّوا أُسَاسِيَّاتِ الدَّرَايَةِ بِمَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا، الْحَسَنُ بْنُ قَاسِمِ الْمَرَادِيِّ (ت. 749هـ)، الَّذِي حَدَّدَ أَرْكَانَ عِلْمِ التَّجْوِيدِ وَبَيَّنَّ مَسْتَلْزِمَاتِهِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ تَجْوِيدَ الْقِرَاءَةِ يَتَوَقَّفُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُمُورٍ: أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَالثَّانِي مَعْرِفَةُ صِفَاتِهَا، وَالثَّلَاثُ مَعْرِفَةُ مَا يَتَجَدَّدُ لَهَا بِسَبَبِ التَّرْكِيبِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالرَّابِعُ رِيَاضَةُ اللِّسَانِ بِذَلِكَ وَكَثْرَةُ التَّكْرَارِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَأَسَاسُهُ تَلْقِيهِهِ مِنْ أَوْلَى الْإِتْقَانِ، وَأَخَذَهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الشَّأْنَ، وَإِنْ انْضَافَ عَلَى ذَلِكَ حَسْنَ الصَّوْتِ وَجُودَةَ الْفَكِّ، وَدِرَابَةَ اللِّسَانِ وَصِحَّةَ الْأَسْنَانِ كَانَ الْكَمَالَ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ تَفْصِيلِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَخَارِجِ

(*) - تيه: المفازة، يتاه فيها. (راجع لسان العرب: ابن منظور - 375/17).

(*) - قننة: أعلى الجبل. (راجع لسان العرب: المصدر نفسه - 228/17).

(*) - نيق: الطويل من الجبال - (راجع لسان العرب - المصدر نفسه - 242/12).

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري - ص 81.

والصفات: واعلم أن صفات الحروف أغمض وأدقّ من مخارجها، فعليك بإتقانها، فإنّه ملاك التجويد⁽¹⁾.

وقال ابن الجزري (ت. 833هـ): "أول ما يجب على مرید إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كلّ حرف من مخرجه المختصّ به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كلّ حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك طبعاً وسليقة... فإذا أحكم القارئ النطق بكلّ حرف على حدته موفّقاً فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنّه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد..."⁽²⁾.

ج- تحديد المخرج: بين المهدوي السبيل إلى تحديد المخرج بقوله: "إذا أردت معرفة حقيقة المخرج من الفم وغيره، فإنّما تنطق بالحرف ساكناً، وتدخّل عليه همزة الوصل، فتقول: آن، أم، فيظهر لك مخرج الحرف من الفم وغيره وكذلك تعتبر سائر الحروف"⁽³⁾.

ويعود الفضل لمبتكري هذه الطّريقة في تحديد مخرج الصوت إلى العالم اللّغوي الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويتبع بن جنيّ نفس الطّريقة التي ابتكرها الخليل بن أحمد في تحديد المخرج حيث يقول: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحرّكاً، لأنّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقرّه، وتجذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثمّ تدخّل عليه همزة

(1) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري - ص 82.

(2) - المرجع نفسه - ص 82.

(3) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني - دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق - سورية - ص 53.

الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: الك، اق، اج، وكذلك سائر الحروف⁽¹⁾.

نستخلص أن معرفة مخرج الحرف حددها القدامى بنطق الحرف ساكنا مع اجتلاب همزة وصل قبله، قال سيويه وهو تلميذ الخليل: "قال الخليل يوما وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك) والكاف التي في (مالك)، والباء التي في (ضرب)، ف قيل له: نقول: بَاء، كَاف، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كَهْ وَبَهْ، فقلنا: لما ألحقت الهاء؟ فقال: رأيتهم قالوا: عَهْ، فألحقوا هَاءً حَتَّى صَيَّرُوهَا يُسْتَطَاعُ الْكَلَامُ بِهَا، لِأَنَّهُ لَا يَلْفِظُ بِحَرْفٍ، فَإِنْ وَصَلَتْ قُلْتُ: كَ وَبَ، فاعلم يا فتى، كما قالوا: ع يا فتى.

فهذه طريقة كل حرف كان متحرّكا، وقد يجوز أن يكون الألف هنا بمنزلة الهاء، لقربها منها وشبهها بها، فتقول: بَا وَكَأ، كما تقول: أَنَا...، ثم قال: كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو يَا (غلامي)، وباء (ضرب)، ودال (قد)؟ فأجابوا بنحو مما أبوا في المرّة الأولى، فقال: أقول: إِبْ وَإِيْ وَإِذْ، فألحقوا ألفا موصولة، قال: كذلك أراهم صنعوا بالسّاكن، ألا تراهم قالوا: ابن واسم، حيث أسكنوا الباء والسين وأنت لا تستطيع أن تتكلم بساكن في أوّل اسم كما لاتصل إلى اللفظ بهذه السواكن، فألحقت ألفا حتى وصلت إلى اللفظ بها كما ألحقت المسكّن الأوّل في الاسم⁽²⁾.

(1) - سرّ الصنّاعة: ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان) - تحقيق حسن هندراوي - دار القلم - دمشق - ط2 -

1993 - ج1 - ص8.

(2) - الكتاب: سيويه - 320/3 - 321.

وعلى هذا الوجه يتبع علماء التجويد هذه الطريقة في تحديد مخرج الصوت أو الحرف، ويرى رمضان عبد التواب "أن هذه الطريقة لا تزال مقبولة لدى المحدثين من دارسي الأصوات"⁽¹⁾.

د- تقسيم الأصوات اللغوية: تقسم الأصوات اللغوية على أساس النطق بها قسمين: الصوامت، الصوائت أو المصوتات على حسب المعاصرين. الاختلافات في التسمية بين علماء اللغة العرب القدامى والمحدثين:

* عند القدامى: الخليل بن أحمد الفراهيدي سَمَّى الصوامت بالحروف الصَّحاح وتقابلها الصوائت بحروف الجوف أو الحروف اللينة⁽²⁾

* سيويه: تابع سيويه أستاذه الخليل في التسمية⁽³⁾.

* عند الأخفش والفراء: لقد سمايا الصوائت بالحروف، ويقابلها عند الأخفش حروف اللين⁽⁴⁾. ولم ترد للصوائت تسمية للفراء.

* عند أبي عبيدة: لم ترد تسمية للقسمين (الصوامت، الصوائت).

* عند المبرِّد (ت. 285هـ): سَمَّى المبرِّد (في القرن الثالث للهجرة) أصوات اللين بالمصوتة⁽⁵⁾.

(1) - ينظر: المدخل إلى علم اللغة: رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط1 - 1982 - ص15.

(2) - معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق المخزومي والسامرائي - دار الرشيد - بغداد - 1980 - ج1 - ص57.

(3) - الكتاب: سيويه - 435/4.

(4) - معاني القرآن: الأخفش - أبو الحسن - تحقيق فائز فارس - الكويت - ط2 - 1981 - ج1 - ص150.

(5) - المقتضب: المبرِّد (محمد بن يزيد) - تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة - القاهرة - ج1 - ص61.

- * عند ابن جنيّ (ت.392هـ): تابع ابن جنيّ المبرّد في تسمية أصوات اللين بالمصوّتة⁽¹⁾.
- * عند ابن سينا (ت.428هـ): استخدم بن سينا لأول مرّة المصطلحان معا الصّوامت والمصوّتات⁽²⁾.
- * عند أبي عمرو الداني (ت.444هـ): لقد عبّر أبو عمرو الداني عن الصّوامت بمصطلح جديد يكاد يعبر عنها بدقة إذ سمّاها الجامدة، وجعل ما يقابلها حروف المدّ واللين⁽³⁾.
- * عند المحدثين: أطلق اللغويّون العرب تسميات متعدّدة مشتقة من كلمتي Voyelles, Consonnes، فمنهم سمّاها صامتة⁽⁴⁾. تقابلها الصّوائت أو المصوّتات، ومنهم سمّاها الساكنة⁽⁵⁾. تقابلها أصوات اللين أو السّواكن⁽⁶⁾. تقابلها العلل. وآخر سماها حبيسة⁽⁷⁾. تقابلها عنده الطليقة التي تعني المصوّتات.

(1) - الخصائص: ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان) - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - القاهرة - ج3 - ص124.

(2) - أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين الملقّب بابن سينا - تحقيق محمد حسان الطيّار ومجيب مير عالم راجعه شاكّر الفحام وأحمد راتب النفاخ - مجمع اللّغة العربية - دمشق - ط1 - 1983 - ص16.

(3) - المحكم في نقط المصحف - أبو عمرو الداني - تحقيق الدكتورة عزة حسن - وزارة الثقافة والإرشاد دمشق - سوريا - 1960 - ص149.

(4) - علم اللّغة: محمود السّعران - ص32.

(5) - الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - مصر - ط1 - 1975 - ص62.

(6) - دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر - مكتبة عالم الكتب - القاهرة - ط1 - 1976 - ص113.

(7) - الوجيز في فقه اللّغة: محمّد الأنطاكي - دار الشّرق - بيروت - ط2 - د.ت - ص159.

تعليق محمد الأنطاكي عن التسميات اللغويين العرب: يقول اللغوي العربي محمد الأنطاكي: "...للغويين المحدثين من العرب تسميات مختلفة، وكلها لا يفي بالمراد لعدم تضمّنه الإشارة إلى طبيعة الخلاف بين الصّنفين، فتّمّام حسان يسمّيها بالصّحاح والعلل، و محمود السّعران يدعوها بالصّوائت والصّوامت، والدّواخلي والقصاص مترجما كتاب فندريس يسمّيانها بـ(السّواكن والحركات)، أمّا إبراهيم أنيس فيسمّيها بـ(السّواكن وأصوات اللين). فنراه يعلّق على تسمية تّمّام حسان بقوله أنّ هذه تسمية تصلح في مقام الصّرف لا في مقام الأصوات لما فيها من الإشارة إلى ثبات بعض الأصوات عند التصريف واختلال بعضها الآخر بالحذف والتغيير، وعلى تسمية الدكتور السّعران يقول: ففيها شيء من الغرابة والتناقض، إذ كيف يسمّي الصوت صامتاً؟ ويتابع قوله. أمّا اصطلاح الدّواخل والقصاص ففيه التباس بين السّاكن الذي لا تتلوه الحركة والسّاكن الذي بمعنى (Consonne). ومثل هذا يقال في اصطلاح إبراهيم أنيس" (1).

علّة الاختلاف بين المحدثين في التسمية: يرجع المحدثون سبب الاختلاف في تسميتها بالصّوامت، ففريق منهم يعلّل ذلك بأنّها لا تصوّت بنفسها، بل تحتاج إلى صائت، في حين أنّ الصّوائت تصوّت بنفسها (2). ويرفض محمود السّعران هذا التعليل قائلاً بوجود مفردات من غير العربية تكون من الصّامت دون الصائت، وأوضح علّة هذه التسمية أنّها بنيت على اعتبارات سمعية هي الاختلاف بين الأصوات في وضوحها في السّمع، فقد لاحظ بعض الأصوات

(1) - عن هامش الوجيز في فقه اللّغة: محمد الأنطاكي - ص 159.

(2) - علم اللّغة: محمود السّعران - ص 94.

أشدّ وضوحاً في السَّمع من بعض، فالصّوائت أشدّ وضوحاً من غيرها من الأصوات الكلامية⁽¹⁾.

أمّا غانم قدوري يرجّح مصطلحي الصّامتة والمصوّتة معللاً ترجيحه هذا إلى: "هناك ميزة تمتاز بها أصوات اللّين، أوحى بها المبرّد وابن جنّي وهي قابليتها على المدّ والتمطيط وافتقار الصّوائت إلى هذه الميزة، ففضّل هذين المصطلحين، لأنّهما يتميّزان بالدّلالة الصوتية المحضة، ثمّ لأنّ المتقدّمين من علماء العربيّة استخدموها، (وهذا الاستنتاج استخلصه غانم قدوري بعد أن استعرض أغلب التسميات السابقة للقدمات والمحدثين).

خلاصة ما تقدّم أنّ أوّل تصنيف يعنى الدّارسون به هو تقسيم الأصوات اللّغوية إلى أصوات جامدة وأخرى ذائبة، باصطلاح بعض علماء التجويد المتقدّمين، أو صامتة ومصوّتة والتي يقابلها في المصطلح الحديث (Consonnes) ومصوّتة المعروفة حديثاً بمصطلح (Voyelles) باصطلاح عدد من الدّارسين.

تعريف الصوت الجامد والصّوت الذائب:

الصوت الجامد: هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في أثناء النّطق به أن يعترض بعض أعضاء آلة النّطق على مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً، كما في نطق الكاف والباء مثلاً، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع انطلاق الهواء بحريّة عبر الحلق والّفم، كما في نطق الحاء والزاي مثلاً.

الصوت الذائب: هو صوت يتميّز بأنّه الصّوت المجهور الذي يحدث في أثناء النّطق به أنّه يمرّ الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والّفم من غير أن يقف في

(1) - علم اللّغة: محمود السّعران - ص162-163.

طريقه أيّ عائق يؤدي إلى تضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً⁽¹⁾.

التصنيف العددي للأصوات الذائبة والجامدة: جاء في كتاب الإيضاح لأحمد بن أبي عمر الأندرابي قوله: "والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف، ولا يجيء إلاّ مفتوحاً ما قبله، وهذه الحروف حروف المدّ واللّين، سمّيت بذلك لأنّها تذوب وتلين وتمتدّ، وما عداها جامد لأنّه لا يلين ولا يذوب ولا يمتدّ"⁽²⁾.

"يصل عدد الأصوات الجامدة في العربيّة إلى ثمانية وعشرون صوتاً، وهي: الهمزة، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ي، في مثل (يَعِدُّ وَيَبِيْتُ)، ج، ش، ل، ر، ن، ت، د، ط، ض، س، ز، ص، ظ، ذ، ث، ف، م، ب، و، في مثل: (وَعَدَ وَحَوَّضَ).

والأصوات الذائبة في العربيّة ثلاثة: الواو المضموم ما قبلها في مثل: (ذو)، والياء المكسور ما قبلها في مثل: (في)، والألف ولا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحاً وذلك في مثل: (ما) وهي التي سمّاها المتقدّمون من علماء العربيّة والتجويد بحروف المدّ واللّين.

ويتفق جمهور من العلماء المتقدّمين، ويؤيّدهم كثير من المحدثين أنّ الحركات الثلاث: الضمّة، والفتحة، والكسرة مأخوذة من أصوات المدّ الثلاثة، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمّة من الواو"⁽³⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 44.

(2) - الإيضاح في القراءات العشر: أحمد بن أبي عمر الأندرابي - تحقيق عدنان غني - العراق - 2002 - ص 318.

(3) - الكتاب: سيويه - 101/4.

العدد الإجمالي لأصوات اللغة العربية:

يصل عدد الأصوات اللغوية العربية إلى واحد وثلاثين صوتا نتيجة لعملية الجمع الآتية: 28 صوتا جامدا + 03 أثوات ذاتية = 31 صوتا لغويا عربيا.

4-1 تحديد مخارج الأصوات اللغوية العربية في علم التجويد:

لقد سبق وأن تكلمنا عن طريقة معرفة مخرج الصوت وقيمه بالنسبة لمريد التجويد، فعلماء التجويد يتبعون في تعيين مخرج الصوت الطريقة التي ابتكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي في ذوق الحروف، ولا تزال طريقته مقبولة لدى المحدثين من دارسي الأصوات.

وهناك وجهتان في ترتيب مخارج الأصوات: "الأولى: البدء بأقصى موضع من آلة النطق يمكن أن يخرج منه صوت لغوي، وهو أقصى الحلق (الحنجرة) ثم الانتقال إلى الموضع الذي يليه باتجاه الخارج، فيكون أول المخارج في الحنجرة وآخرها في الشفتين، وهذا هو الذي سار عليه جمهور المتقدمين، لأن النفس الذي يحدث به الصوت يخرج من الداخل، وأول نقطة يمكن أن يتكوّن فيها الصوت هي الحنجرة. الثانية: أن يكون أول المخارج في الشفتين، وآخرها أقصى الحلق، وهو الذي أخذ به بعض المحدثين متأثرين في ذلك بالدرس الأوروبي للأصوات"⁽¹⁾.

وهذه مخارج الأصوات الجامدة في اللغة العربية مرتبة على حسب الوجهة الأولى:

المخرج الأول: أقصى الحلق (الحنجرة) تخرج منه الهمزة والهاء.

المخرج الثاني: وسط الحلق، تخرج منه العين والحاء.

(1) - مدخل إلى علم اللغة: رمضان عيد التّوّاب - ص 15.

- المخرج الثالث: أدنى الحلق إلى الفم، تخرج منه الغين والخاء.
- المخرج الرابع: أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى تخرج منه القاف.
- المخرج الخامس: أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى لكنّه أدنى إلى مقدّم الفم تخرج منه الكاف.
- المخرج السادس: وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى تخرج منه الجيم والشين والياء.
- المخرج السابع: طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا (اللثة) تخرج منه اللام والراء والنون.
- المخرج الثامن: بين طرف اللسان وأصول الثنايا أيضا تخرج منه التاء والدال والطاء والضاد.
- المخرج التاسع: بين طرف اللسان وصفحة الثنيتين العليتين الداخلية تخرج منه السين والزاي والصاد.
- المخرج العاشر: بين طرف اللسان وأطراف الثنايا تخرج منه الثاء والذال والظاء.
- المخرج الحادي عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا يخرج منه الفاء.
- المخرج الثاني عشر: من بين الشفتين تخرج منه الباء والميم والواو⁽¹⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 52-53.

عدّة المخارج: "أحصى سيويه عدد مخارج الأصوات ستّة عشر مخرجا"⁽¹⁾، وتابعه جمهور علماء العربية وكثير من علماء التجويد المتقدمين في ذلك.

"أمّا الفراء (يحيى بن زياد ت. 207هـ-)، وقطرب (محمد بن المستنير ت. 206)، والجرمي (طالح بن إسحاق ت. 225)، وابن كيسان (محمد بن أحمد ت. 299)، ذكروا أنّ عدّة المخارج أربعة عشر مخرجا فقط، حيث جعلوا اللّام، والراء، والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان، ذلك للقرب الشّدِيد بينها، أمّا سيويه فقد جعلها من ثلاثة مخارج"⁽²⁾.

خلاصة لما سبق ذكره أنّ كثير من علماء اللّغة العربية والتّجويد عدّ مخارج الأصوات بستّة عشر مخرجا كما هي عند سيويه، وبعضهم عدّها بأربعة عشر وآخرون بسبعة عشر، لكنّ هذا التباين لا يستند إلى اختلاف في حقيقة النطق وإنّما يرجع ذلك إلى اختلاف وجهة نظرهم في جعل أصوات (اللام، الراء، النون) من مخرج واحد أو من ثلاثة مخارج، من غير أن يكون لذلك أثر في النطق أو طريقة الأداء.

إذا كانت الأصوات الجامدة في العربية ثمانية وعشرين صوتا والمخارج اثنا عشر مخرجا، فإنّ ذلك يعني أنّ عددا من الأصوات قد تشترك في المخرج الواحد، وهذا ما نلاحظه في أكثر المخارج، فالمخارج التي انفردت بصوت واحد هي مخارج: القاف، والكاف، والفاء، أمّا بقيّة المخارج فإنّه يخرج من المخرج الواحد الصوتان والثلاثة والأربعة.

(1) - الكتاب: سيويه - 433/4.

(2) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 55.

2- الصفات وموقعها في علم التجويد:

الأصوات التي تخرج من مخرج واحد، يفرق بينها في السمع اختلاف صفاتها، فقد يكون هذا الاختلاف في الجهر والهمس أو في الشدة والرخاوة وغير ذلك.

1-2 مقياس الصفة عند القدامى:

إنّ الهواء الخارج من الرئتين لإنتاج الأصوات إذا ما منع قبل وصوله إلى مخرج الحرف وفي أول مجرى النطق فإنه يكون منعاً للنفس أمّا إذا ما جرى فإنه يكون جرياً للنفس.

هكذا قاس القدامى صفة الجهر والهمس وميزوا الأصوات المجهورة من المهموسة، وضع هذا المقياس إمام النحو العربي سيبويه، وتابعه عليه كل من جاء بعده من اللغويين وأهل الأداء والقراءة القرآنية.

2-2 مقياس الصفة عند المحرّمين:

أمّا المحرّثون فقد عوّلوا في ذلك على ما يحدث للأحبال الصوتية الكائنة في منطقة الحنجرة عند النطق بالحرف، فكان عندهم مجهور ومهموس، ومهموس أو لا مجهور ولا مهموس⁽¹⁾.

تحدث آلة النطق عند الإنسان أصواتاً كثيرة جداً، وهناك عدّة أصوات تشترك في مخرج واحد أحياناً، فعملية إحداث الصوت عملية مركبة تتألف من ثلاثة أمور:

1- الأعضاء التي تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين.

(1) - مناهج البحث في اللغة: تمام حسّان - دار الثقافة - مصر - 1979 - ص 125.

2- الطريقة التي تتدخل بها هذه الأعضاء.

3- حالة الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت (الجهر والهمس).

الأمر الأول وهو ما سمّاه الدارسون مخرج الصوت، يقول مكّي في النهاية: "اعلم أنّ المخارج للحروف بمثابة الموازين تعرف بها مقاديرها"⁽¹⁾.

الأمران الآخران يبيّنان الكيفية المصاحبة لحدوث الصوت في مخرجه، فقد سمّوها الصفات، وتحديد مخرج الصوت لا يكفي وحده في توضيح خصائصه النطقية التي تميّزه عن غيره.

أ- بيان الصفة: هي كيفية الصوت عند النطق به من مخرجه سواء كانت تبيّن كيفية مرور الهواء في المخرج أو توضيح حالة الوترين الصوتيين، أو توضّح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مهماً في تمييز الصوت عن غيره⁽²⁾.

ب- الصفة لغة: الصفات جمع صفة، وهي في اللغة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد، ولم يريدوا بالصفة معنى النعت كما أراده النحويون مثل اسم الفاعل والمفعول أو ما يرجع إليها من طريق المعنى نحو: مثل وشبه...

ج- الصفة اصطلاحاً: هي كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر والهمس، والصفة هي صوت أو نفس مصاحباً للحرف (أي ملازماً له ومعه أينما خرج)⁽³⁾.

(1)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمّد مكّي نصر الجريسي - تحقيق عبد الرؤوف سعد - مكتبة

الصفاء - القاهرة - ط1 - 1999 - ص43.

(2)- المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

(3)- المصدر نفسه - ص67.

د- الفرق بين المخرج والصفة: المخرج يبيّن كمّيّة أو مقدار الحرف، كالميزان، أمّا الصّفة تبيّن كيفيته كالنّاقذ الذي يميّز الجيّد من الرّديء والقويّ من الضّعيف، كجري الصّوت وعدم جريه، أو جري النّفس وعدم جريه.

2-3 اختلاف العلماء في عدد الصّفات:

- عدّها الإمام بن الجزري بسبعة عشر صفة، وذلك القول المشهور على رأي الجمهور، ومنهم من أحصاها عشرين صفة.
- عدّها أبو محمّد مكّي بن أبي طالب بأربع وأربعين صفة.
- وقال الإمام البركوي، هي أربع عشرة صفة، بنقص الذّلاقة والإصمات والانحراف اللّين، وزيادة صفة الغنة، ووجه حذف الذّلاقة والإصمات لأنّها لا دخل لها في التجويد.
- وقال السخّاوي هي ستّة عشرة صفة بنقص الذّلاقة والإصمات، وزيادة صفة الهوائي وهو حرف الألف.
- وقال المرعشي هي سبع عشرة إلّا أنّه أنقص الذّلاقة والإصمات والانحراف واللّين وزاد أربع، الغنة والخفاء، والتفخيم، والترقيق، بالرغم من أنّ التفخيم والترقيق صفات عارضة⁽¹⁾.
- إذن لا تتحدّد الخصائص الصوتية للصوت إلّا بالوقوف على صفاته، ولقد تحدّث علماء اللّغة والتجويد عن نوعين من الصّفات، صفات مميّزة وصفات محسّنة.

(1) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمّد مكّي نصر الجريسي - ص 67-68.

أ- **الصفات المميزة:** يعرفها علماء اللغة المحدثين بقولهم: الصفات المميزة هي التي تميّز صوتاً عن آخر أو ما يعرف حالياً بالفونيم^(*)، ومنها الجهر والهمس، والشدة والرّخاوة والإطباق والانفتاح.
الجهر لغة: هو الإعلان والإظهار (أي إعلان الصّوت بحروفه).

الجهر اصطلاحاً: انحباس جري النفس عند النطق بالحرف وذلك لقوّته ولقوّة الاعتماد عليه في المخرج حتّى منع جريان النفس فكان فيه جهر⁽¹⁾.
تعريف الجهر صوتياً: الصّوت المجهور هو الذي يتذبذب (أو يهتزّ) الوتران عند نطقه، والأصوات الجامدة المجهورة في العربية خمسة عشر صوتاً هي: (ع، غ، ج، ي، ل، ر، ن، د، ض، ز، ذ، ظ، م، ب، و)⁽²⁾.

الهمس لغة: هو الخفاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾⁽³⁾؛ أي صوتاً خفياً هو: صوت مشي الأقدام إلى المحشر.
الهمس اصطلاحاً: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعفه وضعف الاعتماد على المخرج أي لا يعتمد على المخرج اعتماداً كلياً حتّى يجري النفس معه، فكان فيه همس (أي خفاء ولذا سمّي مهموساً)⁽⁴⁾.

(*)- الفونيم: هو الصّوت اللّغوي، وهو وحدة مستقلة (Unité) كالباء والجيم واللام.

(1)- المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم- دار البصيرة- مصر- ط1- 2006- ص87.

(2)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: د.غانم قدوري- ص60.

(3)- سورة طه- الآية: 108.

(4)- المفيد في أحكام التجويد: المرجع السابق- ص86.

تعريف الهمس صوتياً: ...والصّوت المهموس هو الذي لا يتذبذب أو لا يهتزّ الوتران الصوتيان عند نطقه؛ والأصوات المهموسة ثلاثة عشر صوتاً، هي: (هـ، ح، خ، ق، ك، ش، ت، ط، س، ص، ث، ف) (1).

صفة الشدّة والرّخاوة عند القدامى:

الشدّة لغة: هي القوّة.

الشدّة اصطلاحاً: كمال انقباس جريان الصّوت عند النطق بالحرف لكمال قوّة الاعتماد على المخرج، وشدّة أقوى من الجهر، وحروفه ثمانية، جمعها ابن الجزري في قوله، شديدها لفظ: أجد قط بكت، وهي: (هـ، ج، د، ق، ط، ب، ك، ت)، ولقبت بالشدّة لاشتداد الحرف في مخرجه حتى لا يجري معه الصّوت مثل: (أج، أت)، فلا يجري الصّوت فيها، ويكمل انقباس جريان الصّوت في الحرف الساكن أكثر من المتحرّك (2).

تعريف علماء الأصوات المحدثين للشدّة: يوصف الصّوت بالشدّة والرّخاوة، فإنّ ذلك يعتمد على كيفية مرور الهواء من مخرج الصّوت، فإذا حبس النّفس في المخرج حبسا كاملاً ثمّ أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصّوت شديداً، ويسمّيه كثير من المحدثين انفجارياً... والأصوات الشديدة في العربية وفي النطق المعاصر هي: (هـ، ق، ك، ج، ط، ت، د، ض، ب) (3).

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: د. غانم قدوري - ص 60.

(2) - المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 87-88.

(3) - أبحاث في علم التجويد: د. غانم قدوري الحمد - ص 93.

الرّخاوة في درس اللّغوي القديم:

الرّخاوة لغة: هي اللين بمعنى أنّ حروفها تخرج في تراخي ويسر، وعدم الصعوبة عكس الشدّة.

الرّخاوة اصطلاحاً: هي جريان الصّوت عند لتّطق بالحرف لضعفه وضعف اعتماده على المخرج، وحروفه ستّة عشر، وهي المتبقية بعد حروف الشدّة، وهي: (خ، ذ، غ، ث، ح، ظ، ف، ض، ش، و، ص، ز، ي، س، ا، هـ) (1).

الرّخاوة في الدّرس الصوتي الحديث: إذا حصل تضيق لمجرى النّفس في المخرج من غير أن يحتبس فيه، كان الصّوت رخوا ويسمّيه كثير من المحدثين احتكاكياً، والأصوات الرّخوة هي: (هـ، ع، ح، غ، ش، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ي).

ملاحظة: ...ويحصل في أثناء نطق بعض الأصوات اعتراض لمجرى النّفس في المخرج، ولكن لا يحصل حبس تام، لأنّ النّفس يجد له منفذا يتسرّب منه، ويسمّى الصّوت حينئذ متوسّطاً، والحروف المتوسّطة هي: (ل، ر، ن، م) (2).
صفة التوسّط عند القدامى: يأخذ القدامى بمصطلح التوسّط أو البينية، وعندهم التوسّط لغة: هو الاعتدال، واستقامة الشّيء بلا نقص ولا زيادة، ووسط الشّيء منتصفه، وبينية أي بين صفتين، لذلك يقال بين بين؛ أي بين الشدّة الرّخاوة.

(1) - المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 88.

(2) - أبحاث في علم التجويد: د. غانم قدوري - ص 94.

التوسّط اصطلاحاً: هو عدم انحباس الصّوت (أي لا يحبس بالكلية) مع الحرف وعدم جريه، حروفه خمسة على القول المشهور والمختار مجموعة في: (ن عمر)، (ل، ن، ع، م، ر)⁽¹⁾.

قال المرعشي: "إنّ الحروف الشديدة آنية لا توجد إلاّ في آن حبس النفس، وما عداها زمانية يجري فيه الصّوت زمانا وهي متفاوتة في الجريان، إذ الحروف الرخوة أتمّ جريانا من الحروف البيئية، وحروف المدّ أطول زمانا من سائر الحروف الرخوة"⁽²⁾.

إنّ المرعشي في هذا القول يفسّر صفة التوسّط والرّخاوة والشدة بالمدّة الزمانية التي يستغرقها جريان النفس من الرّئة إلى الحنجرة من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ اختلاف بين علماء اللّغة في عدد الحروف المتوسّطة، فهناك من يعدّها ثمانية ويجمعها في قوله (لم يرو عئا)، وهناك من يعدّها سبعة ويجمعها في قوله (نولي عمر)، وهناك من يجعلها خمسة ويجمعها في قوله (لم نرع)، لكنّ غانم قدوري يرى أنّ عدد الحروف المتوسّطة أربعة فيقول: (ويترجّح لديّ أنّها أربعة وذلك لأنّ العين أخت الحاء، ولا يفرّق بينهما إلاّ الجهر في العين والهمس في الحاء، والحاء رخوة، ولأنّ الألف من الأصوات الذّائبة التي لا تدخل في ما نحن بصدد الحديث عنه، وكذا، الواو في (أدعو)، والياء في (أرمي)، أمّا الواو في (حوض)، والياء في (بيت)، فجعلهما في الأصوات الرخوة أولى، لما فيهما من اللين ويجريان النفس فيهما واضح بين⁽³⁾.

(1) - أحكام علم التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 89.

(2) - نهاية القول المفيد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 72.

(3) - علم التجويد: د. غانم قدوري - ص 63.

لقد اختلف القدامى والمحدثين في مخرج الضاد كما سبق وأن ذكرنا في مبحث خاص بصوت الضاد، حيث جعل سيبويه الضاد من الأصوات الرخوة، وجعلها تخرج من مخرج من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، وهذا الوصف ينطبق على الضاد القديمة، أما الضاد المنطوقة اليوم بالسنة مشهوري قراءة القرآن فإنها شديدة ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا (اللثة) مع التاء والطاء والدال، وهي النظير المطبق للدال، وقد صاحب هذا الانتقال في المخرج تغيير في الصفة بأن كانت رخوة فأصبحت شديدة⁽¹⁾.

وعليه، إذا كان بعض علماء التجويد قد جمعوا الأصوات الشديدة على قول: (أجدك قطبت) فعليهم إضافة صوت الضاد على من جعله شديداً مثل صوت الدال وأخواته...⁽²⁾.

الآراء العلمية للجهر والهمس:

عند المحدثين: يعتمد المحدثون في تقسيم الأصوات اللغوية إلى مجهورة، ومهموسة، على اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، فإن اهتزازاً في نطق الصوت كان مجهوراً، وإلا فهو مهموس، وهو تصنيف قائم على نطق القراء المعاصرين، وعلى هذا الأساس صنفت الأصوات العربية إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: أصوات مجهورة وهي: (ع، غ، ج، ي، ض، ل، ن، ر، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و)، إضافة إلى الصوائت الطويلة والقصيرة.

(1) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: د. عبد البديع التيرباني - ص 69.

(2) - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس - ص 19-20.

المجموعة الثانية: أصوات مهموسة وهي: (هـ، ح، خ، ق، ك، ش، ط، ت، ص، س، ث، ف)، لكنهم اختلفوا في صوت الهمزة، ففريق منهم جعلها مهموسة وآخر نفى أن تكون مهموسة أو مجهزة⁽¹⁾.

طريقة اختبار جهر الصّوت: يأخذ أهل الاختصاص بطريقة معينة لاختبار جهر الصّوت، تتمثل في وضع إحدى الأصابع على القردحة (تفاحة آدم) وينطق الصّوت مفردا هكذا (ب، ت)، فتتحسّس اهتزاز الوترين الصوتيين، أو تسدّ الأذان، فلا يسمع حينئذ إلاّ رنين يصنعه ذلك الاهتزاز إن كان الصّوت مجهورا، فإن كان مهموسا لم يسمع شيء البتّة.

عند سيويوه: يقول هذا الأخير: "إذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمدّ، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت، وطريقة تتمثل في تكرير الصّوت مع جري النّفس مدعوما بحروف اللين والمدّ، أو بما فيها منها وهي الحركات لأنّها بعض حروف المدّ، أو بالإخفاء والتّسكين، فإذا استقام ذلك كان الصّوت مهموسا، وإلاّ فهو مجهور"⁽²⁾.

وقد برهن الاستقراء على أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المئة منه، في حين أنّ أربعة أخماس الكلام تكون من أصوات مجهزة⁽³⁾.

القيمة التمييزية بين الهمس والجهر: دلّت التجارب على أنّ الصّوامت المجهزة أوضح في السّمع من الصّوامت المهموسة، مع أنّ نطق الأخرى يحتاج

(1) - مناهج البحث في اللّغة: د. تمام حسّان - ص 125.

(2) - ينظر: الجوانب الصّوتية في كتب الاحتجاج والقراءات: د. عبد البديع النيرباني - ص 323.

(3) - الأصوات اللّغوية: د. إبراهيم أنيس - ص 20-21.

أكثر من نطق الأولى إلى هواء زفير (نفس)، ولنجرّب على ذلك ببسط أحد منّا كفّه أمام فيه، ونطق صامتا مهموسا متلوّيا بنظيره المجهور نحو: س/ز، ونطق الصّوامت المهموسة يحتاج أيضا إلى بذل جهد أقوى من نطق الصّوامت المجهورة، أمّا الصّوامت الانفجارية المهموسة كالتاء مثلا فيكون حبس الهواء فيها أحكم من الصّوامت الانفجارية المجهورة كالدّال، وتسريح الهواء في الأولى أسرع منه في الأخرى، وأمّا الصّوامت الاحتكاكية المهموسة كالسّين مثلا، فتكون درجة الانفتاح فيها أقلّ من الصّوامت الاحتكاكية المجهورة كالزّاي⁽¹⁾.

عند القدامى: لقد تحدّث سيوييه حديثا دقيقا ومفصّلا عن صفات الأصوات وكان حديثة ذلك مرجعا أساسيا اعتمد عليه الباحثين من بعده في قضية الجهر والهمس، فقال معرّفا الصّوت المجهور بأنّه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي ذلك الاعتماد فيجري الصّوت، والأصوات المجهورة عنده هي: (ء، ا، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و)، وقال معرّفا الصّوت المهموس بأنّه حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النّفس معه، والأصوات المهموسة عنده هي: (هـ ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف)؛ كما عرف الصّوت الشّديد بقوله هو الذي يمنع الصّوت أن يجري فيه⁽²⁾.

تحليلا لكلام سيوييه عن الصّوت المهموس والمجهور، وجدنا أنّه استخدم مصطلحات خاصّة منها: مصطلح النّفس وأراد به هواء الزّفير، ومصطلح الصّوت وأراد به ما تحسّ به الأذن من عمل أعضاء النّطق، وكذلك مصطلح

(1) - علم اللّغة: د. محمود السّعران - ص 151-152.

(2) - ينظر: الكتاب: سيوييه - 434/4.

الاعتماد وأراد به ما تبذله تلك الأعضاء من جهد في إنتاج الصّوت، وكذلك مصطلح الإشباع وأراد به الاعتماد في قوّته لمقابلته بالإضعاف.

بالإضافة إلى علّة قوله: بالحلّق والضمّ أو الفم والخياشيم، فإنّه يرى أنّ موضع الاعتماد لا يقتصر عنده على مخرج الحرف، بل هو أعمّ منه، ولهذا كان يقول أنّ الحروف المجهورة هي حروف أشبع الاعتماد في موضعها ولم يقل في مخرجها.

نستنتج من هذا التحليل أنّه إن صحّ هذا التفسير للاعتماد عند سيويه فسيكون كلامه فيه قلباً للحقيقة وهو ما عليه واقع الأمر، ولقد عرفنا من قبل أنّ الأصوات المهموسة أكثر كلفة على أعضاء النطق من الأصوات المجهورة وليس العكس.

إذن إنّ الباحث في كتب التجويد المعاصرة سيجد اضطراباً كبيراً في تعريف الصّوت المجهور والصّوت المهموس، كما سيجد غموضاً في عبارة سيويه، ويبدو أنّ هذا الغموض أو الوهم سبق إلى سيويه واللّغويين من بعده، ويتمثّل توهمهم بأنّ الأصوات المجهورة أو ضح في السّمع من الأصوات المهموسة، فحسبوا أنّ قوّة الصّوت في المجهورات ناتجة عن فضل جهد في نطقها لا يكون في المهموسات، فذهبوا إلى ما ذهبوا إليه.

وكان اعتماد سيويه في تمييز الأصوات مجهورها ومهموسها على أمرين اثنين: الأول الاعتماد، والأمر الثاني النّفس، لكننا نلاحظ أنّ سيويه لا يريد بتعريفه للصّوت المجهور الذي قال فيه إذا أشبع الاعتماد حتّى انقطاع جري النّفس، نفي جري النّفس كلياً، بل هو يريد بانقطاع جري النّفس الكثير كما

يحدث مع الصّوت المهموس، لأنّ الصّوت لا يتحقّق بلا نفس معه سواء أكان مجهوراً أم مهموساً⁽¹⁾.

لقد التبس أمر تعريف الصّوت المجهور والصّوت الشّدِيد عند بعض اللّغويين نتيجة للتشابه الكبير بين التعريفين لدى سيبويه، واستخدامه عبارة (جري النفس) في المجهور و(جري الصّوت) في الشّدِيد، فهذا السكّاكي مثلاً يخلط بين مفهوم الصّوت الشّدِيد والمجهور حيث يقول في توضيح الهمس، أنّ معناه الخفاء، وضدّه الجهر وهو الإعلان والإظهار...، وفي توضيح الشدّة والجهر يقول معناهما القوّة وضدّهما الرّخاوة، والرّخاوة في اللّغة اللّين، والشدّة واللّين هما صفتان متضادّتان. أمّا معناهما في الاصطلاح ضعف التصويت بالحرف في مخرجه حتّى جرى معه النفس، فكان فيه همس أي خفاء، وتوضّح الرّخاوة لغة؛ معناها اللّين، واصطلاحاً ضعف لزوم الحرف له لضعف الاعتماد عليه في مخرجه فسُمّي رخوا⁽²⁾.

ويتعجّب من تفسير إبراهيم أنيس للإخفاء بالإهماس في قوله: "والذي لم يكن يعرفه سيبويه، هو أنّ الإخفاء معناه إسكات الذبذبات التي تحدث مع كلّ مرور في الوترين الصّوتيين بالحنجرة"⁽³⁾.

مقارنة الأصوات المجهورة بين القدامى والمحدثين: اعتبر القدامى صوت الهمزة والقاف والطّاء من الأصوات المجهورة، واعتبر المحدثون هذه الأصوات أصوات مهموسة، ويرجع هذا التباين في تصنيف تلك الأصوات إلى أمور هي:

(1) - الجوانب الصّوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: د. عبد البديع التيرباني - ص 322.

(2) - ينظر: أبحاث في علم التجويد - د. غانم قدوري - ص 96-97.

(3) - سرّ صناعة الإعراب: ابن جني - 60/1.

﴿ اختلاف كل من القدامى في معنى الجهر والهمس.
 ﴿ خطأ القدامى في جعل هذه الأصوات مجهورة.
 ﴿ أن القاف والطاء كان لهما نطقان، أحدهما مجهور هو الذي
 خصّه القدامى بالوصف، والآخر مهموس هو الذي شاع بعد
 في الألسنة⁽¹⁾.

يبدو أن القدامى اللغويين أرادوا من الجهر والهمس ما يريد المحدثون
 منهما، وهم إن جعلوا منشأ افتراقهما، هو اهتزاز الوترين الصوتيين، فقد أحسوا
 أثره، ودعوه بصوت الصدر، ولا أدل على دقة إحساسهم هذا مما اصطلحوا
 عليه في ذلك من كلمتي (الجهر) و(الهمس)، حيث قال مكّي: "وإنما لقب هذا
 المعنى بالهمس، لأن الهمس هو الحسّ الخفيّ الضعيف، فلما كانت ضعيفة لُقبَت
 بذلك، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾⁽²⁾؛ قبل هو
 حسّ الأقدام، وإنما لقب هذا المعنى بالجهر لأن الجهر الصّوت الشّدِيد القويّ،
 فلما كانت في خروجها كذلك لُقبَت به، لأنّ الصّوت يجهر بها لقوّتها"⁽³⁾.

يعود توهم القدامى في أن قوّة الصّوت في المجهورات عائد إلى قوّة الجهد
 في نطقها حتّى ينقطع معها جري النّفس، حيث جعلوا هذا الإحساس ضابطاً أو
 قانوناً يرجعون إليه، ومما زاد من تمسّكهم بهذا الحكم ولم يحاولوا النظر فيه هو
 أنّ هذه الأصوات نظائر بيّنة الهمس هي: (الهاء، الكاف، والتاء)، وظنّوا أنّ ما

(1) - علم اللّغة العام للأصوات: د. كمال بشر - دار المعارف - مصر - ط2 - 1971 - ص103.

(2) - سورة طه - الآية: 108.

(3) - الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: القيسي (مكّي بن أبي طالب) - تحقيق د. أحمد حسن فرحات - دار الكتب العربيّة دمشق - سوريا - 1973 - ص92-93.

يفارق (الهمزة من الهاء، والقاف من الكاف، والطاء من التاء)، مع كل من هذه الأزواج من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين، هو الجهر في الأول والهمس في الآخر⁽¹⁾.

وعليه، يؤكد غانم قدوري على أمرين اثنين: "أولاً، وجوب إعادة صياغة تعريف الصوت المجهور، والصوت المهموس في ضوء حقائق علم الأصوات اللغوية المعاصر، في الكتب التي تؤلف في علم التجويد، وتحويل تعريف سيبويه لهما إلى البحوث التاريخية، وعدم إيراده في الكتب التعليمية. ثانياً، التوقف عن وصف الأصوات الثلاثة (ء، ق، ط) بصفة الجهر لأنها أصوات مهموسة في واقع التلاوة المعاصرة..."⁽²⁾.

صفة الإطباق والانفتاح: "الإطباق لغة؛ معناه الإلصاق، واصطلاحاً هو إطباق أي تلاصق، ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند التلفظ بالحرف، ويقول القسطلاني: الإطباق تلاقي طائفتي اللسان، والحنك الأعلى عند النطق بحروفها"⁽³⁾.

وضعية اللسان في الإطباق: عند النطق بالصوت المطبق، هي أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الصوت.

الانفتاح: لغة، معناه الافتراق، اصطلاحاً تجافي كل من الطائفتين، أي طائفتي اللسان، والحنك عن الآخر حتى يخرج الريح عند النطق بالحرف.

(1) - ينظر: الجوانب الصوتية: عبد البديع النيرباني - ص 325.

(2) - أبحاث في علم التجويد: د. غانم قدوري - ص 98.

(3) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 76.

وضعية اللسان في الانفتاح: ... والانفتاح أن لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت⁽¹⁾.

لقد فصل سيبويه القول في هاتين الصفتين فقال: "ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فـ(الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء)، والمنفتحة كلّ ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى"⁽²⁾.

ويصف سيبويه هيئة اللسان عند الإطباق والانفتاح وصفا دقيقا فيقول: "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في موضعهنّ انطبق لسانك من موضعهنّ إلى ما حدى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصّوت المحصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف، وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في موضعهنّ، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بيّن بحصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطّاء دالا، والصّاد سينًا، والظّاء ذالا، ولا خرجت الضّاد من الكلام لأنّه ليس شيء من موضعها غيرها"⁽³⁾.

تعليق على قول سيبويه: إن الوصف الذي وصفه سيبويه للطّاء بأنّه صوت مجهور وصف قديم وكذلك وصفه لصوت الضّاد، لكنّ بالنسبة للنطق الفصيح اليوم لهذه الأصوات يقتضي أن تصير الطّاء تاء، والضّاد دالا، إذا فقدتا الإطباق، وعلى هذا الأساس يقول ابن جنيّ في كتابه سرّ الصنّاعة: "وأشهر ما

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 63.

(2) - الكتاب: سيبويه - 436/4.

(3) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

يُميّز حروف الإطباق في أبواب العربية أنّها إذا وقعت فاء في (الافتعال) وما تصرف منها، أبدلت التاء فيها طاء للمشاكلة⁽¹⁾.

صفة الإذلاق: لغة معناه حدة اللسان وبلاغته وطلاقته، واصطلاحاً هو سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان، وأصوات الذلاقة ستة هي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، سميت مذلقة لسرعة النطق بها، وخروجها من طرف اللسان وطرف كلّ شيء ذلقة، وهي أحفّ الحروف، وغير هذه الأصوات، الأصوات المصمتة.

الإصمات: لغة معناه المنع، صمت مع نفسه عن الكلام، والمراد بها هنا أنّها ممنوعة من انفرادها أصولاً في بناء كلمة، من أربعة أو خمسة أحرف.

اصطلاحاً: امتناع الحروف المصمتة أن تختصّ ببناء الكلمة في لغة العرب، حروفها أكثر من ثلاثة، ومعنى ذلك أنّ الكلمة المكوّنة من أربعة أو خمسة أحرف أصلية يمتنع أن تكون فيها هذه الأحرف كلّها مصمتة، بمعنى نلا يصحّ أن تأتي كلمة كلّ حروفها مصمتة ولكن لا بدّ من أن يأتي في الكلمة حرف مذلق لتعادل خفة المذلق ثقلاً المصمت⁽²⁾.

وقد ذكر بعض العلماء القراءة أنّ هاتين الصّفتين لا دخل لهما بعلم التجويد لأنّه ليس لهما دلالة صوتية بيّنة، ولهذا أبدلها بعض من علماء العربية وعلماء التجويد بصفات أخرى مثل الخفاء والظهور والقوّة والضعف⁽³⁾.

(1) - سرّ صناعة الإعراب: ابن جنيّ - 217/1.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 78-79.

(3) - المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 93.

ب- الصفات المحسنة: هي التي تحسن الصوت دون أن تميّزه عن غيره أي تجعل منه الوفون(*)، دون أن تخرجه من إطاره الفونيمي⁽¹⁾، ونضيف تعريف غانم قدوري للصفات المحسنة بقوله: "صفات محسنة، لا تفرّق بين الأصوات، لكننا تعطي الصوت صفة نطقية يمتاز بها هو، فهي محسنة للأصوات فقط، ولا تكون سببا لتمييزها عن غيرها وذلك مثل القلقة والصفير، والتفشي، والانحراف، والتكرير، والغنة، والاستعلاء، واللين"⁽²⁾.

القلقة: وهي حروف مشربة في مخارجها، فيقول سيويه: "واعلم أنّ من الحروف حروفا مشربة"⁽³⁾.

ومعنى مصطلح الإشراب هو خروج صوت من الفم عند الوقف على الحرف، وهو في اللغة معنى الخلط، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾⁽⁴⁾، فكان الحرف المشرب لما أتبع بذلك الصوت خلط به. والحروف المشربة على ثلاثة أضرب.

حروف القلقة: قال بن أبي مريم معرّفا القلقة بقوله: "ومن الحروف... ما يسمّى حروف القلقة، ويقال للقلقة أيضا، وهي حروف مشربة في مخارجها، إلا أنّها تضغط ضغطا شديدا، فإنّ لها أصواتا كالحركات تتقلقل عند

(*)- الوفون أو الألفون: هناك من يدخل الحركات كالفتحة والضمة والكسرة في مصطلح الألفون لأنّها لا تغيّر من حقيقة الصوت اللغوي أي الوحدة الصوتية (ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- 2002- ص 80-81).

(1)- الصوتيات العربية: د. منصور بن محمد الغامدي- ص 90.

(2)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري- ص 87.

(3)- الكتاب: سيويه- 174/4.

(4)- سورة البقرة- الآية: 93.

خروجها، أي تضطرب، ولهذا سمّيت حروف القلقلة، وهي خمسة: القاف، الجيم، الطاء، الدال، والباء⁽¹⁾.

كيفية حدوث التقلقل في الصّوت: إنّ كلّ من صوت القاف والجيم والطاء والدال والياء شديدة انفجارية، حيث يحدث أن يجبس النّفس في مخرج الصوت لحظة ثمّ يطلق فجأة، على نحو سريع فتؤدّي هذه العملية الصوتية إلى أن نسمع نبرة أو صوت يتبع الصّوت الشّديد، وسماع هذا الصوّيت بارز في الوقف منه في درج الكلام، وتنطق هذه الحروف (حروف القلقلة) في الوقف على دفعتين، تكون في الأولى احتباسية، وفي الأخرى انفجارية مقطوعة بإقفال حنجري.

أشار مكّي في كتابه الرّعاية حين أخذ في بيان معنى القلقلة في ذلك الصوّيت (أي التقلقل) الذي يصاحب الأصوات الانفجاريّة الشّديدة فقال: "وإنّما سمّيت بذلك لظهور صوت يشبه النّبرة عند الوقف عليهنّ وإرادة إتمام النطق بهنّ"⁽²⁾.

القلقلة حالة خاصّة بالحرف الساكن: يظهر صوت القلقلة في الأصوات الخمسة المتقلقلة وهي ساكنة سواء كانت في وسط الكلمة أو وقف عليها متطرّفة، وهي في الوقف أظهر منها في الوصل⁽³⁾.

(1) - الموضّح في وجوه القراءات وعللها: ابن أبي مریم- تحقيق د. عمر حمدان الكبّيسي- جلد 1- ط1- 1993- ص176-177.

(2) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكّي بن أبي طالب- ص100.

(3) - النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري- قدّم له وعلّق عليه جمال الدّين محمد شرف- دار الصحابة للتراث- مصر- ط1- ج1- ص166.

وذلك مثل: الباء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾⁽¹⁾، وفي قوله: ﴿الْأَبْوَابِ﴾⁽²⁾، والجيم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ﴾⁽³⁾. وفي قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾⁽⁴⁾، والقاف في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾⁽⁵⁾، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ﴾⁽⁶⁾، والطاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾⁽⁷⁾، وفي قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾⁽⁸⁾.

مراتب القلقلة: للقلقلة مرتبتان ليس غير، وهما: القلقلة الكبرى، والقلقلة الصغرى، إذا كان صوت القلقلة في آخر الكلمة ووقف عليه كانت القلقلة شديدة سميت قلقلة كبرى، وإذا كان ساكنا في وسط الكلمة كانت القلقلة أخف سميت قلقلة صغرى، وينبغي لزوم الحذر من المبالغة في إظهار صوت القلقلة إذ يجب أن يكون إخراجها سهلا لا يصل إلى أن يكون مثل الحركة⁽⁹⁾.

القلقلة ليست من الصفات الأصلية: يقول القارئ المجود أيمن رشدي سويد: "إن تصنيف القلقلة ضمن الصفات الأصلية إنما هو قول الشيخ المرصفي وقول بعض المتأخرين، وذلك خطأ، فالصفة الأصلية كصفة الصّفير مثلا لا تنفك عن الحرف إذ لا يوجد (ص، س، ز) ليس فيها صفير سواء فتح الحرف

(1)- سورة الحجرات - الآية: 11.

(2)- سورة يوسف - الآية: 23.

(3)- سورة النساء - الآية: 100.

(4)- سورة البلد - الآية: 10.

(5)- سورة الأعراف - الآية: 181.

(6)- سورة النساء - الآية: 115.

(7)- سورة ص - الآية: 22.

(8)- سورة نوح - الآية: 14.

(9)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 66.

أو ضمّ أو كسر أو سكن أو شدّد، أمّا القاف فليس فيها قلقلة إلاّ إذا سكّنت، فهي إذا صفة غير أصلية، وهذا الخطأ من تصنيف المتأخّرين ورواياتهم، وقد قال بن الجزري - رحمه الله - (وبينّ مُقلِّلاً إن سكّنا) ولم يقل مطلقاً، ويلاحظ أنّ في بعض الكلمات قلقلة أصعب من غيرها كأن يجتمع في الكلمة ساكنان: الأوّل منهما مقلقل مثل كلمة في قوله تعالى: ﴿الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾، و﴿وَلَا الْهَدْيِ﴾⁽²⁾، وإمّا أن يكون الثاني هو المقلقل مثل في قوله تعالى: ﴿فَسَقُّ﴾⁽³⁾، و﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾⁽⁴⁾، ومن النادر جدّاً أن يجتمع حرفا قلقلة متتاليان مثل في قوله تعالى: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾⁽⁵⁾، فالباء فيها ساكنة أصالة والدال ساكنة عروضاً للوقف⁽⁶⁾.

الصّفير: وهو لغة صوت يصوّت به للبهائم يشبه صوت الطائر. واصطلاحاً: هو صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصاحب حروفه الثلاثة عند خروجها، والحروف هي: الصّاد، والزّاي، والسّين⁽⁷⁾.

علّة تسميتها بحروف الصّفير: سمّيت حروف الصّفير لأنك إذا قلت (أص، أز، أس) سمعت لهنّ صوتاً يشبه صوت الطائر لأنّها تخرج من بين الثنايا العليا والسّفلى وطرف اللّسان، فينحصر الصّوت هناك، ويأتي كالصّفير،

(1) - سورة القدر - الآية: 1.

(2) - سورة المائدة - الآية: 2.

(3) - سورة المائدة - الآية: 3.

(4) - سورة الإسراء - الآية: 29.

(5) - سورة البقرة - الآية: 178.

(6) - إضاءات في علم التجويد: أيمن رشدي سويد - جمع وتقديم سمر العشا - دار الغوثاني للدراسات

القرآنية - دمشق - ص 78-79.

(7) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: مكّي نصر - ص 79.

وظهوره في الحرف الساكن أظهر منه في المتحرك، وذلك بسبب ضيق المخرج بين أسلة(*) اللسان أي أذقّ طرفه والثنايا، فيندفع الصوت في تراخي بعد انحصاره، فيخرج الصوت كصوت الصفارة...، فالصّاد يشبه صوت الإوز، والزاي يشبه أزيز(*) النحل، والسين يشبه صون الجراد، وفي هذه الأحرف الثلاثة لأجل صفيها قوة، أقواها الصّاد للاستعلاء والإطباق، بعدها صوت الزاي للجهر لأنه من صفات القوة، أمّا السين أضعفها لكونها مهموسة، والهمس هو الخفاء، وصفة الصّفير صفة ذاتية في الأصوات الثلاثة التي هي: الصّاد، والزاي، والسين لا تنفك عنها كالغنة في النون والميم، ومنهم من ألحق في هذه الأصوات صوت الشين⁽¹⁾.

التغير الصوتي لأصوات الصّفير: "وتختصّ حروف الصّفير بأنّ حروف طرف اللسان تدغم فيها، ولا تدغم هي في حروف طرف اللسان، لما فيها من زيادة الصوت بالصّفير، وفي هذا يقول أبو عليّ أنّ الصّاد والسين والزاي لم يدغمن في الطّاء والتّاء والدّال، ولا في الظّاء والتّاء والدّال، لما فيهنّ من زيادة الصوت التي ليست في هذه الستّة وهو الصّفير، وأدغمن فيهنّ"⁽²⁾.

(*)- الأسلة: طريقة معرفتها كالاتي: إذا أحضرت شيئاً فلعقته (لحسته بأول طرف اللسان من البداية جدّاً) لسانك فهذه هي الأسلة (نهاية القول المفيد في علم التجويد: مكّي نصر- ص 79).

(*)- سميت بذلك لما يصاحبها من صفير أو أزيز (دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر- ص 98).

(1)- الموضح في وجوه القراءات وعللها: ابن أبي مريم- 177/1.

(2)- الحجّة للقراء السبعة: أبو عليّ الفارسي- تحقيق بدر الدين قهوجي- دار المأمون للتراث- دمشق-

ط2- 1993- ج1- ص90.

التفشي: "لغة معناه الانتشار والانبثاق، وقيل معناه لغة الاتساع، لأنه يقال تفتشت القرحة بمعنى اتسعت. واصطلاحا انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المشالة"⁽¹⁾.

ويعرف سيويه في كتابه، التفشي هو "أن ينتشر الصوت بالحرف بعد خروجه حتى يخالط مخرج غيره"⁽²⁾.

علاقة التفشي بالاستطالة: ويسمى التفشي أيضا بالاستطالة. نحو قول أبي عليّ في احتجاجه لقراءة أبي عمرو: "﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾"⁽³⁾، بإدغام التاء في الضاد لأن الضاد تفتشى الصوت بها واتسع واستطال، حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا وطرف اللسان، فأدغم التاء فيها، وسائر حروف طرف اللسان وأصول الثنايا، إلا حروف الصّفير فإنها لم تدغم في الضاد، ولم تدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت، فكره إدغامها فيما أدغم فيها من هذه الحروف لما فيها من التفشي والاستطالة، حتى اتصلت بأصول الثنايا مع أنّها من وسط اللسان"⁽⁴⁾.

وقوله أيضا في أن الحروف وإن تفاوتت قوة وضعفا تستوي جميعا في الوزن: "...ألا ترى أن الضاد، وإن شغلت في خروجها مواضع لتفتشيها واستطالتها بمتزلة التون التي تخرج من الخياشيم في الوزن، على أنه شاع لدى المتأخرين تخصيص الاستطالة بالضاد، وينبغي على القول بتفتشي حرف جواز

(1) - القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر - ص 84.

(2) - الكتاب: سيويه - 432/4.

(3) - سورة العاديات - الآية: 1.

(4) - الحجّة للقراء السبعة: أبو عليّ الفارسيّ - 90/1.

إدغام حروف المخرج الذي اتصل صوته به فيه، أو إبداله منه، والحروف المتفشية ثلاثة: الشين، والضاد، والفاء⁽¹⁾.

فأما الشين والضاد، فلحق الصوت بهما حروف طرف اللسان وأصول الثنايا، قال أبو علي في الاحتجاج لقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾⁽²⁾، بتشديد الشين وقال سيويه في كتابه: "وتقدير تشقق بتشقق، فأدغم التاء في الشين لأن الصوت بالشين يلحق بمخارج هذه الحروف التي من طرف اللسان وأصول الثنايا"⁽³⁾.

وأما الفاء فلحق الصوت بها مخرج التاء، يقول أبو علي أن إدغام الكسائي الفاء في الباء في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمْ﴾⁽⁴⁾، فيرى أن إدغام الفاء في الباء غير جائز، وإن جاز إدغام الباء في الفاء وذلك لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، فانحدر الصوت بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج التاء⁽⁵⁾.

ويقول سيويه: "التفشي هو صفة للشين خاصة"⁽⁶⁾، على الرغم من أن بعض العلماء ألحق الفاء والتاء والضاد بالشين في هذه الصفة، ولكن التفشي في الشين أظهر.

(1) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: د. عبد البديع النيرباني - ص 78.

(2) - سورة سبأ- الآية: 9.

(3) - الكتاب: سيويه - 448/4-449.

(4) - سورة سبأ- الآية: 9.

(5) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: المرجع السابق - ص 78.

(6) - الكتاب: المصدر السابق - 448/4.

الانحراف: "لغة هو الميل والعدول"⁽¹⁾. واصطلاحاً: ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان وهو صفة اللام والراء على الصحيح، وقيل اللام فقط، وقد نسب إلى البصريين هذا القول، وسمي بذلك لأنهما انخرفا عن مخرجهما، حتى اتصلا بمخرج غيرهما⁽²⁾.

وصف سيويه اللام بأنه صوت منحرف، وعلل وصف اللام بالانحراف، بأن الصوت لا يخرج من موضع اللسان على اللثة ولكنه يجري من جانبي مستدق اللسان⁽³⁾. ووصف بعض المحدثين اللام بأنه صوت جانبي بمعنى أنه صوت منحرف⁽⁴⁾.

التكرير: "لغة إعادة الشيء مرة أو أكثر"⁽⁵⁾، ويقال له التكرار. اصطلاحاً: "هو ارتعاد طرف اللسان بالراء، فالراء صوت مكرّر لأن نطقه يقتضي تتابع عدّة ضربات لطرف اللسان على اللثة، وسكون الراء أو الوقف عليها يزيدا إيضاحاً"⁽⁶⁾.

ولقد حدّد علماء التجويد من المبالغة في تكرير الراء كما حذّروا من المبالغة في إخفاء تكريرها⁽⁷⁾.

(1) - المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 100.

(2) - التشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 167/1.

(3) - الكتاب: سيويه - 435/4.

(4) - علم اللّغة: محمود السّعران - ص 185.

(5) - المفيد في أحكام التجويد: المرجع السابق - ص 100.

(6) - الكتاب: المصدر السابق - 136/4.

(7) - التشر في القراءات العشر: المصدر السابق - 167/1.

الغنة: "لغة معناها صوت أغن يخصّ الخيشوم^(*)، لا عمل للسان فيه وهي من الصفات اللازمة، وقيل إنّه شبيه بصوت الغزاة إذا ضاع ولدها"⁽¹⁾.
 كيفية حدوث الغنة: يقول سيبويه: "هي الصّوت الذي في الخياشيم، تعرفه إذا أمسكت أصبعك على أنفك، فينقطع الصّوت، فالصّوت المنقطع في تلك الحال هو الغنة"⁽²⁾.

حروف الغنة: يتفق علماء العربيّة والتّجويد بأنّ حروف الغنة التّون والميم، وهي صفة لازمة للتّون والميم تحرّكتا أو سكتتا، ظاهرتين أو مخفّاتين أو مدغمتين، وهي في السّاكن أكمل من المتحرّك⁽³⁾، ويشترط بعض علماء العربيّة والتّجويد لظهور الغنة، في النون والميم شرط إسكاهما، فإن لحقتهما الحركة زالت الغنة عنهما، والأصحّ أن الغنة لا تنفكّ عن الميم والنون، لكنّها تكون أظهر وأبين في السّاكن عن المتحرّك⁽⁴⁾.

تعريف المحدثين للغنة: يعرف المحدثون الغنة بأنّها صوت يخرج من التجويف الذي يقع خلف الأنف.

الوصف الشكليّ للتجويف الأنفي عند المحدثين: يطلق القدامى اسم الخيشوم على المنطقة التي تخرج منها صوت الغنة، أمّا المحدثون فيسمّونه بالتجويف الأنفي، وهو على شكل الكمثرى (نوع من الفاكهة)، فيه غضاريف متجمّعة، يقع خلف الأنف، نهايته الأمامية منفتحة على فتحتي الأنف، ونهايته

(*) الخيشوم: هو الخرق المنحذب إلى داخل الفم (التحديد في إتقان التجويد: الداني - ص 231).

(1) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر - ص 86.

(2) - الكتاب: سيبويه - 4/435.

(3) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: د. غانم قدوري - ص 66.

(4) - المفصّل: ابن يعيش - إدارة الطباعة المنيرية - مصر - ج 10 - ص 127.

الخلفية مفتحة على الحلق، وله وظيفة تنفسية إذ يعمل على تنقية الهواء من الغبار الناعم وتدفئة الهواء البارد، ووظيفته الصوتية؛ هي إخراج صوت تسميه العرب الغنة، ويكون مصاحبا لحرفين اثنين لا ثالث لهما وهما حرفا النون والميم.

وصف للنون والميم: للنون والميم جزءان؛ جزء لساني شديد الصوت غير قابل للزيادة، وجزء خيشومي رخو يصدر منه الغنة القابلة للمد والزيادة.

درجات الغنة في التجويد: للغنة درجات: كاملة، وأكمل، وناقصة،

وأنقص.

الغنة الأكمل: تكون في النون والميم المشدّتين والمدغمتين، ويقصد بأكمل ما تكون أطول، كما في كلمة ﴿الْجَنَّةُ﴾⁽¹⁾، وفي كلمة ﴿حَمَّالَةٌ﴾⁽²⁾، ويقصد بالمدغمتين، المدغمتان في أي حرف من حروف: ي، و، م، ن، مثل: ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾⁽³⁾، ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽⁴⁾، ﴿مِمَّ﴾⁽⁵⁾، ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾⁽⁶⁾، ﴿لَكُمْ مَا﴾⁽⁷⁾.

الغنة الكاملة: وهي الأقصر من التي قبلها بقليل، فتكون في النون والميم المخفّتين، وهما النون المخفّاة عند حروف الإخفاء الخمسة عشر، والميم المخفّاة عند الباء، عند من قال بإخفائها.

(1) - سورة البقرة - الآية: 35.

(2) - سورة المسد - الآية: 4.

(3) - سورة الشورى - الآية: 31.

(4) - سورة الزلزلة - الآية: 7.

(5) - سورة الطارق - الآية: 5.

(6) - سورة التوبة - الآية: 94.

(7) - سورة الحاشية - الآية: 13.

نموذج عن الغنة الكاملة، في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، في قراءتها ندرك أن القارئ الجوّد الماهر هو الذي يستطيع أن يشعر السامع بالغنة في النون المخففة في (إِنْ كُنْتُمْ) وهي أقصر بقليل من غنة الإدغام المتماثل في (كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

الغنة الناقصة: تكون في النون والميم الساكنتين مظهرتين، ولا بدّ من هذين القيدين (قيد السكون وقيد الظهور)، لأنّ أحدهما لا يغني عن الآخر، فقد تكون الميم ساكنة، ولكنها مدغمة أو مخففة، وقد تكون مظهرة ولكنها متحرّكة، فلا بدّ أن تقيّد بالظهور كقوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتُ﴾⁽²⁾.

الغنة الأنقص: فهي التي يكون فيها زمن الغنة أقصر ما يمكن وذلك في النون والميم المتحرّكتين (ن، نُ، نِ)، (م، مُ، مِ)، ولا تكون الغنة معدومة فيهما والدليل على وجودها الحسّ والتجريب، فلو أنّ أحدنا سدّ أنفه، وأراد أن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾⁽³⁾، اختلّ الصّوت فقط عند نطق النون والميم مع أنّهما متحرّكتان ممّا يدلّ على أنّه لا تخلو النون ولا الميم من غنة ولو كانتا متحرّكتين⁽⁴⁾.

تمييز الغنة من الأصوات الأخرى: في عمليّة التلفّظ أو اللّطق، تميّز الغنة من سائر الأصوات، هو أن أقصى الحنك (الطبق) ينخفض معها، فيمرّ الهواء من

(1) - سورة التوبة - الآية: 13.

(2) - سورة البقرة - الآية: 47.

(3) - سورة الماعون - الآية: 7.

(4) - إيضاعات في علم التجويد: أيمن رشدي السويدي - ص 88-91.

الأنف لا من الفم، وهذا ما توصل إليه علماء اللغة المحدثين عن طريق التجربة⁽¹⁾.

الاستعلاء: "لغة معناه الارتفاع والعلو"⁽²⁾. واصطلاحاً: هي ارتفاع اللسان عن النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، ويستخدم مصطلح الاستفال مقابلاً لمصطلح الاستعلاء.

ذكر الداني في كتابه (التحديد) الأصوات المستعلية، فقال: "والمستعلية سبعة أحرف، يجمعها قولك (ضغط خص قظ)؛ الخاء والغين والقاف والصاد والظاد والطاء والضياء، سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، لذلك تمنع الإمالة، إلا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به وينطبق، وهي حروف الإطباق الأربعة، ومنها ما يعلو اللسان ولا ينطبق وهي ثلاثة: الغين والحاء والقاف. والمستفلة ما عدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك"⁽³⁾.

الفرق بين صفة الإطباق وصفة الاستعلاء: الإطباق من الصفات المميّزة، والاستعلاء من الصفات المحسّنة، ومع ذلك هناك تشابه في تصعد أقصى اللسان نحو الحنك في الصفتين، لكنّه ينطبق مع الإطباق دون الاستعلاء، وقديماً قال عبد الوهاب القرطبي: "إنّ التفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد"⁽⁴⁾.

(1) - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس - ص 72.

(2) - نهاية القول المفيد: محمد مكّي نصر - ص 75.

(3) - التحديد في الإتقان وصناعة التجويد: الداني - ص 228.

(4) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدّوري - ص 68.

اللّين: لغة "السّهولة وهي ضدًا الخشونة أي الصّعوبة. اصطلاحًا: هو إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كلفه على اللسان، وهي صفة لازمة للواو والياء التحتية الساكتين المفتوح ما قبلها نحو: قول عليك فهما حرفا لين لا يمدان وصلًا ويجوز مدّهما وقفًا"⁽¹⁾.

اللّين عند علماء التجويد: اللّين عندهم هو جريان النّفس في مخرج الصّوت أكثر من جريانه في الأصوات الرخوة، لكنّه لا يبلغ درجة جريان النّفس في الأصوات الذّائبة، فالياء في (بيت) والواو في (حوض) أصوات لين، أمّا الياء في (أرمي) والواو في مثل (أدعو) فإنّها أصوات ذائبة لجريان النّفس فيها أكثر من جريانه في أصوات اللّين، وقد سمّاها علماء العربية والتجويد بأصوات اللّين والمدّ"⁽²⁾.

2-4 القوّة والضعف في الصّفات:

تنقسم الصّفات إلى قويّة وضعيفة، الصّفات القويّة هي: الجهر والشدّة والاستعلاء والإطباق والإصمات والصّفير والقلقلة والتكرير والتفشيّ والاستطالة والغنة، ويقول المرعشي في هذا المجال: "وبعض هذه الصّفات أقوى من بعض في القوّة، فالقلقلة أقوى الصّفات، والشدّة أقوى من الجهر، وكلّ واحد من الثلاثة أقوى من التفشيّ والصّفير، والإطباق أقوى من الاستعلاء. أمّا الصّفات الضّعيفة فهي الهمس والرّخاوة والبينية والاستفال والانفتاح والذّلاقة واللّين والخفاء"⁽³⁾.

(1) - المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص 99.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 68-69.

(3) - نهاية القول المفيد: محمد مكي نصر - ص 91.

وعليه، أفرد علماء العربية والتجويد في كتبهم أبواباً خاصة لمعرفة الحروف القويّة والضعيفة، فمثلاً أفرد مكّي في مقدّمة كتابه (أصول الإدغام والإظهار) باباً في معرفة الحروف القويّة والضعيفة فقال: "اعلم أنّ الضعيف في الحرف يكون بالهمس وبالرخاوة، فإذا اجتمعا في الحروف كان أضعف له... واعلم أنّ القوّة في الحرف تكون بالجرّ وبالشدّة وبالإطباق وبالتفخيم وبالتكرير وبالاستعلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي، بهذه الصّفات يقوى الحرف وبعدها يضعف، وكلّما تكرّرت فيه الصّفة القويّة كان أقوى للحرف، وكذلك إذا تكرّرت في الحرف الصّفة الضعيفة كان أضعف؛ ومعنى القوّة عندهم زيادة الصّوت بالحرف، زيادة تجعل مقاربه يدغم فيه ولا يدغم هو في مقاربه، لئلاً تذهب تلك الزيادة بالإدغام"⁽¹⁾.

3- وصف الأصوات العربية الجامدة على حسب الجهاز النطقي:

سبق أن حدّد مخرج كلّ صوت جامد، وذكرت صفة كلّ واحد التي تميّزه عن غيره من الأصوات، طبعاً مع الإشارة إلى كيفية مرور النّفس في المخرج، وحالة الوترين الصوتيين أثناء التلفّظ بالصّوت، وعلى إثر هذا سنذكر وصفاً كاملاً للأصوات العربية الجامدة، وموضعها من الجهاز النطقي.

3-1 أصوات الحلق:

أ- الهمزة والهاء: الهمزة صوت مخرجه أقصى الحلق (الحنجرة) شديد (انفجاري) مهموس على رأي بعض المحدثين، أو هو لا مجهور ولا مهموس على

(1) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني - ص 87-88.

رأي بعضهم الآخر، والهاء صوت مخرجه من أقصى الحلق (الحنجرة) رخو (احتكاكي) مهموس.

ب- العين والحاء: مخرجهما من وسط الحلق وهما رخوان، والعين مجهور، والحاء مهموس، ولا فرق بينهما إلا الجهر. الذي في العين، والهمس الذي في الحاء، فلولا الجهر لكانت العين حاء.

ج- الغين والحاء: مخرجهما من الحلق إلى الفم، وهما رخوان والغين مجهور، والحاء مهموس، وهما صوتان مستعليان⁽¹⁾.

2-3 أصوات أقصى اللسان:

أ- القاف: مخرجه من أقصى اللسان بينه وبين ما يقابله من أقصى الحنك الأعلى، وهو شديد مهموس ومستعل.

ب- الكاف: مخرجه من أقصى اللسان، بينه وبين ما يقابله من أقصى الحنك الأعلى، إلى الأمام من مخرج القاف، باتجاه طرف اللسان وهو شديد مهموس⁽²⁾.

3-3 أصوات وسط اللسان:

أ- الياء: مخرجه من وسط اللسان، بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو صوت لين مجرور، وينطبق هذا الوصف على الياء في مثل (بيت) و(يوم).

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قُدوري - ص 70.

(2) - المرجع نفسه - ص 71.

ب- الجيم: مخرجه من وسط اللسان، بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو شديد مجهور، وقد عدّه بعض المحدثين صوتاً مركباً استناداً إلى أنّ الانفجار الذي يعقب حبس النفس تشوبه شائبة من الرّخاوة، وهو أمر ليس واضحاً بدرجة تخرّجه عن كونه صوتاً شديداً.

ج- الشين: مخرجه من وسط اللسان، بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى، وهو رخو مهموس متفش⁽¹⁾.

3-4 أصوات طرف اللسان:

تتنوّع الأصوات التي تخرج من نقطة الاشتراك وهي اللسان، بتنوّع كيفية مرور الهواء في مخرج الصّوت فتصنّف إلى أربعة مجموعات⁽²⁾:

المجموعة الأولى: اللام والراء والنون:

✓ اللام: يعتمد طرف اللسان على لثة الثنايا العليا، ويخرج النفس من حافة اللسان (من جانبيه) وطرف اللسان ملازم لموضعه من اللثة، وهو منحرف أو جانبي لذلك، ومن ثمّ سميّ متوسّطاً، وهو صوت مجهور.

✓ الراء: مخرجه بين طرف اللسان، وما يحاذيه من أصول الثنايا (اللثة)، وهو متوسّط لأنّ طرف اللسان لا يحصر النفس كما في الأصوات الشديدة، بل يتردّد طرف اللسان عدّة مرّات على نحو سريع، يحصر النفس، ويطلقه في كلّ مرّة ولذلك سميّ الراء مكرّراً، وهو صوت مجهور.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 72.

(2) - المرجع نفسه - ص 71-73.

✓ النون: يتميز هذا الصوت بأن له معتمدا للسان وجرى للنفس، فطرف اللسان يعتمد على أصول (لثنايا) اللثة، ويجري النفس في أثناء ذلك من الخيشوم، فالتون صوت متوسط ومجهور وأغنّ. المجموعة الثانية: التاء والذال والطاء والضاد: تشترك هذه الأصوات الأربعة في مخرج واحد، وهو طرف اللسان، بينه وبين أصول الثنايا العليا، وهي جميعا أصوات شديدة، وقد ميّز صفتا الجهر والهمس، وصفتا الإطباق والانفتاح.

✓ التاء: هو صوت مهموس منفتح.

✓ الذال: صوت مجهور منفتح، ويقابله صوت الطاء.

✓ الطاء: وهو مهموس مطبق.

✓ الضاد: صوت مجهور مطبق، فلولا الإطباق لصارت الطاء تاء، والضاد دالا، والطاء والضاد صوتان مستعيلان، وهذا الوصف ينطبق على نطق الطاء في وقتنا وكذلك نطق الضاد في قراءة

القرآن والمجودين.

المجموعة الثالثة: السين والزاي والصاد: مخرج الأصوات الثلاثة واحد، وهو طرف اللسان بينه وبين صفحة الثنيتين العليتين الداخلية، وهي أصوات

رخوة صغيرية ميّز بينها مايلي:

✓ السين: صوت مهموس.

✓ الزاي: صوت مجهور.

✓ الصاد: صوت مهموس مطبق وهو يوصف بالاستعلاء كذلك، فلولا الجهر لكانت الزاي سينا، ولولا الإطباق لكانت الصاد

سينا.

المجموعة الرابعة: الثاء والذال والظاء: لهذه الأصوات مخرج واحد وهو بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا وهي رخوة ما يفرق بينها همس الثاء وجهر الذال، وجهر وإطباق الظاء، وهو صوت مستعل.

3-5 الأصوات الشفوية:

أ- الفاء: يخرج من مخرج باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا، فهي أسنانية شفوية، وهي صوت رخو مهموس.

ب- الباء والميم والواو: تخرج من مخرج واحد وهو الشفتين، الفرق بينها في الصفة، فالباء صوت شديد مجهور، الميم صوت أغن مجهور، فهو مثل البون له معتمد ومجرى، فالشفتان تنطبقان في نطقه، لكن النفس يجري في الأنف وهو يوصف بأنه متوسط، أما الواو صوت لين مجرور وهو في مثل (حوض) و(ولد)، وشكل الشفتان تستديران في نطقه من غير أن تسدًا مجرى النفس⁽¹⁾.

4- دراسة صوتية لحامة الأصوات الذائبة:

إنّ وصفنا الشامل للأصوات العربية الجامدة دون الالتفات للأصوات الذائبة يعتبر وصفا مبتورا للأصوات العربية كلّها لأنّ هذه الأخيرة تتكوّن من هاتين الشائيتين الصوتيتين، وهي الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة.

4-1 تعريف الأصوات الذائبة:

وهي الأصوات التي تذوب وتلين وتمتدّ، وهي: الألف، والفتحة، والواو المضموم ما قبله، والضمة، والياء المكسور ما قبلها، والكسرة، وتعرف هذه الأصوات حديثا بالصوائت، ويبلغ عددها عامة في أيّ لغة بشرية يكون أقلّ من

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة - غانم قدوري - ص 74.

عدد الصّوامت، ففي العربية نجد ستّة صوّات، وثمانية وعشرين صامتة، هذا بشكل عام، أمّا إذا فصلنا الحديث في عد الصّوّات في اللغة العربية فهي تتألف من ثلاثة أصوات من حيث النّوع، وستّة من حيث الكميّة أو الأمد، وهي الفتحة والكسرة والضّمّة، وكلّ واحد منها تكون قصيرة فتسمّى حركة، وتكون طويلة فتسمّى حرف مدّ (أو صوت مدّ)⁽¹⁾.

4-2 قياس المدّ:

يرى أغلبية علماء العربية والتجويد أن "الحركات هي أبعاض أصوات المد، فالفتحة من الألف، والكسرة من ياء المد، والضّمّة من واو المد، وأن الفتحة إذا أشبعت صارت ألفاً، والكسرة إذا مطلت عادت ياءً، والواو إذا مدّت أضحت واواً"⁽²⁾.

وفي هذا المجال قال ابن جنيّ: "وقد كان متقدموا النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة"⁽³⁾. وهذا يعني أن أمد الصوّات الطويلة أطول من أمد الصوّات القصيرة التي هي الحركات، فالفرق بين نطق الكلمتين: كَتَبَ وكَاتَبَ، أن الصّائت الأول في الكلمة الأولى قصير، بينما نظيره في الكلمة الثانية طويل، بمعنى الطقي، فتبقى أعضاء النطق في وضع واحد لفترة أطول عند نطق الصوّات الطويلة منها عند نطق الصوّات القصيرة (الحركات)^(*)

(1) - الصوتيات العربية: د. منصور بن محمد الغامدي - ص 94.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: د. غانم قدوري - ص 75.

(3) - سر صناعة الإعراب: ابن جنيّ - 19/1.

(*) - الحركات: مصطلح يستخدمه النحاة لكن صوتياً يستخدم مصطلح الصوّات القصيرة.

- قياس الزمن لكل من الصوائت القصيرة والطويلة: يقرر علماء التجويد أن "الفتحة تساوي نصف الألف، والضمة نصف واو المد، والكسرة نصف ياء المد، هذا يعني أن الألف مركب من فتحتين، والواو (المد) مركب من ضمتين، وياء المد مركب من كسرتين، أي أن نطق الحركة يستغرق نصف الزمن الذي يستغرقه نطق صوت المد"⁽¹⁾.

يقاس زمن الصوائت (الطويلة والقصيرة) بمقياس المثلثانية، حيث يبلغ زمن الصوائت الطويلة في اللغة العربية ضعف زمن الصوائت القصيرة (الحركات)، 80 مثلثانية للقصيرة، و160 مثلثانية للطويلة⁽²⁾.

4-3 كيفية إحدات الأصوات الذائبة:

يقول ابن الجزري: "وحروف المد هي الحروف الجوفية وهي الهوائية"⁽³⁾، بمعنى كما جعلها بعض علماء العربية والتجويد، مخارج هذه الأصوات من الجوف؛ "والجوف هو الخلاء داخل الفم والحلق"⁽⁴⁾، ويحدث أن الهواء يجري في هذا الخلاء من دون أن يعترضه أي عائق محدد أو معين عند النطق، وتعتبر هذه الأصوات مجهورة، وهذا التجوف يدعوه علماء الأصوات المتخصصين بالتجويف الفموي، فالهواء الموجود داخل التجويف الفموي يستجيب لتذبذب الوترين الصوتيين بكيفية واحدة تقريبا إلا أن الاختلاف يكمن في شكل التجويف الفموي.

(1) - علم التجويد: غانم قدوري - ص76.

(2) - الصوتيات العربية: د. منصور الغامدي - ص72.

(3) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 166/1.

(4) - علم التجويد: غانم قدوري - ص77.

فعند نطق أي صائت / َ / أو / ِ / يكون اللسان منخفضاً، وهذا يجعل حجم الهواء داخل التجويف الفموي كبيراً، وعند النطق / ُ / أو / ِ / فإنّ مقدم اللسان يرتفع باتجاه الحنك، بينما يظل الجزء المتبقي من اللسان في وضعه العادي، أما عند نطق / ُ / أو / ِ / فإن مؤخر اللسان يقترب من الحنك اللين بينما يظل مقدم اللسان في وضعه العادي، كما أنّ الشفتين تشاركان في نطق هذين الصائتين وذلك باستدارتهما.

إذن، لوضعية اللسان أهمية بالغة في تحديد الصوائت، إذ يقوم بتحديد شكل وحجم الهواء داخل الفم، وينتج عنه إخراج صوائت مختلفة⁽¹⁾.

إن الصوائت تعتمد في تصنيفها على المخرج وكيفية نطقها، أما الصوائت فإنها تصنّف بناء على وضع اللسان داخل الفم، فالصائت / َ / يسمى منخفضاً نظراً لانخفاض جسم اللسان، والصائت / ُ / يسمى خلفي مدور لأن مخرجه من مؤخر اللسان ويصاحبه تدور الشفتين، أما الصائت / ِ / فيطلق عليه أمامي لأن مخرجه من مقدم اللسان⁽²⁾.

ملاحظة: "وهناك صوت ذائب متفرع عن الفتحة وألف المد هو ألف

الإمالة في مثل كلمة ﴿مَجْرَهَا﴾⁽³⁾ في رواية حفص عن عاصم، فإنه ينطق بها بين ياء المد وألف المد وليس له إمالة في القرآن غيرها"⁽⁴⁾.

(1) - الصوتيات العربية: د. منصور بن محمد الغامدي - ص 74

(2) - المرجع نفسه - ص 74.

(3) - سورة هود: الآية: 41.

(4) - علم التجويد: د. غانم قدوري - ص 78.

5- صوت الضاد بين النظرية والتطبيق في علم التجويد:

يطرح صوت الضاد قضية هامة بين الأصوات العربية، إنها النتيجة التي توصلت لها من خلال ما قرأته من اختلافات بين علماء التجويد وعلماء العربية قدامى ومعاصرين، لأجل هذا أفردت مبحثاً خاصاً له، يكون كملحق لما سبق.

5-1 مخرج الضاد عند سيبويه:

يحدّد سيبويه مخرجه بقوله: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، يريد سيبويه "بأول حافة اللسان حافته من جهة أقصى اللسان لا من جهة طرفه، لأنه ذكر مخرج الحروف مبتدئاً بمخرج الحلق صاعداً إلى مخرج الفم والشفيتين، ويشرح سيبويه خروج صوت الضاد من حافة اللسان بأن اللام تشارك الضاد في المخرج، إلاّ هناك اختلاف يتمثل في أنّ اللام مخرجها من أدنى حافة اللسان من جهة طرفه"⁽¹⁾.

5-2 الصفات:

ذكر سيبويه صفات الضاد منها: الجهر، والرخاوة، والإطباق والاستعلاء والاستطالة. ولهذه المفاهيم الصوتية اختلافات بين سيبويه (الممثل للتيار القديم) والمحدثين:

أ- مفهوم الصوت المجهور:

- عند سيبويه: يعرف سيبويه الصوت المجهور بقوله: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت"⁽²⁾.

(1) - الكتاب: سيبويه - 433/4.

(2) - المصدر نفسه - 434/4.

- عند المحدثين: "المجهور هو الذي يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به"⁽¹⁾، فهذا التعريف أكثر وضوحًا وتحديدًا للصوت المجهور بالنسبة للمحدثين وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على جهل علماء الأصوات العرب القدماء من الوترين الصوتيين وعن دورهما في عملية التصويت.

ب- مفهوم الرخاوة في صوت الضاد:

- عند سيبويه: يقول سيبويه أن الصوت الرخو ضد الشديد، وقد سبق أن عرفّ الشديد بقوله: "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وذكر أن صوت الضاد ضمن الأصوات الرخوة، إذن هو يعني بالصوت الشديد الصوت الذي يُحْبَسُ النَّفْسُ في مخرجه ثم يُطْلَق. أمّا الصوت الرخو عكس ذلك فهو الصوت الذي لا يُحْبَسُ النَّفْسُ في مخرجه وإنما يضيق حتى يمرّ النفس من منفذ ضيق"⁽²⁾.

- عند المحدثين: يسمّي بعض علماء الأصوات المحدثين "الصوت الشديد بالصوت الانفجاري، والرخو بالصوت الاحتكاكي"⁽³⁾.

ج- مفهوم الإطباق في صوت الضاد:

- عند سيبويه: يصنّف سيبويه الضاد ضمن مجموعة الأصوات المطبقة، وعليه يعرفّ الإطباق بقوله: "الإطباق معناه أن أقصى اللسان يتصعد باتجاه أقصى الحنك (أقصى سقف الفم) عند وضع طرف اللسان في مخرج الحرف فيتخذ اللسان شكلاً مقعراً كالطبق، وعن الحروف المطبقة قال: ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالضاد والضاد والطاء والطاء، والمنفتحة ما سوى ذلك

(1) - ينظر: الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي - ص 203.

(2) - الكتاب: سيبويه - 435-434/4.

(3) - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس - ص 23-24.

من الحروف، ويخرج الانفتاح بقوله أنك لا تطبق شيء منهنّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى، ويتحدّث عن وضعية اللسان مع الأصوات الأربعة (التي هي الأصوات المنفتحة)، حيث يقول: ولولا الإطباق لصارت الضاد ذالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، الصوت الرابع هو الزاي حيث ذكره مع الدال حين قال: أما الدال والزاي ونحوهما، فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك مواضعهن، فهذه الأربعة (التي هي: الدال، السين، الذال، والزاي) لها موضعان من اللسان وقد يُبين ذلك بحصر الصوت⁽¹⁾.

- عند المحدثين: لم يخالف المحدثون مفهوم سيبويه للإطباق حيث عرفوه بالطريقة نفسها وذكروا الأصوات المطبقة الأربعة وهي: (الصاد، الضاد، الطاء، الطاء)⁽²⁾.

د- مفهوم صفة الاستعلاء في صوت الضاد:

- عند سيبويه: لم يعط سيبويه مفهوماً محدداً للاستعلاء، بل جاء حديثه عن الحروف المستعلية لَمَّا تكلم عن الحروف التي تمنع الإمالة وذلك في قوله: "الحروف التي تمنع الإمالة هذه السبعة: (الصاد والضاء والطاء والطاء والغين والقاف والخاء...)"، وإثما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى⁽³⁾، ثم قال: "فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل"⁽⁴⁾.

(1)- الكتاب: سيبويه - 436/4.

(2)- الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي - ص 167.

(3)- الكتاب: المصدر السابق - 128/4-129.

(4)- المصدر نفسه - 130/4.

لم تبق صفة الاستعلاء بدون مفهوم أو تعريف، فلقد عرّف الاستعلاء كلّ من جاء بعد سيويه من علماء العربية وعلماء التجويد، فعرفوا الاستعلاء بقولهم: الاستعلاء أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى، وكذلك ابن جني يعرف الاستعلاء بقوله: وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض، فالمستعلية سبعة...، وما عدا هذه الحروف فمنخفض، ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها⁽¹⁾.

هـ- مفهوم صفة الاستطالة في صوت الضاد:

- عند سيويه: أثناء حديثه عن الإدغام، وصف الضاد بالاستطالة، فمن ذلك قوله وهو يتحدث عن إدغام لام المعرفة "لأنّ الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتّصلت بمخرج اللام، وقال في موضع آخر: والإدغام في الضاد أقوى، لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية"⁽²⁾.

وقال المرعشي في توضيح معنى الاستطالة: "إنها امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها"⁽³⁾.

2-5 علاقة صوت الضاد بغيره من الأصوات:

نظرا لتمييز الضاد بالمخرج، وبصفة الاستطالة، فإنها امتنعت عن الإدغام في غيرها، قال ابن يعيش: "الضاد تدغم في مثلها فقط، كقولك: ادْحَضْ ضَرْمَةً،

(1)- أبحاث في علم التجويد: د. غانم قدوري- ص 150.

(2)- الكتاب: سيويه- 4/457-466.

(3)- أبحاث في علم التجويد: المرجع السابق- ص 151.

ولا تدغم في غيرها لما فيها من الاستطالة التي يُذهبها الإدغام⁽¹⁾، وكان سيبويه قد ذكر معنى ما ذكره ابن يعيش حين قال: "ويكرهون أن يدغموه، يعني الضاد فيما أدغم فيها من هذه الحروف"⁽²⁾.

إذن تدغم سبعة حروف في الضاد هي: "اللام، الطاء، الدال، التاء، الطاء، الذال، التاء، هذا ما ذكره سيبويه في باب الإدغام"⁽³⁾.

لقد كان لسيبويه الفضل الأكبر في التعريف بمخرج الضاد الصحيح وبالصفات التي ميّزته عن باقي الأصوات الأخرى، واستحسننا الإشارة إلى ما ذكره سيبويه عن الضاد الضعيفة قبل أن نترك هذا الحديث لنجمع بأطراف القضية عن الضاد العربيّة عند سيبويه.

مفهوم الضاد الضعيفة عند سيبويه يقول: "إلا أن الضاد الضعيفة تكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها في الجانب الأيسر، وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تُحوّلها من اليسار إلى الموضع الذي في يمين وأنها تخالط مخرج فيها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان، فسَهّل تحويلها إلى الأيسر، لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك في الأيمن"⁽⁴⁾.

(1) - المفصل: ابن يعيش - 140/10.

(2) - الكتاب: سيبويه - 466/4.

(3) - المصدر نفسه - 157/4.

(4) - المصدر نفسه - 432/4.

إن كلام سيبويه عن الضاد الضعيفة غامض أو هو يتحدث عن ضاد مجهولة لدى الدارسين اليوم، ومن خلال ما سنذكره مما جاء في كتب علماء التجويد وهم ينبّهون ويحذرون قراء القرآن الكريم لتلك الصعوبات الموجودة في نطق الضاد التي تجعل من الضاد القويّة إلى ضاد ضعيفة تلك التي ذكرها قول سيبويه:

- قال مكّي بن أبي طالب القيسي (ت.437هـ): "ولابدّ (للقارئ) من التحفّظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة... ومتى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مُبدلاً ومغيّراً، والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج، وأشدّها صعوبة على اللّافظ فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته"⁽¹⁾.

- يقول الداني (ت.444هـ) عن نطق الضاد: "ومن أكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه وإيفائه حقه من الاستطالة"⁽²⁾.

- وقال عبد الوهاب القرطبي (ت.461هـ): "وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة، لأن إخراجها ظاءً تبديلاً"⁽³⁾.

- وقال ابن الجزري (ت.833هـ) في كتابه النشر مبيناً الأصوات التي يتحوّل إليها صوت الضاد: "والضاد انفراد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من يُحسنه، فمنهم من

(1) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكّي بن أبي طالب القيسي - ص 158-159.

(2) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 254.

(3) - أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري - ص 156.

يُخرجُه ظاءً، ومنهم من يمزجه بالذال ومنهم من يجعله لاماً مفخمة ومنهم من يُشَمِّه بالزاي، وكل ذلك لا يجوز⁽¹⁾.

وفي كتابه التمهيد في علم التجويد: "واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به: فمنهم من يجعله ضاءً مطلقاً... وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرّون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة، وهم الزيالع^(*) ومن ضاهاهم⁽²⁾."

يتبيّن لنا ممّا ساقه علماء العربية في كيفية نطق الضاد لدى القدامى
النتائج التالية:

○ صعوبة في تحديد صوت الضاد الذي حدّده سيبويه.

○ تحوّل صوت الضاد لدى الناطقين بالعربية في العصور اللاحقة إلى

صوت الظاء، اللام المفخمة، مزجها بالذال والزاي، مزجها بالطاء.

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 178/1.

(*) - زيلع: جبل في السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، ومن جزر اليمن جزيرة زيلع - (هامش: التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري - ص 141).

(2) - التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري - حققه د. غانم قدوري - الرسالة بيروت - لبنان - ط 1 -

وعليه، صنّف العلماء اللّغويون المحدثون هذه اللّحون على الشكل الآتي⁽¹⁾:

أ- انحراف الضاد إلى الظاء: ينتج هذا اللّحن في الضاد عن عدم الاعتماد في إخراجها على حافة اللّسان اليمنى أو اليسرى أو على الحافتين معاً، وإنما يعتمدون على رأس لسانهم مع أطراف الثنايا العليا الذي هو مخرج الظاء، أو يبالغون في استطالة الضاد فيبقى اللّسان مستمراً في اندفاعه حتّى يصل رأسه إلى أطراف الثنايا العليا حيث مخرج الظاء، وهذا منتشر جداً وخاصة في البوادي (بوادي الجزيرة العربية، بوادي الشام، بوادي العراق)، ومثلهم قولهم (بيضة عوضاً عن بيضة).

ب- انحراف الضاد إلى الدال: أي استعمال مخرج الدال، فتخرج الضاد دالاً مفخمة، والعرب لا تُفخّم الدال أبداً، وإنما يفخّمها بعض العجم.

ج- انحراف الضاد إلى الصاد المشمّة زاياً: وإشمام الضاد يعني أن تصبح خليطاً من صوت الزاي مع الصاد كأن نقرأ (اهدنا الصراط المستقيم)، وهذا موجود في اللهجة العامية في الشام، وهو في بعض البلاد العجمية ينطق مكان الضاد (كتركيا والهند والباكستان) وهذا كله من اللّحن الجليّ الذي لا تصحّ القراءة به أبداً.

كل هذا تكلم عنه علماء العربية والتجويد بعد سيبويه، في رسائل تشبه المعجمات الصغيرة يسهل الرجوع إليها بالمفارقات التفسيرية في مفاهيم الصّفات صوت الضاد من خلال استنتاج على شكل جدول بين سيبويه والمحدثين:

(1)- إضاءات في علم التجويد: محاضرات الشيخ المقرئ أيمن رشدي سويد- ص 167-168.

المفارقات	المحدثون	سيبويه
<p>- سيبويه لم يذكر دور الوترين الصوتيين.</p> <p>- الجهل بتشريح الحنجرة ودور الوترين الصوتيين في عملية التصويت.</p>	<p>- الجهر: هو اهتزاز الوتران الصوتيان عند النطق بالصوت الجهور.</p>	<p>- الجهر: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت.</p>
<p>- الاختلاف في التسمية.</p>	<p>- الصوت الانفجاري.</p> <p>- الصوت الاحتكاكي.</p>	<p>- الرّخو: ضد الشّدِيد، والشّدِيد هو الَّذِي يَمْنَع الصوت أن يجري فيه.</p>
<p>- المفهوم متفق عليه.</p>	<p>- الاستعلاء: أن يرتفع أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى.</p>	<p>- الاستعلاء: مصطلح ذكره سيبويه دون تعريف.</p>

بعد تحليل إشكالية التناقض المطروح في صوت الضاد في العربية، نصل إلى أننا اليوم نسمع من أفواه موجدي قراءة القرآن الكريم أنّ صوت الضاد مختلف عن ما تحدّث عنه سيبويه، وعن ما وصفه علماء القراءة والتجويد السابقين في مؤلّفاتهم، في المخرج وفي عدد من الصّفات.

وعليه، انقسم الكلام عن صوت الضاد في العربية إلى ضاد قديمة مخرجها من حافة اللسان، وصفت على أنّها رخوة وتميّزت عن غيرها بالاستطالة، وضاد حديثة مخرجها من طرف اللسان واللثة، وصفت بأنّها شديدة وتميّزت عن غيرها بأنّها فاقدة لصفة الاستطالة، ولنكون أكثر عاملين في هذا المبحث نعقد مقارنة بين صوت الضاد الحديثة وصوت الدال، يشترك صوت الدال مع صوت الضاد الحديثة في المخرج، فصوت الدال لثوي، كذلك صوت الضاد الحديثة، صوت

الذال شديد ومجهور، كذلك صوت الضاد الحديثة، فالاختلاف إذن واقع في أنّ صوت الضاد الحديثة مطبق، أما صوت الذال فمنفتح.

صوت الضاد القديمة يتميّز عن صوت الظاء في شيئين اثنين: الأول حافي والثاني أسناني، الأول مستطيل والثاني يفتقد هذه الصّفة، وعليه، يمكن الإجابة عن تحوّل صوت الضاد القديمة إلى راء، وتحوّل صوت الضاد الحديثة إلى صوت الذال.

المفصل الثالث

القواعد الكلية لعلم التجويد

1- قواعد النون الساكنة والتنوين في علم التجويد.

2- قواعد الميم الساكنة في علم التجويد.

3- قواعد الإدغام في علم التجويد.

4- قواعد الإمالة والفتح في علم التجويد.

5- قواعد المدّ والقصر في علم التجويد.

6- أحكام الهمز في علم التجويد.

7- قواعد الياءات في القرآن الكريم.

8- تقنيات التجويد.

1- قواعد النون الساكنة والتنوين في علم التجويد:

1-1 تعريف النون الساكنة والتنوين:

تعريف النون الساكنة: هي "التي لا حركة لها، وتثبت في اللفظ والخط والوصل والوقف مثل: مَنْ، عَن. وتتحرك هذه الأخيرة بالتقاء الساكنين، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾⁽¹⁾، وقوله كذلك: ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ﴾⁽²⁾، وتكون النون الساكنة في الأسماء مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ﴾⁽³⁾، كما توجد في الأفعال كذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَنْحِتُونَ﴾⁽⁴⁾، وفي الحروف كذلك مثل: عَنُون، وتدخل في البناء الأصلي للكلمة في مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ﴾⁽⁵⁾، وتأتي زائدة عن بناء الكلمة في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسْتَ﴾⁽⁶⁾»⁽⁷⁾.

- تعريف التنوين: "لغة هو التصويت، واصطلاحاً: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم في اللفظ والوصل، وتفارقه في الخط والوقف"»⁽⁸⁾، وملاحظة بالعين المجردة النون الساكنة تكون محلاة بعلامة السكون، وهي تشبه

(1)- سورة الأنبياء- الآية: 28.

(2)- سورة النساء- الآية: 128.

(3)- سورة المائدة- الآية: 3.

(4)- سورة الحجر- الآية: 82.

(5)- سورة الفاتحة- الآية: 7.

(6)- سورة الأعراف- الآية: 160.

(7)- القول السديد في علم التجويد برواية حفص عن عاصم: عليّ الله بن عليّ أبو الوفا- دار ابن حزم-

بيروت- ط1- 2003- ص56.

(8)- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

حرف الخاء بغير نقطة، مثل: مَنْ وَعَنْ، كما نلاحظ أيضا أنها عند حكم الإظهار يتساوى التنوين ولا تحتلّ شرطة فيه عن الأخرى بهذا الشكل /ـ/ وشكل التنوين عامة على هذا النحو (U، U، U)، مثل: عَلِيمًا، عَلِيمٍ، عَلِيمٌ، كما نلاحظ دائما أن التنوين لا يكون على الألف أبدا بل على الحرف الذي قبلها.

1-2 أحكام النون الساكنة والتنوين:

للنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام هي: الإظهار ويكون مع ستة أحرف، والإدغام ويكون مع ستة أحرف كذلك، والإقلاب ويكون مع حرف واحد، أما الإخفاء فيكون مع خمسة عشر حرفا.

أ- تعريف الحكم الأول الإظهار: لغة "هو البيان أو الإيضاح"⁽¹⁾، بمعنى أن عند نطقه لا يتغير من حروفه شيء ولا يزيد عليه غنة، والإظهار اصطلاحا: هو إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإظهار، وهي حروف الحلق الستة وهي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء المهملتان، والغين والحاء المعجمتان⁽²⁾، وتسمي إظهارا حلقيا نسبة لخروج حروفه من الحلق.

سبب الإظهار في النون والتنوين هو بعد مخرج النون والتنوين عن مخرج هذه الأحرف الستة (فهي تخرج من طرف اللسان وهنّ يخرجن من الحلق، ويقول بن الجزري معرّفا الإظهار هو ضدّ الإدغام، ويؤتى بالحرفين المصيرين جسما واحدا، منطوقا بكل واحد منهما على صورته موفّي جميع صفاته مخلصا

(1) - المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص 121.

(2) - المرجع نفسه - ص 122.

إلى كمال بنيته⁽¹⁾، أمّا أحرف الإظهار فتخرج من الحلق وليس بينهما ما يستوجب الإدغام لأنّه يسوغه التماثل والتقارب، والإخفاء لا يكون إلاّ عند الحروف السهلة والإقلاب لأنه وسيلة إلى الخفاء⁽²⁾.

وعن حالة الإظهار يقول سيويه: "وتكون (يعني النون الساكنة) مع الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والحاء، بينة موضعها من الألف، وذلك أنّ هذه الستة تباعدت عن مخرج النون، وليست من قبيلها، فلم تحف هاها كما لم تدغم في هذا الموضع، وكما أنّ حروف اللسان لا تدغم في حروف الحلق...، وهو قولك: من أجل زيدٍ، ومن هنا، ومن خلفٍ، ومن حاتمٍ، ومن عليك، ومن غلبك، ومنحل، بينه، هذا الأجود والأكثر، - ويقول في نفس المقام: وبعض العرب يجري الغين والحاء مجرى القاف، وقال: ... ولا تُدغم (يعني النون) في حروف الحلق البتّة، ولم تقو هذه الحروف على أنّها تقلّبها لأنّها تراخت عنها"⁽³⁾.

وجاء في كتاب التمهيد لابن الجزري: "وقد ذكر بعض القراء في كتبهم أنّ الغنة باقية فيهما (أي في النون الساكنة وفي التنوين) قبل حروف الحلق"⁽⁴⁾. وذكر الشيخ الداني عن فارس بن أحمد في مصنف له أنّ الغنة ساقطة منهما (النون الساكنة والتنوين) إذا أظهرها قبل حروف الحلق وهو مذهب النحاة وبه

(1) - التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري - تحقيق علي حسين البواب - دار المعارف الرياض - السعودية - د. ط - د. ت - ص 55.

(2) - القول السديد في علم التجويد: علي الله بن علي أبو الوفا - ص 59.

(3) - الكتاب: سيويه - 4/454.

(4) - التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري - تحقيق غانم قدوري - ص 66.

صرّحوا في كتبهم، وبه قرأت على كلّ شيوخي ما عدا قراءة يزيد والمسيبي⁽¹⁾. ويقول المرعشي: "ويمكن أن يكون النزاع لفظيا، لأنّ من قال ببقائها أراد في الجملة عدم انفكاك أصل الغنة عن النون أو التنوين، ومن قال بسقوطها أراد عدم ظهورها"⁽²⁾.

ويأتي الإظهار من كلمة ومن كلمتين، وقد أجمع القراء العشرة في إظهارها إلّا ما كان من مذهب أبي جعفر من إخفائها عند العين، والحاء، في عموم القرآن الكريم باستثناء ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾⁽³⁾، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿وَالْمُنْحِقَةَ﴾⁽⁴⁾، وأيضا قوله تعالى: ﴿فَسَيَنْغِضُونَ﴾⁽⁵⁾، فأظهر النون في هذه المواضع كالجهور، لكنّ الاستثناء أشهر وعدمه أقيس، ولنا أن نلفت الانتباه لمن جعل من حروف الإظهار سبعة أحرف، حيث ألحق الألف المدية بحروف الحلق الستة ومن هؤلاء إمام اللغة سيويه ومن تبعه⁽⁶⁾.

مراتب الإظهار: للإظهار ثلاثة مراتب هي: أعلاها الهمزة والهاء، أوسطها العين والحاء، أدناها يكون عند الغين والحاء، وارتأينا أن نظهر ذلك على شكل جدول يحتوي على أمثلة تبين ذلك:

(1) - الكتاب: سيويه - 455/4.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 158.

(3) - سورة النساء - الآية: 135.

(4) - سورة المائدة - الآية: 3.

(5) - سورة الإسراء - الآية: 51.

(6) - المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص 122.

مراتب	حرف الإظهار من كلمتين	مثاله مع النون	التنوين لا يأتي إلا في كلمتين	مثاله مع التنوين	حرف الإظهار من
1	﴿مَنْ آمَنَ﴾ ⁽¹⁾	- النون مظهرة من الهمزة	﴿وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا﴾ ⁽⁷⁾	- التنوين مظهر من الهمزة.	﴿وَيَأْتُونَ﴾ ⁽¹³⁾
2	﴿مِنْ هَادٍ﴾ ⁽²⁾	- النون مظهرة من الهاء.	﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾ ⁽⁸⁾	- التنوين مظهر من الهاء.	﴿مِنْهَا﴾ ⁽¹⁴⁾
3	﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ⁽³⁾	- النون مظهرة من العين.	﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾ ⁽⁹⁾	- التنوين مظهر من العين.	﴿أَعْمَتُ﴾ ⁽¹⁵⁾
4	﴿مِنْ غِلٍّ﴾ ⁽⁴⁾	- النون مظهرة من الغين.	﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ⁽¹⁰⁾	- التنوين مظهر من الحاء.	﴿وَأَنْحَرُ﴾ ⁽¹⁶⁾
5	﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ ⁽⁵⁾	- النون مظهرة من الحاء.	﴿عَفْوًا غَفُورًا﴾ ⁽¹¹⁾	- التنوين مظهر من الغين.	﴿فَسَيَنْغَضُونَ﴾ ⁽¹⁷⁾
6	﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ ⁽⁶⁾	- النون مظهرة من الحاء.	﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً﴾ ⁽¹²⁾	- التنوين مظهر من الحاء.	﴿وَالْمُنْحَنِقَةَ﴾ ⁽¹⁸⁾

- (1)- سورة البقرة- الآية: 62.
- (2)- سورة الرعد- الآية: 23.
- (3)- سورة الكهف- الآية: 5.
- (4)- سورة الأعراف- الآية: 43.
- (5)- سورة آل عمران- الآية: 20.
- (6)- سورة الرحمن- الآية: 46.
- (7)- سورة النبأ- الآية: 16.
- (8)- سورة التوبة- الآية: 109.
- (9)- سورة الأعراف- الآية: 105.
- (10)- سورة الأنفال- الآية: 71.
- (11)- سورة النساء- الآية: 43.
- (12)- سورة الغاشية- الآية: 2.
- (13)- سورة الأنعام- الآية: 26.
- (14)- سورة البقرة- الآية: 35.
- (15)- سورة الفاتحة- الآية: 7.
- (16)- سورة الكوثر- الآية: 2.
- (17)- سورة الإسراء- الآية: 51.
- (18)- سورة المائدة- الآية: 3.

وهناك من يرى أن الحروف التي تدغم معها النون الساكنة والتنوين عددها خمسة أحرف، ويجمعونها في قولهم: (لَو يُرُو)، وفي ذلك قال أبو عمرو الداني: "وبعض القراء يزيدون حرفا سادسا وهو النون نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ نُورٍ﴾⁽¹⁾، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾⁽²⁾، ولا معنى لذكرها معهن، لأنها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثالين"⁽³⁾.

ب- الحكم الثاني الإدغام: هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا، ويعرّف صوتيا بارتفاع اللسان بالحرفين ارتفاعا واحدا، والحرف المدغم هو النون والتنوين، ويلاحظ أن النون في حالة الإدغام تكون عارية من التشكيل، يعني هذا أننا لا نرى شكلا مرسوما لها، والتنوين غير متساوي، وحروفه ست: الياء، الراء، اللام، الواو، النون، وهي مجموعة في كلمة (يرملون)، فإذا وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة والتنوين وجب إدغامها فيها⁽⁴⁾.

وينقسم الإدغام قسمين: إدغام ناقص بغنة، إدغام كامل بغنة، وكامل بدون غنة.

- إدغام ناقص بغنة: وله حرفان (الواو والياء) وسمي ناقصا لذهاب الحرف وهو النون الساكنة والتنوين، وبقاء الصفة وهي الغنة، مثل: (من وال-

(1) - سورة النور - الآية: 40.

(2) - سورة الغاشية - الآية: 8.

(3) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - ص 238.

(4) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري) - حققه جمال الدين شرف - دار الصحابة للتراث - مصر - د.ت - ص 57.

من يعمل)، نلاحظ هنا أنّ الواو والياء نقصا ولم يكتمل فيهما التشديد، فهما مفتوحتان بدون تشديد، وتنطق (موال - ميعمل).

- إدغام كامل بغنة: وله حرفان أيضا (الميم المشددة) ويسمى إدغام كامل بغنة لأنّهما مشدّتان في الأصل ويدخل عليهما تشديد آخر حالة النطق بالإدغام، فيصيران بهما غنّتان، ذهبت إحداهما بالإدغام وتبقى الأخرى، وهذا القسم قد اكتمل فيه التشديد وحروفهما مجموعان في كلمة (ينمو) أو (يومن)⁽¹⁾.

وعلة إدغام النون والتنوين في هذه الحروف يرجع إلى القرب الذي بينهما وبينهنّ، وكذلك يرجع إلى المشابهة، فأدغما (النون والتنوين) في الراء واللام لقرب مخرجهما من مخرجها على طرف اللسان، وقد قيل إنّهما من مخرج واحد، وتدغم (النون والتنوين) في الميم كذلك للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة، حتى كأنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون لنداوة صوتهما، ويدغما (النون والتنوين) أيضا في الواو، للمواخاة التي بين الواو والميم في المخرج، إذ كانا يخرجان من بين الشفتين، وأيضا فإن المدّ الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم، ويدغما (النون والتنوين) في الياء لمواخاتها الواو في المد واللين، ولقربها أيضا من الراء لأنّه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب من الراء إلى الياء⁽²⁾.

ويشترط الإدغام ألا يكون إلّا من كلمتين، فإذا وقع حرف الإدغام والنون الساكنة في الكلمة الواحدة وجب إظهارها مثل (دُنْيَا، صِنْوَانٌ، قِنْوَانٌ، بُنَيْنٌ)، وسمي إظهارا مطلقا، والعلة في إظهار النون عند هذين الحرفين (الواو

(1) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش - ص 124.

(2) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 239.

والياء) يرجع لثلاثا يلتبس بالمضاعف (وهو ما تكرر أحد أصوله)، مثل: (صَوَّانٌ، الدِّيَا، قُوَّانٌ، بَيَّانٌ)، فلو أدغمت الياء في النون لا يفرّق السامع بينما أصله نون وما أصله التضعيف وهو تكرير الواو في (صَوَّانٌ، وَقُوَّانٌ) والياء في (الدِّيَا، وَيَّانٌ)، والغاية من ذلك الإظهار المحافظة على المعنى إذ لو أدغمت لتحوّل المعنى إلى معنى آخر، وسمّي مطلقا لعدم تقييده بالحلقي أو الشفوي والسبب أن الإدغام يكون من كلمتين وفي هذه الحالة وقع في كلمة واحدة فاحتلّ الشرط وعليه فلا يدخل في حكم المدغم⁽¹⁾.

- كامل بدون غنة: وهما حرفان (اللام والراء) فإذا وقع حرف منهما بعد النون الساكنة أو التنوين وجب إدغامها، ويسمّى هذا الإدغام إدغاما بغير غنة كما يسمّى إدغاما كاملا، أي كامل التشديد وذلك لذهاب الحرف وهو النون أو التنوين والصفة معا وهي الغنة مثل (مِنْ لَدُنْهُ) تنطق (مِلْدُنْهُ) ومثل (غَفُورٌ رَحِيمٌ) تنطق (غَفُورٌ رَرَحِيمٌ)، وسئل أبي - رضي الله عنه - أيهما أحب إليك في الراء واللام؟ قال: وإنما أميل إلى ذهاب الغنة، وإذ كان سيبويه قد حكى إذهاب الإطباق في (أَحَطْتُ) ونحوها، فإذهاب الغنة أقرب⁽²⁾.

نلاحظ من خلال هذا القول أن أبي - رضي الله عنه - أثبت ذهاب الغنة بعد حرف الراء واللام كما فعل سيبويه في إذهاب الإطباق في أحطت، يقول سيبويه عن ظاهرة إدغام النون الساكنة في العربية: "النون تدغم مع الراء (أي في الراء) لقرب المخرجين على طرف اللسان وهي مثلها في الشدة...، وتدغم بغنة وبلا غنة"⁽³⁾.

(1) - المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - ص 125.

(2) - المرجع نفسه - الصفحة نفسها.

(3) - الكتاب: سيبويه - 4/452.

لقد صرّح سيوييه في الأخير أن الراء تدغم في النون الساكنة والتنوين بغنة وبلا غنة، ويقول في هذا المجال أبو بكر بن أشته: "وإنما الوجهان.. يعني لا خلاف بين القراء في إذهاب الغنة وتبقيتها عند الراء واللام فيما النون ثابتة في الخطّ في ذلك، فأما ما كانت النون محذوفة فالعامة مجمعة على الإدغام فيه"⁽¹⁾.

قال أبو جعفر: والغنة صوت يخرج من الخياشيم تابعا لصوت النون والميم الساكنتين، وهي في النون أقوى وأبين، ومن بقى الغنة مع هذه الحروف الأربعة كان تشديده أقلّ من تشديد من لم يبقها، ومن بقى الغنة فهو مدغم كمن لم يبقها⁽²⁾. وتدغم في اللام بأنها قريبة منها على طرف اللسان... فإن شئت كان إدغاما بلا غنة وتكون بمترلة حروف اللسان وإن شئت وأدغمت بغنة لأنّ لها صوتا من الخياشيم فتركه على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب فيغلب عليه الاتفاق. وتدغم النون مع الميم لأنّ صوتهما واحد وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف في الصوت حتى إنّك تسمع النون كالميم والميم كالنون، حتى تتبين، فصارتا بمترلة اللام والراء في القرب، وإن كانا المخرجان متباعدين إلا أنّهما اشتبها لخروجهما جميعا في الخياشيم⁽³⁾.

سبب الإدغام ثلاث هم: التماثل، التقارب، التجانس.

التماثل: يتمثل في إدغام النون في النون، والتقارب يتمثل كذلك في إدغام النون في كل من الراء واللام والواو والياء، أما التجانس فهو إدغام النون

(1) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش - ص 105.

(2) - الكتاب: سيوييه - 452/4 - 453.

(3) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

في الميم، من فائدة الإدغام التخفيف لأن الحرف المدغم مشدّد، والحرف المشدّد يقوم مقام حرفين ساكن فمتحرّك وينطق بهما حرفا واحدا.

ج- تعريف الحكم الثالث الإقلاب: لغة "هو تحويل الشيء عن وجهه، يقال قلبه أي حوّله عن وجهه بأن يجعل البطن ظهرا والظهر بطنا. أما في الاصطلاح: فهو جعل حرف مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة والإخفاء في الحرف الأوّل، والمراد بالحرف الأوّل هو النون الساكنة والتنوين المنقلبين ميماً"⁽¹⁾.

وهناك ما يسمّى الإقلاب إبدال كما جاء في كتاب (الإقناع في القراءات السبع) لابن الباذش حيث قال: "أجمعوا على إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء، سواء كانت النون من كلمة أو من كلمتين، أو كان سكونها خلقة أو لجازم"⁽²⁾.

تحليلاً لقول ابن الباذش يتلخّص موقع حرف الباء بعد النون الساكنة أو بعد التنوين وجوب قلب أو إبدال هذه النون أو التنوين إلى صوت الميم مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾⁽³⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُهُمْ﴾⁽⁴⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكُمْ﴾⁽⁵⁾، فتقلب قلبا صحيحا من غير إدغام ولا إخفاء، وفي هذا الصّدّد يقول سيبويه "تقلب النون مع الباء ميماً، لأنّها من موضع تعتلّ فيه النون، فأرادوا أن يدغموها إذ كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما

(1)- المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم- ص126.

(2)- الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش- ص108.

(3)- سورة النمل- الآية: 87.

(4)- سورة البقرة- الآية: 33.

(5)- سورة البقرة- الآية: 18.

قرب من الراء في الموضع، فجعلوا ماهو من موضع ما وافقها في الصّوت بمتزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع، ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنة، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون، وهي الميم، وذلك مثل: مَمَّ بِكْ يريد مَنْ بِكْ، وشَمْبَاءُ وَعَمْبَرُ يريد: شَنْبَاءُ وَعَنْبَرًا⁽¹⁾، وقال أيضا: "وإذا كانت -يعني النون- مع الباء من كلمة لم تتبين مثل قولك شَمْبَاءُ وَعَمْبَرُ (حيث لا لبس) ولأنك لا تدغم النون وإنما تحوّلها ميمًا، والميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمة فليس في هذا التباس بغيره، بخلاف النون مع الواو والياء"⁽²⁾.

التحليل الصوتي لإخفاء الميم عند الباء: إن الميم تخفى عند الباء مع بقاء الغنة ظاهرة مع صوت الميم مسموع في آن واحد، والنون تأتي من كلمة ومن كلمتين وهي ثابتة رسماً لا لفظاً، والتنوين من كلمتين يثبت نصفه رسماً والنصف الآخر يحلّ محله الميم المقلوبة مثل: (أَنْبُؤِنِي) وفي الحقيقة هذه الميم ليست من أصل بناء الكلمة فهي زائدة عليها. ويقول أبي رضي الله عنه "زعم الفراء أن النون عند الباء مخفأة، كما تخفى عند غيرها من حروف الفم؛ وتأويل قوله أنه سمى البدل إخفاء، قد أخذ بظاهر عبارته قوم من القراء المتحليلين في الإعراب مذهب الكوفيين، وتبعهم قوم من المتأخرين فخلطوا بين مذهب سيوييه وعبارة الفراء من القلب والإخفاء، فغلطوا..."⁽³⁾. يعني ذلك أن الفراء قصد بقوله - النون عند الباء مخفأة- هي النون منقلبة إلى ميم عند حرف الباء كما ذهب إلى ذلك سيوييه.

(1) - الكتاب: سيوييه - 453/4.

(2) - المصدر نفسه - ص 456.

(3) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش - ص 109.

إخفاء الميم ليس إخفاؤها بالكامل بل هو إخفاء شيء منها ويحدث ذلك بتقليل الاعتماد عليها أو تقليل الضّغط عليها في المخرج وهو الشّفتان، بمعنى إبقاء فرجة بين الشفتين حالة النطق بهما فيخرج صوت الميم من هذه الفرجة وهذا يضبط بالمشافهة.

وعليه يقول المرعشي: "والظاهر أنّ معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكليّة، بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة... لأنّ قوّة الحرف وظهور ذاته إنّما هو بقوّة الاعتماد على مخرجه وهذا كإخفاء الحركة في قوله: لا تأمّنًا، إذ ذلك ليس بإعدام الحركة بالكليّة بل تبويضها. ويواصل حديثه عن إخفاء الميم عند الباء بتحليل نطقيّ لذلك فيقول أنّ صوت الميم وصوت الباء يخرجان بانطباق الشفتين، لكنّ الباء أدخل وأقوى انطباقا وهذا ما بيّنته الدّراسة التشريحية للمخارج الصوتية، فالتلفّظ بصوت الميم في مثل أن بورك بغنة ظاهرة يكون بتقليل انطباق الشفتين جدّا ثمّ التلفّظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما، وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم، فوقت انطباقهما في أن بورك أطول من وقت انطباقهما في الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم، إذ الغنة الظاهرة يتوقّف تلفّظها على امتداد ولو تلفّظت بإظهار الميم هنا لكان وقت انطباقهما فيه كوقت انطباقهما في الباء لإخفاء الغنة حينئذ، ويقوى انطباقهما في إظهار الميم فوق انطباقهما في إخفائه، لكنّ دون قوّة انطباقهما في الباء، إذ لا غنة في الباء أصلا بخلاف الميم الظاهرة، فإنّها لا تخلو عن أصل الغنة وإن كانت خفيّة، والغنة تورث الاعتماد ضعفا"⁽¹⁾.

(1) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجرسى - ص 163.

التعليل النطقي لوجه قلب النون الساكنة والتنوين ميما عند الباء: جرى علماء العربية وعلماء التجويد على أفراد النون الساكنة قبل الباء بحكم مستقل سمّوه القلب، فقال سيويه: "وتقلب النون الساكنة مع الباء ميما وذلك في مثل (من بَعَدِ) فيكون النطق (مِم بَعَدِ)"⁽¹⁾.

ويقول الداني "والحال الثالثة أن يقلبا ميما من غير إدغام وذلك إذا لقي الباء نحو أن بورك، أنبئهم، جدد بيض، ظلمات بعضها، وما أشبهه، ويقول أيضا: وإتما قلب ميما عندها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميما من أجل ذلك"⁽²⁾.

تعليلنا لهذه الحالة النطقية للنون الساكنة والتنوين وقلبهما ميما عند الباء على الشكل الآتي:

♦ أولا: أن وجه قلبهما ميما عند الباء أي لم يجبّ الإظهار وذلك لما فيها من كلفة يحتاجها الناطق عند إخراجهما (النون الساكنة والتنوين) من موضعهما على ما يجب لهما من التصويت بالغنة، ففي هذه الحالة يحتاج الناطق بهما إلى فتور؛ يعني انخفاض في الصوت يشبه الوقف، وإخراج الباء بعدهما من مخرجها يمنع من التصويت بالغنة من أجل انطباق الشفتين بالباء.

♦ ثانيا: ولم يجبّ الإدغام للتباعد في المخرج والمخالفة في الصفة، حيث النون والتنوين حرفان أغنّ، والباء حرف غير أغنّ.

♦ ثالثا: ولا تدغم الميم في الباء لذهاب غنة الميم مع كونها من مخرجها، فترك إدغام الميم فيها (الباء) مع أنها ليست من المخرج نفسه كان أفضل ولم

(1)- الكتاب: سيويه - 455/4.

(2)- التحديد في الإتقان والتجويد: الداني - تحقيق غانم قدوري - ص 116.

يؤخذ بالإخفاء، وإذا لم تدغم الميم في الباء لذهاب غنتها به مع كونها من مخرجها (شفويّة) فترك إدغام النون في الباء مع أنّها ليست من مخرجها أولى، ولم يحسن الإخفاء كذلك، كما لم يجبّ الإظهار والإدغام في هذه الأوجه فكان اختيار الإقلاب فبدلاً كلاً من النون والتنوين حرفاً يؤاخيها في الغنة والجهر ويؤاخي الباء في المخرج والجهر، وهذا الصوت هو الميم.

وهكذا، تزول تلك الكلفة في إظهار النون قبل الباء، فالإقلاب جاء كحلّ للنون الساكنة والتنوين إلى صوت الميم الذي يلتقي مع النون في صفة الغنة والجهر، ويلتقي مع الباء في المخرج والجهر.

وعليه، يقول غانم قدوري: "إذا اعتمدت للنون في الشفتين وهي مخرج الباء وأبقيت النفس جارياً من الأنف سمع عندئذ صوت الميم، ومن هنا قال علماء العربية والتجويد بأن النون الساكنة قلبت ميماً قبل الباء فهي في السمع ميم، وفي حقيقة العملية النطقية هي إخفاء للنون في الباء"⁽¹⁾. وقد قال المرعشي: "لولا أصل الغنة لكان الميم باء"⁽²⁾.

إضافة إلى ما يجب على القارئ فعله عند التلفّظ بالنون الساكنة والتنوين عند الباء هو قلبهما ميماً مع الاحتراز أو الاحتراس من كزّ الشفتين على الميم المقلوبة في اللفظ لئلا يتولّد من كزّهما غنة في الخيشوم ممطّطة، فليسكن الميم بتلطف من غير ثقل ولا تعسف⁽³⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 119.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي الجريسي - ص 124.

(3) - المرجع نفسه - ص 124.

ويتمثل رسم علامة الإقلاب في تلك الميم الصغيرة التي تأتي فوق النون الساكنة أو أسفل الحرف فتحتل نصف التنوين مثل: ﴿أَنْبِئُهُمْ﴾⁽¹⁾، من كلمتين ﴿أَنْ بُورِكَ﴾⁽²⁾، مع التنوين ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾، مع التنوين وعلامة الإقلاب أسفل الكلمة ﴿زَوْجٍ بِهِجٍ﴾⁽⁴⁾.

د- تعريف الحكم الرابع الإخفاء: لغة "معناه السّتر يقال اختفى الرجل عن أعين الناس بمعنى استتر عنهم وفي اصطلاح القراء نطق صوت بصفة هي بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد، مع بقاء الغنة في الصوت الأوّل، ويفارق الإدغام بأنّه بين الإظهار والإدغام، وبأنّه إخفاء الصوت عند غيره لا في غيره بخلاف الإدغام"⁽⁵⁾.

وعرّفه الأخفش بقوله: "هو بين الإدغام والبيان"⁽⁶⁾. وعن حالة الإخفاء قال سيبويه: "وتكون النون مع سائر حروف الفم وأصل الإدغام لحروف الفم لأنّها أكثر الحروف، فلمّا وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخفّ عليهم ألاّ يستعملوا ألسنتهم إلاّ مرّة واحدة، وكان العلم بها أنّها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم لأنّه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاخترتوا الحفّة إذا لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم،

(1)- سورة البقرة- الآية: 33.

(2)- سورة النمل- الآية: 8.

(3)- سورة الحجّ- الآية: 75.

(4)- سورة ق- الآية: 7.

(5)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: المرجع السابق- ص126.

(6)- معاني القرآن: الأخفش- ص120.

وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء⁽¹⁾، وذكر ابن جني⁽²⁾ "أن الإخفاء أبين من الإشمام وأظهر من الحس"⁽²⁾، وذكر قبله سيويه في الكتاب: "أن الحرف يخفى ويكون بزينة المتحرك"⁽³⁾.

كما يسمّى كذلك بالتأثر الجزئي أو الناقص، وهناك خمسة عشر صوتاً من الأصوات العربية الجامدة لم تقرب من التّون الساكنة قرب الأصوات التي تدغم فيها النون، ولم تبعد عنها بعد الأصوات التي تظهر قبلها النون، ولكنها توسّطت في البعد والقرب ومن ثمّ كان للتّون الساكنة قبلها حالة هي بين الإظهار والإدغام سمّاها علماء العربيّة والتجويد بالإخفاء⁽⁴⁾.

مواضع إخفاء صوت النون: وحروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً كقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾⁽⁵⁾، وقوله أيضاً: ﴿قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾⁽⁶⁾، وكذلك عند قوله تعالى: ﴿عَادًا كَفَرُوا﴾⁽⁷⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾⁽⁸⁾، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُلْتِ﴾⁽⁹⁾، وقوله أيضاً: ﴿قَوْمًا قُلْنَا﴾⁽¹⁰⁾، وما أشبهه مع الحروف

(1)- الكتاب: سيويه - 445/4.

(2)- شرح تصريف المازني: ابن جني- تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين- القاهرة- مصر- ط1- 1954- ص191.

(3)- انظر: الكتاب: المصدر السابق- 434/4.

(4)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري- ص111.

(5)- سورة البقرة- الآية: 44.

(6)- سورة التوبة: الآية: 53.

(7)- سورة هود- الآية: 60.

(8)- سورة البقرة- الآية: 23.

(9)- سورة هود- الآية: 78.

(10)- سورة الكهف- الآية: 86.

الأخرى، كقوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُوكُمْ﴾⁽¹⁾، وأيضا في قوله: ﴿صَفَا صَفَا﴾⁽²⁾، وفي قوله: ﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْلَا ذُرِّيَّةٍ﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضا: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾⁽⁵⁾، وقوله أيضا: ﴿جِهَارًا ثُمَّ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿مِنْ جُوعٍ﴾⁽⁷⁾، وأيضا في قوله: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾⁽⁸⁾، وفي قوله أيضا: ﴿مِنْ شَرِّ﴾⁽⁹⁾، وقوله تعالى: ﴿نَفْسٍ شَيْئًا﴾⁽¹⁰⁾، وقوله: ﴿مِنْ سُوءٍ﴾⁽¹¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿بَابِ سَلَامٍ﴾⁽¹²⁾، وقوله: ﴿لَمَنْ ضَرَّهُ﴾⁽¹³⁾، وفي قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾⁽¹⁴⁾، وأيضا في قوله: ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾⁽¹⁵⁾، وقوله: ﴿مَثَلًا ظَلَّ﴾⁽¹⁶⁾، وأيضا في قوله: ﴿مِنْ زَوَالٍ﴾⁽¹⁷⁾، وقوله:

- (1) - سورة المائدة - الآية: 2.
- (2) - سورة الفجر - الآية: 22.
- (3) - سورة آل عمران - الآية: 15.
- (4) - سورة الإسراء - الآيات: 2-3.
- (5) - سورة المؤمنون - الآية: 102.
- (6) - سورة نوح - الآيات: 8-9.
- (7) - سورة الغاشية - الآية: 7.
- (8) - سورة الفجر - الآية: 20.
- (9) - سورة الفلق - الآية: 2.
- (10) - سورة البقرة - الآية: 48.
- (11) - سورة آل عمران - الآية: 30.
- (12) - سورة الرعد - الآيات: 23-24.
- (13) - سورة الحج - الآية: 13.
- (14) - سورة النساء - الآية: 9.
- (15) - سورة النساء - الآية: 148.
- (16) - سورة الزخرف - الآية: 17.
- (17) - سورة إبراهيم - الآية: 44.

﴿مَتَاعٍ زَبَدٌ﴾⁽¹⁾، وفي قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا﴾⁽³⁾، وتكون النون الساكنة والتنوين مخفية مع هاته الحروف الخمسة عشر المتمثلة في الآيات القرآنية.

وعليه نلاحظ أن صوت الفاء من حيث اتصلت بالتفشي بالثاء، وهي بمنزلة الثاء في الإخفاء وأن النون الساكنة والتنوين أخفيا عندهن (الفاء والفاء) لأنهما لم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الحلق، وفي هذه الحالة يجب الإظهار بالتراخي؛ ويعرف التراخي بالتباين والتباعد في المخرج، ولم يقربا (النون الساكنة والتنوين) من (الفاء والفاء) كقربهما من حروف (لَمْ يَرَوْا) فيجب الإدغام في هذه الحالة للمزاحمة فأخفيا الصوتين (النون الساكنة والتنوين) فصارا عندهن لا مظهرين ولا مدغمين، وغنتهما مع ذلك باقية ومخرجهما من الخيشوم خاصة ولا عمل للسان فيهما أي يبقى اللسان على وضعه⁽⁴⁾.

ويقول الداني عن إخفاء النون الساكنة والتنوين: "وإخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه"⁽⁵⁾، ونفرق بين المخفى والمدغم، هو أن الصوت المخفي محفف والمدغم مشدد كما يرى ابن الباذش⁽⁶⁾، ويرى أبو عثمان المازني أن الإظهار عند هذه الحروف لحن لأن مخرج النون الساكنة والتنوين من الخيشوم.

(1) - سورة الرعد- الآية: 17.

(2) - سورة البقرة- الآية: 25.

(3) - سورة البقرة- الآية: 282.

(4) - ينظر: الكتاب: سيبويه- 4/454..

(5) - التحديد في الإتيان والتسديد في صنعة التجويد: الداني- ص246.

(6) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش- ص110.

وهناك من علماء العربية والتجويد يرى أنّ الإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام، ولا تشديد فيه إلا أنّ الأهوازي فإنه يرى أنّ المظهر مخفّف والمدغم مشدّد، وعليه فالمخفى يقع بين التشديد والتخفيف إذ هو في رتبة بين الإظهار والإدغام، ويغلّط هذا الأخير كلّ من يقول أنّ المخفى مخفّف.

وعليه نحلّل هذا القول بقولنا يتحقّق الإخفاء مع الحروف التي تكون قريبة من مخرج النون وينقص مع الحروف التي تبتعد عن مخرج النون كذلك، وردّ ابن البادش على قول الأهوازي بقوله: ولا أرى الأهوازي إلاّ وأهما لأنّ التشديد إنّما وجب في الإدغام، لما أرادوا من أن يكون الرّفْع بالمثاليين واحدا، ولا تماثل في الإخفاء (يعني تشابهه) ألا ترى أنّ مخرج النون المخفّاة غير مخرج هذه الحروف التي تخفى النون عندها، كما هي في الإظهار كذلك، فيجب أن يكون حكمها من التخفيف حكم الإظهار⁽¹⁾.

علل الإخفاء النون الساكنة والتنوين عند هذه الحروف: تعود العلة في إخفاء النون الساكنة والتنوين عند هذه الأحرف إلى أنّهما لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام، فيجب إدغامهما فيهنّ من أجل القرب، ولم يبعدا منهنّ كبعدهما من حروف الإظهار، فيجب إظهارهما عندهنّ من أجل البعد، نستخلص من هذه المعادلة الصّوتية أنّه عدم القرب الموجب للإدغام زائد عدم البعد الموجب للإظهار يساوي حكما متوسطا بين الإظهار والإدغام وهو الإخفاء، والحجّة في ذلك أنّ الإظهار إبقاء ذات الحرف وصفته معا، والإدغام التام إذاهما معا.

(1) - ينظر: الإقناع في القراءات السبع: ابن البادش - ص 110.

والإخفاء هنا إذهاب ذات النون الساكنة والتنوين من اللفظ وإبقاء صفتها التي هي الغنة، معنى ذلك انتقال مخرجهما من اللسان إلى الخيشوم، مثلا إذا قلت: عَنكَ وَأَخْفَيْتَ تَجِدُ اللّٰسَانَ لَا يَرْتَفِعُ وَلَا عَمَلُ لَهُ، ولم يكن بين العين والكاف إلاَّ غَنَّةٌ مَجْرَدَةٌ، وفي المثال التالي: لَا يَرِدُ أَنْتُمْ وَنَحْوَهُ فَإِنَّ ارْتِفَاعَ طَرَفٍ مِنَ اللّٰسَانِ لَخُرُوجِ النَّاءِ لَا لَخُرُوجِ النَّوْنِ، وهذا ما يذكره علماء القراءة والتجويد⁽¹⁾.

درجات الإخفاء: يلاحظ علماء التجويد أن إخفاء النون الساكنة والتنوين يتفاوت بحسب بعد وقرب الصوت الذي بعدهما، أي يكون تارة إلى الإظهار أقرب وتارة إلى الإدغام أقرب، وذلك قياسا على بعد الحرف منهما وقربه، ولفظ ذلك قريب بعضه من بعض.

يقول الداني: "وإخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا منه"⁽²⁾، ويقول القرطبي أيضا: "إن حروف الإخفاء أيضا ترتبت في التوسط، فكان فيها الأقرب والأبعد، فكان الإخفاء في الأقرب أكثر منه في الأبعد، فصار الأبعد بين الإخفاء والإظهار"⁽³⁾.

وقد وضّح محمد المرعشي درجات الإخفاء بقوله: "إن حروف الإخفاء على ثلاث مراتب أقربها مخرجا إلى النون ثلاثة أحرف: الطاء والذال المهملتان،

(1)- ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 164.

(2)- التحديد في الإتيان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 117.

(3)- الموضّح في التجويد: القرطبي (عبد الوهاب بن محمد) - تحقيق د. غانم قدوري الحمد - دار عمارة -

الأردن - د. ط - 2000 - ص 17.

والتاء المثناة الفوقية، وأبعدها القاف والكاف، والأحرف الباقية متوسطة في القرب والبعد⁽¹⁾، وتتلخّص مراتب الحروف الثلاثة فيمايلي⁽²⁾:

♦ إخفاء النون الساكنة والتنوين عند هذه الحروف الثلاثة، الأوّل أعلى أو أزيد وغنتهما الباقية تكون قليلة بمعنى أن زمان امتداد الغنة قصير.

♦ وإخفاؤهما (النون الساكنة والتنوين) عند صوت القاف والكاف إخفاء أدنى وأقلّ، وتكون غنتهما الباقية كثيرة بمعنى أن زمان امتدادها طويل.

♦ وإخفاؤهما (النون الساكنة والتنوين) عند باقي الحروف يكون إخفاء متوسطاً وزمان غنتهما متوسط، ولم يلاحظ في أيّ مؤلّف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب. مقدار الغنة: نعلم أن الغنة صوت يخرج من الخيشوم، وهي صفة لازمة للنون والميم إن تحرّكتا أو سكتتا، وإن كانت ظاهرتين أو مخفائين أو مدغماتين، وهي (الغنة) في الساكن أكمل من المتحرّك، لأنّ الحركة تجذب آلة النطق فلا تدع النفس يجري في الخيشوم إلاّ أقلّ. وقد اشترط بعض علماء العربية والتجويد لظهور الغنة في النون والميم أن تكون ساكنتين، فإذا لحقتهما الحركة زالت الغنة عنهما، ولكنّ الصواب والحقيقة أن الغنة لا تنفكّ عنهما إلاّ أنّه تكون في الساكن أظهر وأبين منها في المتحرّك⁽³⁾.

وقول المرعشي السابق أنّه لم يرد في مؤلّف لغوي عربي تقدير امتداد الغنة في تلك المراتب، هذا لا يعني أن الأمر كان اجتهادياً وغير منضبط، فعلماء

(1)- علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري- ص120، يمكن أن نظيف إليها الضاد في نطق القراء من المصريين ومن جاراهم، لأنّ صوت الضاد من مخرج هذه الأصوات الثلاثة (عن هامش المرجع نفسه والصفحة نفسها).

(2)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي- ص165-166.

(3)- علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: المرجع السابق- ص66.

القراءة والتجويد يعتمدون في ضبط كثير من وجوه الأداء على المشافهة والتلقين، لاسيما الظواهر النطقية التي لا تضبطها الكتابة ولا يحيط بها الوصف. وقد حاول المرعشي نفسه تحديد مقدار الغنة فقال: "لا يصل امتدادها إلى قدر ألف أو أزيد. وكان (حسن بن إسماعيل الدركلي) وهو من المتأخرين يقول: أن زمان الغنة أطول من زمن الحرف وأقصر من زمن الحرفين، فيكون قريبا من زمن المد الطبيعي، وقد صرح (الشيخ محمد علي خلف الحسيني) الشهير بالحداد أن الغنة مقدار الحركتين"⁽¹⁾.

وقد حذر علماء التجويد من تطين النون وهو المبالغة في إظهار غنتها سواء كانت ظاهرة أو مخفاة، وفي المخفاة تكون أكثر عرضة لذلك لأن التطين معناه إطالة الصوت بها. كما يلفت علماء التجويد قراء القرآن إلى قضية كيفية النطق بالنون المخفاة، وهي أن اللسان حين ينتقل من مخرج النون إلى مخرج الصوت الذي بعدها فإنه يتبع في حالته حالة اللسان مع ذلك الصوت، فإذا قلت مثلا: (من قال) أو (من كان) فتلاحظ أقصى اللسان يعتمد للنون اعتمادا للصوتين اللذين بعدها، وإذا قلت كذلك (من ذا) و(من سأل)، فتلاحظ أن طرف اللسان عند النطق بالنون المخفاة يكون في موضع مخرج الصوت الذي بعدها وهو آخذ الكيفية التي يكون عليها اللسان مع ذلك الصوت، وهكذا يكون الحال مع بقية الأصوات التي تخفى عندها النون الساكنة⁽²⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 120-121.

(2) - المرجع نفسه - الصفحة نفسها.

2- قواعد الميم الساكنة في علم التجويد:

2-1 تعريف الميم الساكنة:

"الميم الساكنة هي الخالية من الحركات الثلاثة: (الفتح والضم والكسر)، وهي حرف أغنّ مثل النون"⁽¹⁾.

2-2 أحكام الميم الساكنة:

للميم الساكنة أحكام ثلاثة عند مجاورتها للأصوات الأخرى وهي: الإخفاء الشفوي، الإدغام، الإظهار.

أ- الإخفاء الشفوي: للإخفاء الشفوي حرف واحد وهو الباء، ويتحقق هذا الأخير إذا وقعت الميم الساكنة قبل حرف الباء شرط أن تكون (الميم الساكنة) متطرفة، وحرف الباء في الكلمة التي تليها أخفيت عندها، وعلة تسميته بإخفاء شفوي يعود إلى خروج الميم والباء من الشفتين، ولأنّ الإخفاء الحقيقي يتم فيه ستر النون الساكنة والتنوين وإعدامها حالة النطق عند حروف الإخفاء، وقد سبق ذكرنا لذلك مفصلاً مع أحكام النون الساكنة والتنوين، ومن أمثلة الإخفاء الشفوي للميم الساكنة قبل الباء قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ يُعِيدُ مَا تُوَعَدُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1)- التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد: الداني- ص361.

(2)- سورة البقرة- الآية: 8.

(3)- سورة آل عمران- الآية: 101.

(4)- سورة الأنبياء- الآية: 109.

وقد اختلف علماء العربية الأقدمون في وصف حقيقة النطق بالميم الساكنة التي بعدها صوت الباء، فتعددت مفاهيمهم، فمنهم من قال هي مخفاة ويسمونه بالإخفاء الشفوي⁽¹⁾.

ويعرّف الإخفاء الشفوي كذلك بأنه يتم فيه تبعيض الميم وإضعافها حالة النطق عند حرف الباء، (بمعنى أنه يظهر صوتها فيأتي بعضه، ولم يخرج من مخرج الميم الأصلية فتأتي ميمًا مكملًا) وهذا ما يسمونه بالتبعيض⁽²⁾.

ويقول مكّي نصر في كتابه (نهاية القول المفيد في علم التجويد) أن الإخفاء يأتي على قسمين: قسم هو لإخفاء الحركة وقسم هو لإخفاء الحرف؛ فالقسم الأوّل بمعنى تبعيض الحركة، والقسم الثاني يتفرّع إلى فرعين، الفرع الأوّل يتمثل في تبعيض الحرف وستر ذاته في الجملة كما في الميم الساكنة قبل الباء أصلية كانت أو مقلوبة من النون الساكنة والتنوين، والفرع الثاني يتمثل في ذات الحرف بالكليّة وإبقاء غنّته كما في إخفاء النون الساكنة والتنوين عند الحروف الخمسة عشر التي ذكرناها سابقاً⁽³⁾.

مرتبة الغنة في حالة الإخفاء الشفوي: هناك مرتبتين في حالة الإخفاء الشفوي للميم⁽⁴⁾:

1- الإخفاء عند الباء بغنة ظاهرة ويحدث ذلك بإطباق الشفتين لنطق الميم ثم نطق الباء متصلة بالميم من غير فصل بينهما مع إظهار غنة الميم، ولكنّه هناك من القراء من يجافي بين شفثيه قليلا عند النطق بالميم ثم يطبق شفثيه إذا

(1)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص124.

(2)- المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم- ص137.

(3)- ينظر: المرجع نفسه- ص125.

(4)- ينظر: المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم- ص125.

انتقل إلى نطق الباء بعدها، وهذا هو المشهور عند القراء المصريين ومن أخذ القراءة عنهم.

2- ومنهم من لا يجافي بين شفثيه عند النطق بالميم، فيطبق شفثيه للميم والباء أي يظهرها إظهارا تامًا من غير غنة كما هو مشهور عند القراء العراقيين وهو موافق لعبارة كتب التجويد القديمة.

ب- الإدغام: لقد سبق القول بأن للأصوات الشفوية ميزة تتميز بها قلة التأثير بغيرها لتطرفها ومن ثم فإن الميم "لا تدغم إلا في الميم قياسا على قاعدة إدغام الصوتين المتماثلين إذا التقيا وكان الأول ساكنا"⁽¹⁾، وعليه نمثل لذلك بالأمثلة الآتية: يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾⁽⁴⁾، وسواء كانت الميم الساكنة من أصل الكلمة كما في الآيات السابقة، أو كانت منقلبة عن نون ساكنة واقعة قبل ميم في نحو قوله تعالى ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁵⁾، فالنون في (يكن) تصير ميما، وتدغم في ميم (منكم)، وقد كتبت تلك النون ميما في بعض الكلمات القليلة الحروف في مثل

(1) - تحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 167

(2) - سورة البقرة - الآية: 29.

(3) - سورة النحل - الآية: 70.

(4) - سورة يس - الآية: 51.

(5) - سورة الأنفال - الآية: 66.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁾
بسبب الإدغام⁽²⁾.

ج- الإظهار: تقول القاعدة إذا وقعت الميم الساكنة قبل الأصوات الجامدة الأخرى، فإن علماء الأداء يجمعون على إظهارها، ولا سيما قبل الواو والفاء، والعلّة في ذلك قرب مخرجهما (الواو والفاء) منها. ويحدّد علماء الأصوات مخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، أمّا مخرج الواو فهو ما بين الشفتين.

يقول الداني: "وإن التقى بالفاء أو الواو أنعم بيانه للغة التي فيه إذ كان الإدغام يذهبها"⁽³⁾، ويقول السعيدي: "ومّا يحفظ أيضا إسكان الميم الساكنة إذا أردت إظهارها عند الفاء والواو"⁽⁴⁾، وفي شرح المفيد: "...ويسمى إظهارا شفويا ويكون عند الواو والفاء أشدّ إظهارا لئلا يتوهّم أنّها (الميم الساكنة) تخفى عندهما كما تخفى عند الباء ومنشأ ذلك اتّحاد مخرجها بالواو وقربها من الفاء، فيسبق اللسان إلى الإخفاء مثل: عليهم، ولا وتركهم في، ولذلك أشار ابن الجزري في نظمه فقال:

وأظهرها عند باقي الأحرف واحذر لدى واو وفا أن تختفي"⁽⁵⁾

(1) - سورة البقرة - الآية: 79.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 123.

(3) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 361.

(4) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

(5) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 170.

ذكر سيبويه الإخفاء في النون دون الميم وهو يقول بالأّ ينبغي أن تحمل الميم الساكنة على النون في هذا، لأنّ النون هي الداخلة على الميم في البدل، في مثل قولهم شنباء وعنبر، وصمّ وبكم، فحمل الميم عنها غير متّجه لأنّ للتون تصرفاً ليس للميم والسبب يعود إلى أنّ (النون) تدغم ويدغم فيها، أمّا الميم يدغم فيها ولا تدغم.

الفرق الصوتي بين النون والميم: إنّ مخرج الميم من الشفتين وذلك غير جائز، فإن أرادوا بالإخفاء أن يكون الإظهار رفيقا غير عنيف، فقد اتفقوا على المعنى واختلفوا في تسميته إظهارا أو إخفاء. وما ذكر عن الفراء من إخفاء النون عند الباء أنّه سمى الإبدال إخفاء كما سمى الإدغام في موضع آخر من كتابه إخفاء فيرجع الخلاف إلى العبارة لا إلى المعنى، إذ الإخفاء الصحيح في هذا الموضع لم يستعمله أحد من المتقدمين والمتأخرين في تلاوة ولا حكوه في لغة⁽¹⁾. وسوف نمثّل لذلك بالأمثلة الآتية: الإظهار عند الفاء: يقول الله تعالى: ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾⁽³⁾، ويقول أيضا: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽⁴⁾، وفي وقوله تعالى: ﴿يَذُنُّبِهِمْ

(1) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش - ص 65.

(2) - سورة البقرة - الآية: 15.

(3) - سورة الروم - الآية: 15.

(4) - سورة المؤمنون - الآية: 54.

فَسَوَّاهَا⁽¹⁾، الإظهار عند الواو: في قوله تعالى ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ⁽²⁾﴾، وفي قوله أيضا: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ⁽³⁾﴾، وفي قوله كذلك: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ⁽⁴⁾﴾.

وعليه إذا ما حللنا الإظهار صوتيا نستخلص أولا أنه لا تدغم الميم في الواو وإن تشابها في المخرج حتى يفرق بينها وبين النون المدغمة في الواو وذلك خوفا من اللبس فلا يعرف هل هي ميم أو نون، وثانيا لا تدغم الميم في الفاء لقوة الميم، وضعف الفاء لأن القاعدة تقول لا يدغم القوي في الضعيف؛ فكان الإظهار عند هذه الأحرف شرط الحذر من إحداث الحركة في الميم والحذر من السكت عليها، وذلك ما يفعله العامة خوفا من الإخفاء والإدغام فيقول أهل التجويد في ذلك "إذا طبقت شفتيك للميم وأردت النطق بالفاء ألحقت أنيشتيك بمخرج الفاء من الشفة السفلى، وليكن ذلك عند انفتاح شفتيك من الميم في وقت واحد من غير اضطراب بينهما ولا إبطاء، فإن ذلك يؤدي إلى تحريك الميم"⁽⁵⁾.

3- قواعد الإدغام في علم التجويد:

3-1 تعريف الإدغام بين القدامى والمحدثين:

الإدغام لغة هو "إدخال الشيء في الشيء وتغييبه فيه، مأخوذة من قول العرب أدغمت الفرس اللجام إذا أدخلته في فيه، وقال بعض أهل اللغة الدغم

(1) - سورة الشمس - الآية: 14.

(2) - سورة الأعراف - الآية: 71.

(3) - سورة يس - الآية: 56.

(4) - سورة الأنبياء - الآية: 98.

(5) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 125.

التَّغْطِيَةُ وقد دغمه إذا غَطَّاهُ⁽¹⁾، وجاء معنى الإدغام في المعاجم العربية على الشكل التالي:

أولاً: في معجم العين: الدَّغْمَةُ اسم من إدغامك حرف في حرف، وأدغمت الفرس اللِّجَامَ إذا أدخلته فيه⁽²⁾.

ثانياً: في معجم الجمهرة: "أدغمت اللِّجَامَ في الفرس: إذا أدخلته فيه، ومنه إدغام الحروف بعضها في بعض"⁽³⁾.

أما في الاصطلاح هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفاً واحداً مشدداً، يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعاً واحداً، ويعرّف صاحب كتاب شرح الشافية الإدغام اصطلاحاً بقوله: "هو إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام"⁽⁴⁾، ويضيف صاحب كتاب الكشف عن وجود القراءات السبع للتعريف السابق أنّ "الإدغام هو ظاهرة صوتية بارزة في لسان العرب تسعى إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة"⁽⁵⁾.

تعليل القدماء لظاهرة الإدغام: يعلّل سيبويه ظاهرة الإدغام بقوله: "يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعودوا له، فلمّا صار ذلك تعباً

(1) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 214.

(2) - معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي - 395/4.

(3) - جمهرة اللّغة: ابن دريد - دار صادر - بيروت - د. ط - د. ت - ج 2 - ص 287.

(4) - شرح الشافية: الساترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن ت. 686هـ) - تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - د. ط - د. ت - ج 3 - ص 235.

(5) - الكشف عن وجود القراءات السبع وعللها وحججها: مكّي بن أبي طالب القيسي - 134/1.

عليهم أن يداركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا، لتكون دفعة واحدة، إذ كان أخفّ على ألسنتهم"⁽¹⁾.

وكذلك يعلل ابن جني ظاهرة الإدغام بقوله: "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصّوت من الصّوت، ألا ترى أنّك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأوّل في الثاني، حتى نَبَا اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر، ألا ترى أنّك لو تكلفت ترك إدغام الطّاء الأولى لتجشّمت لها وقفة عليها تمتاز من شدّة ممازجتها للثانية بها"⁽²⁾.

وينقسم الإدغام إلى كبير وصغير: فالإدغام الكبير "ما كان الأوّل من الحرفين متحرّكا سواء كانا مثالين أو متجانسين أم متقاربين، ومسمّى كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السّكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرّك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصّعوبة، وقيل لشموله النوعين المثالين والجنسين والمتقاربين، والإدغام الصّغير هو الذي يكون الأوّل منهما ساكنا"⁽³⁾، ويعرّف ابن جني الإدغام بقوله: "هو تقريب الصّوت من الصّوت"⁽⁴⁾. ويقول ابن يعيش عن الإدغام: "فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر"⁽⁵⁾.

(1) - الكتاب: سيبويه - 398/2.

(2) - الخصائص: ابن جني - 140/2.

(3) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 220/1.

(4) - الخصائص: المصدر السابق - 141/2.

(5) - شرح المفصّل: ابن يعيش (موفق الدّين يعيش بن عليّ ت 643هـ) - عالم الكتب - بيروت - د. ط -

د. ت - ج 10 - ص 121.

نستنتج من تعريفات القدامى للإدغام بأنّها ظاهرة صوتية وجدت لعل منها علة الثقل حيث يقع هذا الأخير عند عود اللسان إلى المخرج الأوّل أو مقاربه، فاختار العرب الإدغام طلباً للخفة، ونستنتج أيضاً من كلام سيبويه أنّه رأى أنّ الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً واحداً كالثاني مشدداً، أو هو أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك مثله أو مقاربه فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة أي يرتفع، وقد وقع الإدغام في كلام العرب لأنّ الكلمة إذا كانت حروفها مختلفة كانت أخفّ على ألسنتهم من كون بعض حروفها متّفقة، فذلك ثقل من جهة أنّك إذا تركت مخرج الحرف ثمّ عدت إليه كان بمنزلة من قطع مسافة ثمّ رجع القهقري⁽¹⁾. وعلة الإدغام هي طلب التخفيف بشكل عام حيث يقول أبو عمرو ابن العلاء: "الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره"⁽²⁾.

يحلّل المحدثون ظاهرة الإدغام تحليلاً علمياً وذلك بطرحهم قضية التأثير اللغوي أو كما يسمّونه التأثير بين الحرفين، كما أطلقوا على الحرفين المدغمين اسم المماثلة أو التشابه. وهو عندهم ضرب من التأثير الصوتي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة، ويعنون بالمماثل هو اتّفاق الحرفين مخرجاً وصفة كالسين مع السين، وبالتجانس اتّفاق الحرفين في المخرج فقط كالذال مع الذال، ويعنون بالتقارب تقارب الحرفين في المخرج والصفة كالذال والذال⁽³⁾.

(1) - ينظر: التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة: علي محمد فاخر - مكتبة وهبة - مصر - ط1 - 1999 - ج1 - ص73.

(2) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 220/1.

(3) - الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (أحد القراء السبع): رسول صالح عليّ أحمد الحلبوسي - دار الإيمان - الإسكندرية - مصر - د.ط - د.ت - ص254.

3-2 الإدغام ظاهرة صوتية ناتجة عن التأثير للأصوات المتجاورة:

لقد رأى المحدثون أن الإدغام هو ضرب من التأثير الصوتي يقع في الأصوات المتجاورة على الشكل التالي: تتأثر الأصوات حين تتجاور في التركيب، ويقع ذلك حين يلتقي الصوتان التقاء مباشرا لا يفصل بينهما فاصل مثل الحركة، لأنّ الحركة تمنع حصول التأثير بينهما، لنبيّن ذلك نذكر مثال النون في كلمة (لَنفِد) متحرّكة، وفي كلمة (تَنفِد) ساكنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾⁽¹⁾، لم يحصل تأثر في الكلمة الأولى (لَنفِد) حيث الحركة حالت دون ذلك، بينما اتّصلت النون بالفاء في الكلمة الثانية (تَنفِد) فتأثرت بها ووقع لها ما يسمّيه علماء التجويد بالإخفاء، وكذلك لولا حركة الدال الأولى في كلمة (مَدَدًا) لندغم الصوتان وذلك بارتفاع اللسان عنهما ارتفاعا واحدا ولصارت الكلمة (مَدًا)⁽²⁾.

والسؤال الذي نطرحه في هذا المجال هو: ما نوع الأصوات التي يحدث بينها تأثر حين تتجاور في التركيب؟ يجيب علماء العربية عامّة والتجويد خاصّة أن التأثير يكثر في أصوات الفم وطرف اللسان، ويقلّ في أصوات الحلق وأصوات الشفتين، والعلة في ذلك أن قرب المخرج بين الأصوات مهمّ في حدوث هذا التأثير، حيث يقول الداني: "واعلم أن أصل الإدغام إنّما هو حروف الفم

(1) - سورة الكهف - الآية: 109.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 85.

واللسان لكثرتهما في الكلام وقرب تناولها، ويضعف في حروف الحلق وحروف الشفتين لقلتها وبعد تناولها"⁽¹⁾.

ويقول مكّي أيضاً: "يجب أن تعلم أنّ حروف الحلق لا يدغمن في حروف الفم ولا في حروف الشفتين، وقد تدغم بعض حروف الحلق في بعض لتقارب المخارج، وتعلم أنّ حروف الفم لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الشفتين...، وتعلم أنّ حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق ولا في حروف الفم لبعدها ما بينهنّ في المخرج"⁽²⁾.

نستخلص أنّ بعد وقرب مخرج الصّوت يفسّر لنا حدوث عملية الإدغام من عدمها، فمثلاً تتأثر النون الساكنة بأصوات الحلق الستة فتكون مظهرة قبلها. إذن التأثر يحدث لما تكون الأصوات المتجاورة قريبة المخارج، وكما نعلم أنّ للصّوت مخرجا زائداً صفة تميّزه عن باقي الأصوات، لكنّه أثناء عملية الإدغام يتوجّب على الصّوت أن يحتفظ بصفته ومن القوانين العامة للأصوات أنّه لا يدغم صوت في غيره إذا أدّى ذلك إلى ذهاب صفته.

يقول ابن الباذش مؤكّداً ذلك: "والمزايا التي لا تذهب للإدغام خمسة وهي: الاستطالة، والتفشي، والتكرير، والصّفير، والغنة"⁽³⁾. ويعلّل الداني ذلك بقوله: "وكلّما تقاربت المخارج وتدانّت كان الإدغام أقوى، وما تكافأ في المتزلة من المتقاربتين فإدغامه جائز، لأنّه لا يعرض له ما يمنعه من الإدغام، وما تفاضل من ذلك في المتزلة بزيادة الصّوت فإدغامه ممتنع، لما يدخله من الاختلال بذهاب

(1)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة- غانم قدوري- ص 85.

(2)- الكشف عن جوه القراءات السبع: مكّي بن أبي طالب- 140/1.

(3)- الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش- ص 69.

صوته بالإدغام، فلا يدغم الأفضل في الأنقص، ويدغم الأنقص في الأفضل لأنه يخرج بذلك إلى الحرف الأقوى، وإخراج الأضعف إلى الأقوى جائز لأنه يقوى فيه" (1).

لقد جمع علماء العربية عدد الحروف التي تمتنع عن الإدغام لزيادة صوتها بثمانية أحرف أجمعوها في كلمة (قزم ضرس شص)، ولتوضيح أثر تميّز الصوت بصفة معينة على حصول التأثير بينه وبين غيره من الأصوات نمثل لذلك بصوت الراء الذي يتمييز بصفة التكرير التي تفرّقه عن غيره، وبهذا التفاضل فإنه لا يدغم فيما قاربه من الأصوات بينهما يدغم فيه صوت اللام لأنه يقاربه في المخرج، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽²⁾، يصير نطقها (وَقُرْ رَبِّ) حيث أدغمت اللام في الراء. ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾⁽³⁾، يكون النطق (بَرُّ رَفَعَهُ) فأدغمت اللام في الراء، وليس الراء في اللام حتى لا يؤدي ذلك إلى ذهاب صفة التكرير فيجب المحافظة على نطق الراء.

ونرى الفراء يدغم اللام في الراء ويرجع عن إظهارها حيث قال: "إنّ اللام تدخل في الراء دخولا شديدا"⁽⁴⁾. ويعلل الفراء هذا الدخول بأنه دفع للثقل حيث قال: "فيثقل على اللسان إظهارها فأدغمت"⁽⁵⁾.

(1)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص 86-87.

(2)- سورة طه- الآية: 114.

(3)- سورة النساء- الآية: 158.

(4)- معاني القرآن: الفراء- تحقيق محمد علي النجار وإسماعيل شلبي- دار المعارف- القاهرة- 1972-

ج 2- ص 354.

(5)- المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

فالفراء في هذه الرؤية يوافق سيبويه إذ رجح هذا الأخير إدغام اللام في الراء ومثّل له بقول القائل (اشغل رحبة)، وعلّل هذا الترجيح "بقرب مخرج اللام والراء لأنّ الراء فيها انحرافاً نحو اللام وهو بدرجة قليلة كذلك قرابتها في طرف اللسان، وهما في الشدّة وجري الصّوت سواء، وليس من مخرجهما مخرج والإدغام أحسن"⁽¹⁾. وروى الطّوسي عن الفراء أنّه أجاز إدغام الراء في اللام مخالفاً بذلك على حدّ قوله علماء النحويين الموثوق بهم⁽²⁾.

لكنّ سيبويه منع إدغام الراء في اللام والنون معللاً ذلك بقوله: "لأنّها مكرّرة وهي تنفّس إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتنفّس في الفم مثلها ولا يكرّر"⁽³⁾. نلاحظ على سيبويه أنّه أجاز كذلك إدغام صوت النون في الراء حيث قال: "لأنّك لا تخلّ كما كنت مخلّاً بها لو أدغمتها فيهما، ولتقاربهنّ وذلك (هَرَأَيْتَ وَمَرَأَيْتَ) أصل الكلمتين (هل رأيت، من رأيت)"⁽⁴⁾.

وبعد سرد هذه الآراء بين علماء العربية القدماء نخلص إلى أنّ الفراء رجح إدغام اللام في الراء مثلما قال به سيبويه، لكنّه أجاز كذلك إدغام الراء في اللام مخالفاً سيبويه الذي منع إدغام الراء في اللام؛ وعلّة الفراء في ذلك تعود إلى أنّ الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل وأخفّ من أن تأتي بالراء التي فيها تكرير وتكون بعدها اللام وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير

(1)- الكتاب: سيبويه- 452/4.

(2)- ينظر: التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر الطوسي (ت.460هـ)- تحقيق أحمد حبيب العاملي- المطبعة العلمية النجف- بغداد- 1967- ج2- ص439.

(3)- الكتاب: المصدر السابق- 447/4.

(4)- المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

كالتنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد، ويعني بذلك صوت الراء وصوت التفشّي وصوت اللام، لكنّ ابن يعيش يحتجّ على الفراء بإدغام الراء في اللام بقول سيبويه الذي يمنع ذلك⁽¹⁾.

يوافق علماء الأصوات المحدثين رأي الفراء في إيجازه إدغام الراء في اللام فقط، والذي يبرّر هذا الإدغام قرب المخرج مع اتّحاد الصّفة، لأنّ كلّ منهما متوسط بين الشدّة والرخاوة، ولا يكاد يسمع للراء حفيفا مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام، هذا إلى أنّ الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السّمع فهي لهذا تشبه اللّام والنون والميم التي تعتبر حلقة وسطى بين أصوات اللين والأصوات الساكنة، وكلّ الذي يتطلّب إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصّة به الراء⁽²⁾.

إذا ما التفتنا إلى علماء القراءة نذكر عن ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه وحده الذي أدغم الراء في اللّام في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽³⁾، أمّا عاصم القراء الآخرون فإنهم يظهرون الراء في هذا الموضع وما أشبهه.

3-3 التحليل النطقي لعملية إنتاج الصوت المدغم:

يقول غانم قدوري مفسّراً هذه العملية: "والذي يحدث في إدغام الصوتين المتماثلين ليس مجرد تتابع صوت ساكن يليه صوت متحرّك من جنسه، كما يحدث في نطق صوت ساكن يليه صوت متحرّك بعيد عنه في المخرج

(1) - ينظر: المفصّل: ابن يعيش - 143/10.

(2) - الأصوات الغوية: إبراهيم أنيس - ص 199.

(3) - سورة آل عمران - الآية: 31.

والصّفة، وإنّما يتداخل نطق الصوتين المتماثلين في عملية نطقية واحدة، ويظهر ذلك التداخل أكثر ما يظهر في إدغام الصوت الشديد (الانفجاري) الذي يحتاج نطقه إلى حبس النفس لحظة في المخرج ثمّ إطلاقه، واجتماع صوتين شديدين يقتضي أن يحدث الحبس والإطلاق مرتين، لكنّ الذي يحدث في إدغام المتماثلين هو حبس واحد أطول من حبس النفس للصوت الشديد الواحد، ثمّ إطلاق النفس بعد ذلك مرّة واحدة ويمثّل لنا ذلك بنطق صوت التاء وصوت الباء المدغمين في قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتْهُمُ﴾⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿اضْرِبْ بَعْصَاكَ﴾⁽²⁾، حيث تجد أن التاء والباء مشدّدة، فيعتمد اللسان لهما في مخرجهما اعتماداً واحداً، فيحبس النفس في المخرج مدّة أطول من حبسه في نطق الصوت المفرد، ثمّ يطلق بعد ذلك الحبس فجأة، فإدغام متماثلين يؤدّي إلى اختصار العملية النطقية، ومّا يؤكّد ذلك أن الباء في (اضرب) صوت ساكن من شأنه أن يقلقل قلقلة خفيفة في درج الكلام، لكنّ اتصال نطقه بالباء المكسورة بعده وارتفاع الشفتين بهما ارتفاعاً واحداً فوّت صوت القلقلة الذي يتبع الباء ساكنة⁽³⁾.

تلخيصاً لقول غانم قدوري نصل إلى النتائج التالية للإدغام:

- 1- التقاء حرفان مثالان أو متقاربان.
- 2- الأوّل ساكن والثاني متحرّك.
- 3- عملية قلب أحد الحرفين إلى الآخر يوجب الإدغام.

(1)- سورة البقرة- الآية: 16.

(2)- سورة البقرة- الآية: 60.

(3)- علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري- ص 92.

- 4- الاعتماد على الحرفين مرة واحدة.
- 5- التّطقّ بهما دفعة واحدة من غير توقّف.
- 6- التزام اللّسان موضعا واحدا من المخارج.
- 7- زمن بقاء واحتباس اللّسان في المشدّد أطول من بقائه واحتباسه في المخفّف ويعود ذلك إلى التّضعيف.

التقدير الزمني للصوت المدغم (المشدّد): ذهب علماء التجويد إلى تقدير طول الصّوت المشدّد مذهبين: منهم من يرى أن الصوت المدغم أو المشدّد يقابل في النطق صوتين، ومنهم من يرى أن المشدّد هو أطول من الصوت الواحد، وأقصى من الصوتين ويحدث ذلك أثناء عملية التّطقّ، لكنّ الأصوات المشدّدة أو المدغمة تختلف فيما بينها وذلك يعود إلى طبيعة الصّوت نفسه، وهذا ملخّص في النقاط التالية:

* ما يشدّد بسرعة، وهي الأصوات الانفجارية مثل: الدّالّ والتاء، والباء.

* ما يشدّد بتراخ وتمهّل، وهي الأصوات الغنّاء مثل: الميم والنون لما فيها من الغنّة التي تشبه المدّ، ولقد حذّر علماء التجويد القراء من تطنين الغنّات وهو المبالغة في إطالتها.

* ما يشدّد بتوسّط، وهي الأصوات الرخوة مثل: الشين، والسين، والفاء، والتاء.

* العناية الشّديدة بنطق صوت الراء مشدّد، حيث يجب إخفاء تكريره وعدم إظهاره (ذلك لا يعني إعدام ارتعاد طرف اللّسان كاملا حتى لا ينطلق اللّسان بالتكرار الزائد).

تعريف الحرف المشدّد: الحرف المدغم مكوّن من صوتين الأوّل ساكن والثاني متحرّك، فإذا كان الصوتان من كلمة واحدة وكان سكون الأوّل ليس عارضا بسبب الإعراب، فإنّهما يمثّلان برمز واحد توضع عليه علامة التشديد وذلك مثل (مدّ، عدّ، ثمّ) ونحو ذلك، قلّت حروف الكلمة أو كثرت، والأصل في هذه الكلمات أن ترسم على الشكل الآتي: (مَدَدَ، عَدَدَ، ثُمَمَ)، لكنّ الكتابة العربيّة جرت على الاكتفاء برمز واحد في مثل هذه الحالة منذ أقدم عصورها وهو المأخوذ به في رسم المصحف⁽¹⁾، وعلامة الإدغام في الكتابة العربية التشديد وهو رأس الشين كما ذكر ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين⁽²⁾.

تاريخ مصطلح التشديد: لقد ورد مصطلح التشديد والتثقيل لدى العلماء الثلاثة وهم: الفراء، الأخفش، وأبو عبيد معمر بن المثنى، في مقابل التخفيف، والتشديد هو تكرار الصوّت وإدغامه في آخر من جنسه، ولكلّ من مصطلحي التثقيل والتخفيف لديهم دلالتان أوّلهما التشديد والتخفيف، وثانيهما التحريك والتسكين⁽³⁾.

التشديد في اللهجات العربيّة: هو من الظواهر الشائعة في كلام العرب، إذ تميل القبائل البدوية إلى الشدّة في الكلام وذلك لما تمتاز به من خشونة وغلظة، في حين تميل القبائل الحضريّة إلى اللبونة والتأنّي في لهجتها بما يتلاءم وبيئتها وطبيعتها المتحضّرة، ونسب الفراء التشديد إلى أهل نجد تارة، وإلى أهل اليمن تارة أخرى، في حين نسب التخفيف إلى أهل الحجاز، وكان يسمّيهم أيضا أهل

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 91.

(2) - ينظر: معجم العين: الخليل أحمد الفراهيدي - 49/1.

(3) - ينظر: علم الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي - دار أسامة عمان - الأردن - د.ت - ص 154.

مكة، وتعزى ظاهرة التشديد إلى قبائل نجد، تميم، وقيس بخاصة البدوية الضاربة في البداوة إلى الشدة في الكلام، متمثلة بالجهر والتفخيم والتشديد...، بينما أهل الحجاز (قريش) بخاصة المتحضرون المنتعمون بالميل إلى الترقيق والتخفيف والهمس في الأصوات⁽¹⁾.

3-4 أقسام الإدغام في علم التجويد:

ينقسم الإدغام عند علماء الأداء إلى قسمين الإدغام الكبير وهو ما كان فيه أول الحرفين مدغمين متحرّكا وهو مندرج في باب القراءات أكثر. والقسم الثاني المعروف بالإدغام الصغير كما عرفه ابن الجزري بقوله: هو أن يكون الحرف الأول من الحرفين ساكنا سواء كانا الحرفين مثالين أو جنسين أو متقارين⁽²⁾. ومن المعلوم أن الإدغام الصغير يندرج ضمن علم التجويد، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب، جائز، وممتنع.

أ- الإدغام الواجب: وجوب إدغام المتماثلين: اتفق أهل اللغة والقراء وأهل التجويد بلا خلاف فيما إذا التقى صوتان متماثلان مثل الباء والباء، والتاء والتاء، وأولهما ساكن وجب الإدغام في هذه الحالة، سواء كان الصوتان من كلمة أو من كلمتين.

مثال على ما كان من كلمة:

• الهاء والهاء من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾⁽³⁾.

(1) - ينظر: اللهجات العربية في التراث: أحمد علم الدين الجندي - دار العربية للكتاب - ليبيا - تونس -

1398هـ - 1978م - ج2 - ص657.

(2) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 6/2.

(3) - سورة النحل - الآية: 76.

• الكاف والكاف من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (1).

مثال على ما كان من كلمتين:

• التاء والتاء من قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تُجَارَتْهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (2).

• الباب والباء في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِي كِتَابِي هَذَا﴾ (3).

نستخلص من الأمثلة التي سبق ذكرها أن الإدغام في الصوتين المثالين لا يحصل إلا أن يأخذ أولهما سكونا، فإن كان متحركا فإن الحركة تمنع ذلك، وينطق الصوتين المثالين نطقا مستقلا وسنمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (4)، نلاحظ أنه لم يحصل إدغام بين اللام في الفعل (جعل) وبين اللام في (لكم) والسبب هو حركة الفتحة في اللام من الفعل، عكس ما نلاحظه في الآية القرآنية التي يقو فيها الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (5)، مما نلاحظه في هذه الآية الكريمة مايلي:

- التقاء الحرفين المثالين وهو حرف اللام في أربعة مواضع.

(1) - سورة النساء - الآية: 78.

(2) - سورة البقرة - الآية: 16.

(3) - سورة النمل - الآية: 28.

(4) - سورة يونس - الآية: 67.

(5) - سورة النساء - الآية: 75.

- سكون حرف اللام الأولى وهذا يؤدي إلى وجوب الإدغام فيها كلها، وإن نلاحظ في الموضعين التاليين أن هناك نون ساكنة (وهي أصل اللام) فأدغمت في اللام فقلبت لاما مشددة⁽¹⁾.

لقد سبق وأن أشرنا أن الحرف الأول من المثاليين إذا جاء متحرّكا امتنعت عملية الإدغام، ومن موانع الإدغام المثاليين حرف المدّ إذا اتصل بأولهما، فعلماء التجويد يمنعون الإدغام في هذه الحالة لإعطاء حرف المدّ* حقه من التصويت، لأن الإدغام يؤدي إلى اختلاله في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾⁽³⁾.

إن نطقنا لما جاء في الآيات السابقة هو الحفاظ على نطق حرف المدّ وذلك بإشباع واو المدّ وياء المدّ في كل من (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) و(في يُوسُفَ)، والنطق بالياء والواو المفتوحتين بعدهما نطقا خفيفا.

إن التقاء واو المدّ التي هي من صنف الأصوات الذائبة وبالواو الثانية التي هي من صنف الأصوات الجامدة ليس من باب التقاء الصوتين المتماثلين في حقيقة النطق، وإن كانا يمثلان برموز كتابية مشتركة، ولقد حذر علماء التجويد من إدغام واو المدّ وياء المدّ في الواو والياء، وركزوا ذلك على المتدئين في فنّ

(1) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 88-89.

(* - ويسمى المدّ في هذه الحالة بمدّ التمكين أي تمكين المدّ فيها بمقدار حركتين. (الفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص 150).

(2) - سورة آل عمران - الآية: (3.200) - سورة يوسف - الآية: 7.

التلاوة والتجويد، حيث يقول سيويه: "...فإنّ الإدغام حسن إلا أنّ حرف المدّ بمترلة متحرّك في الإدغام"⁽¹⁾.

ومن موانع الإدغام أيضا هو أن يكون الحرف الأوّل منهما هاء السّكت من قوله تعالى: ﴿مَالِيَهُ هَلْكَ﴾⁽²⁾، فإنّ للقراء فيها وجهين: الإدغام والإظهار فبعضهم يرى الإظهار أرجح، في حالة الإظهار يقف القارئ على الهاء وقفة لطيفة حالة الوصل من غير قطع النفس لأنّ هاء السّكت لا حظّ لها في الإدغام، وقد انفصل عمّا بعدها في الخطّ⁽³⁾.

ولقد ورد عن حفص أنّه يجوّز فيها الوجهين الإدغام عند عدم السّكت، والإظهار حال السّكت لأنّ هذه الأخيرة بمنع الإدغام ويظهر المدغم وهو الحرف الأوّل من الكلمة الأولى؛ وفي حالة الإدغام تنطق (مَالِيَهُلْكَ)⁽⁴⁾.

بناء على ما سبق، تتمثّل موانع الإدغام في الصّوتين المتماثلين في تحريك الحرف الأوّل، اتّصال الحرف الأوّل بحرف مدّ، أن لا يكون أوّل الحرفين المتماثلين هاء السّكت.

ب- الإدغام الجائز: إدغام الصّوتين المتقاربين: لقد أشرنا مما سبق أن "الأصوات المتماثلة هي التي تتفق في المخرج وفي الصّفات، والأصوات المتجانسة هي التي تتفق في المخرج وتختلف في بعض الصّفات مثل الدال التاء الذال التاء، وإلى مقاربة وهي التي تتقارب في المخرج أو في الصّفة يعني في واحدة فقط،

(1)- الكتاب: سيويه - 437/4.

(2)- سورة الحاقة - الآية: 28-29.

(3)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 149.

(4)- المرجع نفسه - ص 151.

كالدال والسين والثاء والتاء. واستخدم بعض علماء السلف مصطلح المتقاربة للتعبير عن القسمين الأخيرين كليهما⁽¹⁾.

كيفية حدوث الإدغام في الصوتين المتقاربين: يلتقي الصوتان المتقاربان الأول منهما ساكنا فيتأثر فيما بعده فينقلب الأول إلى لفظ الثاني فيحصل الإدغام (الذي يعني التقاء الصوتين المتماثلين) شرط أن يكون هذا الالتقاء التقاء مباشرا من دون أن يفصل بينهما بحركة، وفي هذه الحالة يرتفع اللسان هما ارتفاعا واحدة، ويحدث هذا خاصة مع أصوات طرف اللسان.

موانع إدغام الأصوات المتقاربة والمتجانسة:

- مانع التقاء صوتين متجانسين من أصوات الحلق في مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، فإن القارئ عاصما أظهر الحاء الساكنة من فاصفح التي وقع بعدها صوت العين، وهما من مخرج واحد، ولكن الذي فرّق بينهما هو الجهر الذي في العين، والهمس الذي في الحاء والسياق يسمح بحصول التأثير حيث تصير الحاء عينا، ولكن ذلك لم يحصل هنا لأن حروف الحلق ليست أصلا في الإدغام.

- مانع التقاء صوتين متقاربين من أصوات الشفتين: في مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾⁽³⁾، إن صوت الفاء شفويّ أسنانيّ، وصوت الباء شفويّ فهما صوتان متقاربان لكن لم يحصل بينهما تأثر (إدغام) لأن أصوات الشفتين ليست أصلا في الإدغام⁽⁴⁾.

(1)- الكتاب: سيبويه - 473/4.

(2)- سورة الزخرف - الآية: 89.

(3)- سورة سبأ - الآية: 9.

(4)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 94.

شروط إدغام الصوتين المتقاربين: يقول بن جنيّ في ذلك "ويشترط فيهما توفر الأحكام المصوّغة للإدغام"⁽¹⁾، والشروط المصوّغة للإدغام هي: التقارب في المخرج، والتشابه في الصّفات من شدّة ورخاوة وجهر وهمس واستعلاء واستفال، فأصوات طرف اللسان مثلا وهي اللّام والراء والنون والطاء والدال والتاء والضاد والسين والصّاد والزاي والضياء والدال والتاء يكثر فيها الإدغام لاسيما إذا كانت من مخرج واحد.

الإدغام الحاصل في صوت اللام والراء والنون: قد سمّي بعض علماء التجويد المتأخّرين الأصوات التي تدغم فيها اللام وعددها ثلاثة عشر صوتا (بعضهم يجعلها أربعة عشرة صوتا ويذكر اللام معها)، وهي التاء والدال والطاء والضاد والسين والزاي والصاد والدال والتاء والطاء والشين والراء والنون، وتسمّى بالحروف الشمسية من باب تسمية الكلّ باسم الجزء، لأن اللام في كلمة (الشمس) تدغم في الشين، وسمّيت الأصوات التي لا تتأثر لام التعريف بها بالحروف القمرية (لأنّ لام القمر تظهر ولا تدغم)، فكلّ صوت تظهر قبله لام التعريف فهو قمرى وهذه الأصوات هي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الياء، الفاء، الباء، الميم، الواو، فهذه اللام تظهر في النطق بينما اللام قبل الأصوات الشمسيّة تقلب إلى جنس الصّوت الذي بعدها وتدغم فيه⁽²⁾.

وبعد هذا الشّرح لشروط إدغام الصوتين المتقاربين نستخلص قانونا عاماّ للتأثر وهو:

(1) - الخصائص: ابن جنيّ - 140/2.

(2) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 96.

- إدغام اللام عند الأصوات الشمسية يعتمد على مقدار قرب المخرج بين الأصوات المتجاورة، فهي كلّها من أصوات اللسان وما جاورها، واللام عنصر ينتمي إلى مجموعة أصوات الشمسية.

- إظهار اللام عند الأصوات القمرية يعتمد على مقدار بعد مخرج هذه الأصوات من مخرج صوت اللام وبالتالي لم يكن هناك تأثير أي إدغام، لكنّ هناك استثناء لصوت الجيم وهو واحد من الأصوات القمرية التي يجب إظهار اللام قبلها، فقد غلب على العامة مثلا إدغام اللام في الجيم فيقولون (أَجْبَلُ) في كلمة الجبل، و(أَجْنَةُ) في كلمة الجنة، فعلى طالب التجويد الإكثار من التمارين على نطق اللام ظاهرة قبل الجيم ليعود لسانه النطق الصحيح لها، كما حذر علماء التجويد من إدغام لام التعريف في هذا الوضع، فقد قال السعيدى: "وما يحفظ أيضا بيان اللام عند الجيم، وتخفيف الجيم بعدها في مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ﴾⁽¹⁾، وفي قوله كذلك: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾⁽²⁾، وما أشبهه لئلا تدغم اللام في الجيم⁽³⁾.

أمّا إذا لم تكن اللام لاما للتعريف تكون على ثلاثة أحوال ويوجب فيها الإدغام مثلا: (قل وبل) وإذا جاءت بعدها الراء فإنها تدغم في الراء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁽⁴⁾، وقال أيضا: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁽⁵⁾، ويستثنى من ذلك

(1)- سورة الأعراف- الآية: 40.

(2)- سورة الحجر- الآية: 27.

(3)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري- ص96.

(4)- سورة الشعراء- الآية: 157-158.

(5)- سورة الإسراء- الآية: 24.

موضعا واحدا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾⁽¹⁾، في هذه الحالة لا تدغم اللام في الراء وذلك للسكوت، فقد روي عن عاصم الوقوف على اللام وقفة خفيفة ثم يتدئ (ران على قلوبهم) ومن ثمّ فات إثبات اللام في هذا الموضع⁽²⁾.

هناك قضية لغوية تخصّ اللام بخصوصية تميّزها غيرها من الأصوات وهي وجوب إظهارها، يؤكّد علماء التجويد باتّفاق القراء على إظهار اللام الساكنة إذا جاءت بعد نون خاصّة في الأفعال، حتى لا تصير في النطق نونا وعليه يقول صاحب التنبيه على اللحن: "ومّا يحفظ أيضا تخلص اللامات إذا سكّنت عند النونات، وتخفيف النونات بعدها في مثل قول الله تعالى من الأفعال (أنزلنا وأرسلنا وجعلنا وقلنا...)، وما أشبههنّ يحتاج في ذلك إلى حذق، لأنّ كثيرا من الناس تكلف لسكونها فيحرّكها وهو لا يدري، فإذا أردت اللفظ بها على حسب ما يجب ألصقت طرف لسانك بما يليه من الحنك من مخرج اللام ثمّ نطقت بنون، فتحرّك بها لسانك حركة خفيفة من غير أن تضطرب اللام عند خروج النون فإنّ ذلك يؤدّي إلى الحركة ويتكلّف عندها لترقيق اللام، لئلاّ يتشرّب غنة النون لأنّهما قريبتا المخرج فربما تختلطان⁽³⁾، فهذه توجيهات يوجّهها أهل التجويد لمريدي تجويد القرآن.

(1) - سورة المطففين - الآية: 14.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: المرجع السابق - ص 97.

(3) - التنبيه على اللحن الجليّ واللحن الخفيّ: سعيدي (علي بن جعفر) - تحقيق غانم قدوري - دار عمار

الأردن - 2000 - ص 276-277.

جواز الإدغام واختلاف القراء السبعة في ذلك: تدغم اللام جوازا من (هل وبل) في ثمانية أحرف ولقد اختلف القراء السبعة في إدغامها وإظهارها، والحروف الثمانية هي: الطاء، والتاء، والثاء، والظاء، والسين، والزاي، والصاد، والنون.

أما لام (هل) فاختلّفوا في إدغامها عند ثلاثة أحرف هي: التاء، والثاء، والنون، أدغمها حمزة عند التاء والثاء مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ﴾⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤِيبُ﴾⁽²⁾، وروى خلف عن حمزة الإظهار أيضا في (وهل ثوب) لكن الكسائي أدغمها عند الثلاثة والباقون بالإظهار.

ولام (بل) اختلفوا في إدغامها عند سبعة أحرف وهي: التاء، الزاي، السين، والضاد، والطاء، والظاء، والنون، فأدغمها حمزة في التاء والسين، مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾⁽³⁾، وفي قوله أيضا: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾⁽⁴⁾، واختلف عنه في قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ﴾⁽⁵⁾ بالإدغام والإظهار، وأدغم الكسائي عند السبعة وقرأ الباقيون بالإظهار.

نستخلص في أحوال اللام النتائج التالية:

- وجب إدغام أول المتماثلين إذا سكن الأول منهما (وكان الثاني من المثال الأول وهو اللام) طلبا للخفة.

(1) - سورة المائدة - الآية: 59.

(2) - سورة المطففين - الآية: 36.

(3) - سورة الأنبياء - الآية: 40.

(4) - سورة يوسف - الآية: 18.

(5) - سورة النساء - الآية: 155.

- كما وجب إدغام المتقارب (وهو الراء) عند الجمهور ومتجانسا عند القراء ومن تابعه بمثثلة التماثل لاتّفاق المخرجين فازدحما في المخرج، فلا يطبق اللسان بيان الأوّل منهما لعدم الحركة التي تنقل اللسان من وضع إلى آخر فوجب الإدغام واتّفق علماء التجويد والقراء على إدغام كلّ من سكن من أوّل المثالين والمتقاربين في الثاني.

- ويقول إبراهيم أنيس: "والذي يبرّر إدغام اللام في كلّ هذه الأصوات هو أن اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعا في اللّغة العربية، لأنّ نسبة شيوعها حوالي (127) مرّة في كلّ ألف من الأصوات الساكنة، ولاشكّ أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرّضا للتطور اللغوي من غيرها. كما نراه يؤكّد على شيء آخر حيث يقول: هذا إضافة إلى أنّ جميع الأصوات التي تدغم فيها اللام تدرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج⁽¹⁾".

أما بالنسبة لإظهارها فحجّة من قرأها بالإظهار أنّها هي الأصل، وأنّهما (يعني اللام الساكنة وبقية الحروف) منفصلان ذلك أنّ الانفصال يقوى معه الإظهار، وذلك يحدث عندما يقف القارئ على الحرف الأوّل فلا يجوز غير الإظهار، والاتصال يقوى معه الإدغام إذ لا ينفصل الأوّل من الثاني في وقف ولا غيره⁽²⁾.

(1)- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس - ص 202.

(2)- معاني القرآن: الفراء - 354-353/2.

وللقراء كذلك حجة أخرى يقول مكّي: "من أدغم بعضها وأظهر البعض الآخر فإنه جمع بين اللغتين (لغة الإدغام ولغة الإظهار) استناداً إلى روايته عن شيوخه الذين تلقى عنهم"⁽¹⁾.

صوت الراء: صوت مكرّر منحرف فيه شدة وثقل، يضارع حروف الاستعلاء بتفخيمه (ومن ثمّ لم تدغم في غيرها)، والراء قائم بتكريره مقام حرفين كالمشدّات، واللام ليس كذلك، فجذب اللام جذب قويّ للضعيف ثمّ أدغم الضعيف في القويّ على الأصل⁽²⁾.

وقد تقدّم أن اللام تدغم في الراء في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ﴾⁽³⁾، واستثني ما روي عن أبي عمر بن العلاء وحده أنّه أدغمها في اللام في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽⁴⁾، أمّا عاصما والقراء الآخرون غير أبي عمرو فإنهم يظهرون الراء في هذا الموضع وما أشبهه⁽⁵⁾.

يشرح سيبويه صوت الراء الحقيقي فيقول: "إذا تكلمت بالراء خرجت كأنها مضافة وذلك لما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف، حتى أنّ بعض الناس توهموا في أنّ حقيقة التكرير هو ترعيد اللسان بها المرّة بعد المرّة، فأظهر ذلك حالة تشديدها كما يفعله بعض الأندلسيين. والصواب في صوت الراء هو التحفّظ من ذلك بإخفاء تكريرها وهذا مذهب المحققين، لكنّ هناك من يبالغ في إخفاء تكريرها مشدّدة فيأتي بها محصرمة أي شبيهة بالطاء

(1)- الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكّي بن أبي طالب القيسي - 154/1.

(2)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: مكّي نصر الجريسي - ص111.

(3)- سورة النساء- الآية: 158.

(4)- سورة آل عمران- الآية: 31.

(5)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص97-98.

وهذا خطأ، لأنّه يؤدّي إلى أنّ الراء من الحروف الشديدة مع أنّها من الحروف البينة، في هذه الحالة يظهر سبويه حقيقة النطق بالراء موجهًا كلامه للقارئ: "ينبغي للقارئ عند النطق بالراء أن يلصق ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقا محكما مرة واحدة، بحيث لا يرتعد لأنّه متى ارتعد حدث من كلّ مرّة راء، فإذا نطق بها مشدّدة وجب عليه التحفّظ من تكريرها وتأديتها برفق من غير مبالغة في الحصر مثل: الرّحمن، الرّحيم، وحرّ موسى، وأشدّ حرّاً"⁽¹⁾.

صوت النون: لا يدغم شيء من الأصوات في النون، لقد حذر علماء التجويد من سبق اللسان إلى ذلك خاصّة إذا وقع قبلها صوت ساكن من أصوات طرف اللسان، ولقد أشرنا سابقا من إدغام لام الفعل في النون مثل: (جعلنا) وإدغام الراء فيها كذلك في مثل قوله تعالى: ﴿بَشْرًا نَاقٍ﴾⁽²⁾، ومن إدغام الظاء والذال والdal فيها، في مثل قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهَا﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى أيضا: ﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾⁽⁵⁾، أما إدغامها فقد أجمع القراء على إدغامها في الراء واللام، وعلى إظهارها مع أصوات الحلق وإخفائها مع بقية الحروف⁽⁶⁾.

صوت الدال والتاء والطاء والضاد: تخرج هذه الأصوات الأربعة من مخرج واحد وهو طرف اللسان وأصول الثنايا ووهن جميعا شديدة (انفجارية)

(1) - ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد - محمد مكي نصر الجريسي - ص 112.

(2) - سورة الحجر - الآية: 55.

(3) - سورة الحجر - الآية: 17.

(4) - سورة النساء - الآية: 21.

(5) - سورة الجن - الآية 8.

(6) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: عاتم قدوري - ص 98.

ويميز بينها في السَّمع اختلافها في صفة الجهر والهمس والإطباق والانفتاح، فالطاء حرف مجهور شديد مطبق مستعل مقلقل مصمت، الدال حرف قوي مجهور شديد مقلقل مصمت منفتح مستفل، أما الضاد مجهور مطبق، والتاء مهموس.

حصيلة إدغام صوتين من هذه الأصوات:

- الإدغام الكامل: إذا التقى من هنّ صوتان مثلا صوت الدال ويكون في الأوّل وهو ساكن، وصوت التاء يدغم الأوّل في الثاني ويكون إدغاما كاملا.
- الإدغام الناقص: يكون الإدغام ناقصا عند التقاء صوت الطاء بصوت الضاد لأنّهما مميّزان بصفة الإطباق التي يحرص النطق العربيّ على المحافظة عليها عند الإدغام⁽¹⁾.

صوت التاء: للتاء خمس صفات وهي الشدّة والهمس والاستفال والانفتاح والاصمات، ينصح علماء التجويد بالعناية الشديدة في نطق صوت التاء وإعطاء حقه والاعتناء ببيان شدّته لئلاّ تصير رخوة كما ينطق بها بعض الناس، ولا ربّما حوّلت إلى صوت السين لاسيما إذا كانت ساكنة مثل: فِتْنَة وفَتْرَة وَيَتْلُون...، قال شريح في نهاية الإتقان: إن القراء قد يتفاضلون في التاء فتلبس في ألفاظهم بالسين لقرب مخرجها منها، فيجدون فيها رخاوة وصفيرا وذلك أنّه لا يصعدون بها إلى أعلى الحنك وإّما ينحون بها إلى جهة الثنايا وهناك مخرج السين⁽²⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري - ص 99.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: مكي نصر الجريسي - ص 116.

- حالة إدغامها: إذا سكنت التاء وأتى بعدها صوت الطاء وجب إدغامها في الطاء مع وجوب إظهار هذا الإدغام في النطق طاء خالصة بمعنى إظهار الإطباق والاستعلاء في مثل قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾⁽¹⁾، وفي قوله أيضا: ﴿وَقَالَتِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾⁽²⁾، وفي قوله تعالى كذلك: ﴿فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾⁽³⁾، وتدغم التاء إذا كانت ساكنة بعد صوت الدال فتدغم فيها فتصير دالا مدغمة. في الدال الثانية وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾⁽⁴⁾، ويكون النطق على الصورة التالية: (أجيبد) وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْقَلَتِ دَعْوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾⁽⁵⁾، وفي حالة ما كانت التاء ساكنة، وأتى بعدها حرف من حروف المعجم يجب الحذر من إخفائها، لأن التاء حرف فيه ضعف فإذا سكن ازداد ضعفا، فيجب إظهاره لشدته، من القواعد التي ينص عليها علماء التجويد المحافظة على همسه خصوصا عند الوقف عليه مثل: تمت، كلمت، لئلا يتحول إلى دالا مهملة⁽⁶⁾.

صوت الدال: من العيوب التي ينطقها العامة هو التلفظ بالدال كالتاء في مثل قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽⁷⁾، والسبب يعود إلى عدم المحافظة على بيان جهر الدال، فإن الفرق بين الدال والتاء لا يحدث إلا بذلك.

(1) - سورة آل عمران - الآية: 69.

(2) - سورة آل عمران - الآية: 72.

(3) - سورة الصف - الآية: 14.

(4) - سورة يونس - الآية: 89.

(5) - سورة الأعراف - الآية: 189.

(6) - نهاية القول المفيد في علم التجويد - مكِّي نصر الجريسي - ص 116.

(7) - سورة الفاتحة - الآية: 4.

إدغام صوت الدال: تتحد الدال والتاء في المخرج وتتشارك في أكثر الصفات فهذه السمة جعلت الدال تدغم في التاء في حالة ساكونها وتجري عملية الإدغام على الشكل التالي:

لما تكون الدال ساكنة قبل التاء فتدغم في التاء وتصير في النطق تاء، وتدغم في التاء الثانية، والأمثلة في القرآن الكريم على هذا النوع من الإدغام كثيرة وتكون من كلمة ومن كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿أَرَدْتُمْ﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿وَعَدْتَنَا﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿وَجَدْتُمْ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿حَصَدْتُمْ﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضا: ﴿رُدِّدْتُ﴾⁽⁵⁾، ومن أمثلة إدغام الدال من كلمتين قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾⁽⁶⁾، وقوله أيضا: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ﴾⁽⁷⁾، وقوله كذلك: ﴿لَقَدْ تَابَ﴾⁽⁸⁾.

صوت الطاء: تدغم الطاء في التاء إذا جاءت ساكنة قبل حرف التاء، ويكون إدغاما واجبا لكنه غير مستكمل بل تبقى معه صفة الإطباق والاستعلاء لئلا تشبهه بالتاء المدغمة المتجانسة لها بسبب اتحاد المخرج، ولولا التجانس لم

(1) - سورة البقرة - الآية: 233.

(2) - سورة آل عمران - الآية: 194.

(3) - سورة الأعراف - الآية: 44.

(4) - سورة يوسف - الآية: 47.

(5) - سورة الكهف - الآية: 36.

(6) - سورة البقرة - الآية: 256.

(7) - سورة الأنعام - الآية: 94.

(8) - سورة التوبة - الآية: 117.

يبتغ الإدغام في قوله تعالى: ﴿أَحَطْتُ﴾⁽¹⁾، وفي قوله: ﴿بَسَطْتُ﴾⁽²⁾، وفي قوله أيضا: ﴿فَرَطْتُ﴾⁽³⁾.

قياس إدغام الطاء بالتاء: يقول غانم قدور في ذلك: "ولما كان قياس الإدغام أن يقلب الصوت الأول إلى جنس الثاني كان المتوقع أن يكون التطوق (أَحَتْتُ وَبَسَّتْ...)، ولكنّ القراء أجمعوا على إبقاء صوت الإطباق الذي يتمييز به الطاء ولكنهم اختصروا العملية النطقية على ما يقتضيه الإدغام، ومن هنا وصف هذا الإدغام بأنه إدغام ناقص لبقاء شائبة الإطباق مع حبس النفس فقط، وهو يمثل نطق الطاء وزوالها مع إطلاق النفس، وهو يمثل صوت التاء"⁽⁴⁾.

رأي علماء اللغة القدامى في إدغام الطاء في التاء: فرّق علماء الحو القدامى مثل الأخفش والفرّاء وأبو عبيدة بين صوت التاء والطاء والبدال بالهمس في التاء، والإطباق في الطاء⁽⁵⁾، كذلك فرّق المحدثون بالجهر في الدال وبالإطباق في الطاء⁽⁶⁾، ومن أمثلة إدغام التاء في الطاء قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَّاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾⁽⁷⁾، إذ يقول الأخفش في كلمة (يَطَّوَّفُ): أطوف، يَطَّوَّفُ وهي تطوف فأدغم التاء في الطاء، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾⁽⁸⁾، إذ قال

(1) - سورة النمل - الآية: 22.

(2) - سورة المائدة - الآية: 28.

(3) - سورة الزمر - الآية: 56.

(4) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري الحمد - ص 101.

(5) - ينظر: الكتاب - سيبويه - 462/4 - 463.

(6) - ينظر: الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - ص 21.

(7) - سورة البقرة - الآية: 158.

(8) - سورة النمل - الآية: 47.

إدغام التاء في الطاء لأنها من مخرجها⁽¹⁾، فزاد جعل علة الإدغام تتمثل في اتفاق الصوتين (الطاء والتاء) في المخرج.

وهذا الفراء يعلق على قوله تعالى: ﴿الْمُطَوِّعِينَ﴾⁽²⁾، وفي قوله أيضا: ﴿الْمُطَهَّرِينَ﴾⁽³⁾، وهو يعلق على الكلمات التالية (المطوِّعين والمطهَّرين) حيث أدغمت التاء عن الطاء فصارت طاء مشددة إذ الأصل فيها المتطوِّعين والمطهَّرين، ويقول الفراء في هذا الباب: "قال بعض العرب أحط من قوله تعالى: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾"⁽⁴⁾، فأدخل صوت الطاء مكان التاء والعرب إذا ما لقيت الطاء والتاء فسكنت الطاء قبلها وصيروا الطاء تاءً فيقولون أحط⁽⁵⁾، وقد سبق سيويه في ذكر قراءة العرب بإدغام التاء في الطاء وقراءتهم بإخلاص الطاء تاء⁽⁶⁾.

رأي المحدثين: يستخلص غانم قدوري من كلام سيويه والفراء في هذا التأثير الصوتي بين صوت الطاء وصوت التاء إلى حقيقة مفادها أن للعرب ثلاثة مذاهب في إدغام الطاء الساكنة، إذا جاءت بعدها التاء مثل أحطت، هي:

- جعل الطاء تاء وإدغامها في التاء، فيكون اللفظ أحطت وهو من باب إدغام الأوّل في الثاني إدغاما خالصا وهو الأصل في الإدغام.

(1) - معاني الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد الزبيدي - ص 134.

(2) - سورة التوبة - الآية: 79.

(3) - سورة التوبة - الآية: 108.

(4) - سورة النمل - الآية: 22.

(5) - معاني الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي - ص 135.

(6) - ينظر: الكتاب - سيويه - 4/460.

- جعل التاء طاء وإدغام الطاء الأولى فيها فيكون اللفظ أحطّ وهو من باب إدغام الثاني في الأوّل، أي قلب الثاني إلى جنس الأوّل.

- إدغام الطاء في التاء مع المحافظة على إطباقها فيكون اللفظ أحطت بحيث يرتفع اللسان بالطاء والتاء ارتفاعاً واحدة مع المحافظة على إطباق الطاء وإخلاص لفظ التاء، وهذه الحالة سمّاها علماء التجويد بالإدغام الناقص، ولم ترد القراءة إلاّ بالوجه الثالث⁽¹⁾.

ماهي حجّة القراءة في الأخذ بالوجه الثالث؟ يقول الشّريح: "وهذا ممّا يجوز في كلام الخلق لا في كلام الخالق عزّ وجلّ لأنّ كلام الله لا يجوز فيه التصرّف على خلاف ما ثبت عن الرّسول ﷺ بالطرق المتواترة في القراءات المشهورة، وأمّا في كلام المخلوقين فيتوسّع بكلّ ما جاء من اللّغة، وبهذا يتبيّن أنّه لم يرد في القرآن إبدال الطاء تاء وإدغامها فيها"⁽²⁾.

بالإضافة أنّ حجّة هؤلاء اللّغويّة تتمثّل في القاعدة الأساسيّة للإدغام وهي: أصل الإدغام أن يدغم الأضعف في الأقوى ليصير مثله في القوّة، حيث أدغمت الطاء الساكنة في التاء بعدها إدغاما غير مستكمل حتى يبقى معه صفة التفخيم والاستعلاء التي تحافظ على قوّة الطاء.

وأدغمت التاء الساكنة في الطاء بعدها إدغاما كاملا مع إبقاء صفة التفخيم والاستعلاء كدليل على قوّة صوت الطاء وهذا يشبه إبقاء الغنة عند عملية إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء، ويحذّر علماء التجويد

(1)- الدّراسات الصوتية عند علماء التجويد: غانم قدوري الحمد- مطبعة الخلود- بغداد- 1986- ص420-421.

(2)- القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي- ص114.

بشدة من ذوبان هذه الصفات التي تؤدي إلى خلل في الأداء وبالتالي خلل في المعنى.

صوت الضاد: يصنّف صوت الضاد في صنف صفات الحروف الأقوى، "وقد جعل سيبويه صوت الضاد من الأصوات الرخوة"⁽¹⁾، وهذا الوصف إنما ينطبق على الضاد القديمة حين كانت تنطق من أوّل حافة اللسان رخوا مستطيلا وهو ما لا ينطبق على نطق مجيدي القراءة في زماننا، حين ينطقون بالضاد من اللثة شديدا من غير استطالة، من مخرج الطاء والتاء والdal"⁽²⁾.

درجة تقاربها مع الأصوات: تشترك الضاد مع صوت الdal في المخرج وصفة الشدة والجهر لكنّها تميّز عن الdal في صفة الإطباق.

مع صوت التاء: تشارك التاء في المخرج والشدة.

مع صوت الطاء: تشارك الطاء في المخرج والشدة والإطباق وتفارقها في الجهر.

درجة التأثير: يحصل إدغام صوت الdal مع هذه الحروف نتيجة المشاركة في المخرج من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَابٍ﴾⁽³⁾، وقوله أيضا: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ﴾⁽⁴⁾، ومن أمثلة من إدغام الضاد في التاء قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾⁽⁵⁾، وقوله

(1)- الكتاب: سيبويه - 434/4.

(2)- هامش كتاب: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 102.

(3)- سورة البقرة - الآية: 173.

(4)- سورة الأنعام - الآية: 119.

(5)- سورة البقرة - الآية: 198.

أيضا: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿وَوَخَّضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾⁽²⁾، نستخلص من الأمثلة السابقة إذا التقت الضاد الساكنة باطاء وبالتاء أدغمت الضاد في الطاء إدغامًا تامًا، وأدغمت في التاء إدغامًا ناقصًا، لكن علماء التجويد يؤكِّدون على وجوب بيان الضاد وإظهارها، ولقد أخذ بهذا الرأي ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ما نصّه: "ولا أعلم خلافًا بين أهل الأداء في إظهاره"⁽³⁾.

صوت الدال والطاء والتاء: تتوافق الدال والطاء والتاء في المخرج فهي تنتج من مخرج واحد وهو من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، كما تشترك في صفة الرخاوة (احتكاكية)، أما الاختلاف فيميّزه بحاسة السمع وهو على الشكل الآتي: صوت التاء مهموس وصوت الدال مجهور ويسمع لصوت الطاء إطباق.

أوجه الإدغام فيما بينها: إذا التقت التاء بالدال، الوجه الأوّل: بيان جهر الدال مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾⁽⁴⁾، والوجه الثاني: وإذا جاور الدال حرف مفخم وهو الطاء تعيّن على القارئ أن يدغمها (الطاء) ويحرص على أن يبيّن ذلك الإطباق الذي في الطاء.

(1)- سورة البقرة- الآية: 235.

(2)- سورة التوبة- الآية: 69.

(3)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- 234/1.

(4)- سورة الأعراف- الآية: 176.

رأى القراء: قرأ حمزة إدغام "الثاء" في "الدال" ولم يذكر غيره في القرآن الكريم، وقرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي بالإظهار⁽¹⁾، و"حجة من قرأ بالإدغام أن الدال أقوى من الثاء بكثير، لأنّ الدال مجهورة والثاء مهموسة رخوة، فحسن الانتقال الأول إلى القوة بالإدغام، وحجة من قرأ بالإظهار أنّه الأصل⁽²⁾، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾⁽³⁾.

تحليلاً نطقياً للإدغام في الأمثلة السابقة يكون على الشكل التالي: إدغام الثاء في كلمة (يلهث ذلك) والدال في (إذ ظلموا)، يكون نطقها على الصورة التالية: (يلهث ذلك) و(إظ ظلموا)⁽⁴⁾.

من الأصوات التي يجوز فيها الإدغام والإظهار صوت الكاف والقاف، فلقد أجمع علماء التجويد على إدغام القاف في الكاف إدغاما كاملاً في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾⁽⁵⁾، وتصير فيه القاف كافاً ويكون النطق فيها على الشكل الآتي: (نخلكم)، أمّا إدغام القاف في الكاف إدغاما ناقصاً حيث تظلّ صفة الاستعلاء باقية ويكون هذا الإدغام مقتصرًا على الاختصار عملية النطق في حبس واحد وإطلاق واحد للنفس على نحو: (أحطت)⁽⁶⁾.

(1) - الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: رسول صالح عليّ أحمد الحلبوسي - ص 264.

(2) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي - 157/1.

(3) - سورة النساء - الآية: 64.

(4) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 103.

(5) - سورة المرسلات - الآية: 20.

(6) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: المرجع السابق - ص 103.

يشرح ابن الجزري هذا التحليل بقوله: "فأمّا إذا كانت ساكنة قبل الكاف (يعني القاف) كما هي في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ فلا خلاف في إدغامها، إنّما الخلاف في إبقاء صفة الاستعلاء مع ذلك، فذهب مكّي وغيره إلى أنّها باقية مع الإدغام مثل: أحطت وبسطت" (1).

وذهب الداني وغيره إلى إدغامه إدغاما محضا والوجهان صحيحان (2)، لكنّ معظم قراء زماننا يأخذون بالإدغام الكامل، نستنتج مما سبق أن مشايخ القراء متفقين على إدغام القاف في الكاف إدغاما كاملا.

صوت الباء وصوت الميم: يتفق معظم القراء على إدغام الباء في الميم، فلقد قرأ حمزة بإدغام الباء عند الميم في قوله تعالى: ﴿وَيُعَدِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (3)، كما روي عنه الإظهار فيها، وقرأ عاصم بإدغام الباء في الميم في وقه تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَرَكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (4)، فالشكل النطقي لها يكون (اركم معنا) حيث تدغم الميم المنقلبة عن الباء في الميم التي بعدها، وحجّة من قرأها بالإدغام تعود إلى أنّ الميم حرف قويّ بالغنة التي فيها بالإضافة إلى الجهر والشدة، فإذا أدغمت فيها الباء (في حرف أقوى منها وهي الميم فتبدل من الباء عند الإدغام ميمًا، ومن صفاتهما (الباء والميم) أنّهما تشتركا في المخرج من الشفتين كما تشتركا في عدم إدغام لام التعريف فيهما، وحجّة من قرأها بالإظهار يعود إلى أنّ الإظهار هو الأصل ويكونان منفصلان وأنّ لام المعرفة لا تدغم فيهما (5).

(1) - ينظر: النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - 234/1.

(2) - التحديد في الإلتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 45.

(3) - سورة البقرة - الآية: 284.

(4) - سورة هود - الآية: 42.

(5) - الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 266.

ج- الإدغام الممتنع: وهو أن يتحرّك أوّل الحرفين ويسكّن ثانيهما نحو قوله تعالى: ﴿أَضَلَلْتُمْ﴾⁽¹⁾، لم يحدث إدغام في كلمة (أضللتم) والسبب يعود إلى أن الحرف الأول وهو اللام مفتوح (أي متحرّك) والحرف الثاني وهو اللام جاء ساكناً على حسب القاعدة.

4- قواعد الإمالة والفتح في علم التجويد:

لقد حظي موضوع الإمالة باهتمام كبير من كل من النحاة والقراء وذكر السيوطي في الاقتراح: "أن الإمالة من الموضوعات النحوية الأولى التي يقال إن أبا الأسود الدؤلي وضعها"⁽²⁾. وكتب سيويه في كتابه "الكتاب" باباً للإمالة بنى النحاة والقراء دراستهم عليه من بعده.

4-1 معنى الفتح والإمالة في اللغة والاصطلاح:

الفتح لغة: جاء في القاموس المحيط: "فَتَحَ كَمَنَحَ ضِدَّ أَغْلَقَ"⁽³⁾. والفتح حركة من الحركات تقابل الكسر والضّم، وقد استمدّت الفتحة هذا المعنى من فتح ممرّ الهواء عند الحلق والشفاه"⁽⁴⁾، وجاء في سراج القارئ المبتدئ ابن القاصح: "الفتح أي فتح الصوت لا الحرف"⁽⁵⁾، وللفتح في اللغة معاني عديدة

(1)- سورة الفرقان- الآية: 17.

(2)- الاقتراح: السيوطي- طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بجيدر أباد الدكن- العراق- 1359- ص84.

(3)- القاموس المحيط: الفيروز أبادي (مجد الدين)- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1417هـ- مادة فُتِحَ- ج1- ص239.

(4)- The phonetics of ARABIC, W.H.T, Gardner, 1925, P : 34.

(5)- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي: ابن القاصح- مطبعة مصطفى حلي- سوريا- 1929- ص116.

أولها: ضدّ الغلق ومنه فتح الأبواب، وثانيها: النَّصْر ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾⁽¹⁾، وثالثها: الحكم بين الخصمين ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾⁽²⁾.

أما في الاصطلاح: "فهو عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو -أي الفتح- فيما بعده ألف أكثر ظهوراً، ويقال له أيضاً التفخيم والنصب"⁽³⁾.
 الإمالة لغة: هي (الميل) وهو: العدول عن الشيء أو الإقبال عليه. وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلاً ومملاً وتميلاً وأمال الشيء فمال⁽⁴⁾، "والميل بالتحريك ما كان في الحلقة والبناء، تقول رجل أميل العنق في عنقه ميل، وتقول في الحائط ميل، وكذلك السنام"⁽⁵⁾.

والأميل على وزن الأفعال الذي يميل على السرج في جانب ولا يستوي عليه وقال ابن السكيت: "والأميل الذي لا يثبت على ظهور الخيل إنما يميل عن السرج في جانب، يقول جرير:

لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا هَرَمُوا فَهَمْ ثَقَالٌ عَلَى أَكْتَفِهَا مَيْلٌ

ومالت الشمس ميولاً ضيفت للغروب، أو زالت عن كبد السماء⁽⁶⁾.

(1) - سورة الأنفال - الآية: 19.

(2) - سورة الأعراف - الآية: 89.

(3) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 26/2.

(4) - لسان العرب: ابن منظور (مادة ميل) - 159/14.

(5) - تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم

للملايين - بيروت - ط1 - 1956 - (مادة ميل) - ص120.

(6) - القاموس المحيط: فيروز أبادي - (مادة ميل) - 140/1.

الإمالة في الاصطلاح: لم يعرفها سيبويه صراحة ولكنه ذكر في الكتاب عبارات استغلها القراء والنحاة من بعده في تعريف الإمالة، حيث قال: "وإنما أمالوها؛ يعني الألف في عابد وعالم... للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها، ثم قال بعد أسطر، فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها... ثم قال: والياء أخفّ عليهم من الواو فنحوا نحوها"⁽¹⁾.

وفي قول آخر له: "ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيها عين إذا كان أول فعلت مكسورا نحو الكسرة كما نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء"⁽²⁾.

تعريف النحاة والقراء للإمالة بعد سيبويه: لقد استخدم النحاة والقراء مصطلحا (نحاً) و(قرب) في تعاريفهم للإمالة وهذا يبرهن على استغلالهم للنصوص التي أوردها سيبويه في كتابه الكتاب، وما استخلصناه من قراءتنا لتعريفات القراء أنه غلب اختيارهم مصطلح (قرب) في تعريفهم للإمالة وغلب استعمال مصطلح (نحاً) عند النحاة؛ واختار القراء مصطلح (قرب) لما له صلة بالدقة التي يتّصف بها علم الأداء وما يرتضونه من قدر في الإمالة، فهم يتحدثون عن درجات الإمالة بدقّة متناهية، أما اختيار مصطلح (نحاً) لدى النحاة لأنها ليست من معنى التقريب الذي يحرص عليه القراء، حيث جاء في القاموس النحو هو الطّريق والجهة والقصد، ونحاً: مال على أحد شقيّه، وعلى هذا قد يفهم من قول النحاة أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء أي أن تتجه جهة الكسرة أو أن تقصد الكسرة، أو أن تميل جهة الكسرة، وكل ذلك محتمل قلب

(1) - الكتاب: سيبويه - 259/2.

(2) - المصدر نفسه - 261/2.

الفتحة كسرة، والألف ياء، ذلك القلب الخالص الذي يقرأه القراء ويستجيزه النحاة⁽¹⁾.

2-4 درجات الفتح والإمالة وأنواعها

أورد الداني في كتابه الموضح نوعين للفتح إذ يقول: "الفتح على ضربين فتح شديد وفتح متوسط، والفتح الشديد هو نهاية فتح القارئ فيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألفا ويسمى أيضا التفخيم، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان، ومن قرب منهم لأن طابعهم في العجمة جرت عليه واستعملوه كذلك في اللغة العربية وهو في القراءة مكروه ومعيب، أما الفتح المتوسط فهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما"⁽²⁾.

درجات الإمالة: تنقسم الإمالة بدورها إلى إمالة شديدة وأخرى متوسطة، فالإمالة الشديدة تتمثل في إمالة الفتحة القصيرة أو الطويلة إلى الكسرة قصيرة كانت أو طويلة كثيرا وتسمى أيضا الإضجاع والبطح والإمالة المحضة والإمالة الكبرى، أما الإمالة المتوسطة فهي تتمثل في الفتح الأقرب، ويطلق عليها أيضا بين اللفظين، والتقليل والتلطيف والإمالة الخفيفة⁽³⁾.

(1) - ينظر: الإمالة في القراءات القرآنية واللهجات العربية- عبد الفتاح إسماعيل شلي- مطبعة نهضة مصر- القاهرة- ط1- 1957- ص19.

(2) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شلي- ص23.

(3) - النثر في القراءات العشر: ابن الجزري- 26/2.

إن استعمال مصطلح الفتح الشديد جاء متأخراً بعد أن سمّو الفتحه الخالصة تفخيماً وبعد أن سمعوا الأعاجم ينطقونها فتحه شديدة مفخّمة، فوظّفوا المصطلحين وهما الفتح الشديد للنطق الأعجمي المفخّم والفتح المتوسط الخالص من التفخيم.

إن مصطلحات الكسر والبطح والإضجاع والألف المعوّج والليّ جميعها تطلق على الإمالة بنوعيتها الشديدة والخفيفة إلى وقت جاء فيه ابن الجزري فوظّف المحض والإضجاع والبطح والكسر من أسماء الإمالة الشديدة، ووظّف مصطلح بين اللفظين والتلطيف والتقليل وبين بين للإمالة الخفيفة، وتابعه السيوطي في ذلك⁽¹⁾.

3-4 مقاصد النحاة والقراء من البحث في الإمالة:

يقصد النحاة من بحثهم في موضوع الإمالة البحث عن حقيقتها وفائدتها وحكمها ومحلّها وأصحابها من القبائل وأسبابها دون الاهتمام بمذاهب القراء في الأداء من فتح أو إمالة أو بين هذين إذ كان ذلك لا يتصل بصميم ما يبحثون، أمّا ما يقصده القراء من بحثهم في موضوع الإمالة اهتمامهم بمذاهب القراء المختلفة في الفتح أثناء القراءة أو الإمالة وعلى الدرجات كذلك، يختلف النحاة عن القراء أيضا في كتابة عناوين الباب الذي يبحثون فيه الإمالة، فالنحاة يعنونونه بلفظ الإمالة لا غير، في حين أن القراء يعنونونه بالفتح والإمالة أو بالإمالة والتفخيم أو بالفتح والإمالة وبين اللفظين.

(1) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شليبي - ص 31-32.

4-4 التحديد الجغرافي لشيوع الإمالة والفتح:

يقول ابن الجزري: "فالإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشبهتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"⁽¹⁾.

وهذا القول لا يراد به الإطراد لأن الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعاً مما ذكروه، فقد كانت تنظم معظم القبائل العربية وإن تفاوتت قلة وكثرة، فهي إذا صفة كثيرة الشيوع جداً عن العرب في نطقهم... لكن النحاة عندما ذكروا الميادين في القبائل أعطوا أهمية خاصة كعادتهم الحديثة عن الحجازيين وعن تميم وأسد وقيس. وكان سبب هذا الاهتمام الظاهر بالحجازيين أن لغتهم هي لغة القرآن الكريم، وناهيك بهذا سبباً باعثاً على العناية بلهجاتهم.

أما قبائل تميم وأسد وقيس، فهي القبائل التي أخذ عنها علماء العربية الأعلام وبخاصة تميم، حيث كانت تسكن جانب نجد المجاور للعراق، فكانت أرضهم مهبط العلماء الذين يفيدون إليها للتلقي عن فصائحها وأعرابها الذين لم تفسدهم العجمة، ولم يكن قرب الحجازيين بالتميميين في الحديث عن الإمالة فقط، بل نجد ذلك منثوراً في أبواب النحو المختلفة"⁽²⁾.

القصد من القول أن الفتحة لغة أحد الحجاز: ليس المقصود من نسبة الفتح إلى أهل الحجاز التعميم، فمن الحجازيين من جرى لسانه بالإمالة في كثير من الكلمات وقد اتضح ذلك من الشواهد التي ذكرها سيبويه عن الشعراء الذين

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 26/2.

(2) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شلبي - ص 95-96.

عاشوا في بادية الحجاز فلا ربّما ينظرون إلى الذين يميلون من الحجازيين هم المتبدّون منهم ومن يفتحون هم المتحضّرون أو لعلّ الأمر على عكس ذلك أي أنّ أهل الحجاز الذين يسكنون البادية كانوا يميلون ثمّ تخلّو عن الإمالة، وما بقي من الألفاظ الممال في بادية الحجاز هو الأصل في لهجتها⁽¹⁾.

وأثبت ذلك سيوييه فقال: "وأعلم أنّه ليس كلّ ما أمال الألفات وافق غيره من العرب ممّن يميل، ولكنّه قد يخالف كلّ واحد من الفريقين صاحبه فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه، وكذلك من كان النّصب من لغته لا يوافق غيره ممّن ينصب، ولكنّ أمره وأمر صاحبه كأمر الأوّلين في الكسر، فإذا رأيت عربيّاً كذلك فلا تريئه خلط في لغته ولكنّ هذا من أمرهم"⁽²⁾.

نستخلص ممّا سبق أنّه يمكن بصفة عامّة أن ننسب الفتحة إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربيّ الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوزان وسعد بن بكر وكنانة، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها، وأشهرها تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب، والقبائل التي كثر انتشارها في أمصار العراق بعد الفتح الإسلامي تكاد تنحصر في الشعبة الثانية، وقد اتّخذ علماء الكوفة والبصرة مثلهم من القبائل التي انتشرت في تلك الأصقاع أو تعوّدت النّزوح إليها⁽³⁾.

(1) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شليبي - ص 95.

(2) - الكتاب: سيوييه - 125/4.

(3) - ينظر: في اللهجات العربية - إبراهيم أنيس - ص 53.

4-5 مفهوم الفتح والإمالة عند علماء الأصوات اللغوية:

الفتح والإمالة في الاصطلاح الحديث: يرى المحدثون من علماء الأصوات اللغوية أن الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين، سواء كان قصيرين أو طويلين، ويشيرون إلى أن أصوات اللين القصيرة في الاصطلاح الحديث هي ما كان يسميه القدماء بالحركات، أما أصوات اللين الطويلة فهي ما كانوا يسمونه بألف المدّ وياء المدّ وواو المدّ⁽¹⁾، ويسمّيها غانم قدوري بمصطلح الأصوات العربية الذائبة⁽²⁾، ولا فرق بين الأصوات القصيرة والطويلة إلا في الكميّة.

مقياس الإمالة: وضع المحدثون مقاييس مشهورة تعرّض لها بالتفصيل علم الأصوات اللغوي، فمقياس الإمالة والفتح يتحدّد بالنظر إلى وضع اللسان مع ملاحظة الشكل الذي تتخذه الشفتان في أثناء النطق بالصوت⁽³⁾.

وضعيّة اللسان مع الفتح: يقول إبراهيم أنيس: "واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، هو ذلك المقياس الذي يسمّى عادة بالكسرة طويلة كانت أو قصيرة، فهناك إذا مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسّمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة، وإمالة شديدة"⁽⁴⁾.

(1) - في اللهجات العربية - إبراهيم أنيس - ص 56.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 75.

(3) - علم اللغة: محمود السّعران - ص 200.

(4) - في اللهجات العربية - المصدر السابق - ص 57.

وبناء على ما سبق، يكون الفرق بين من يفتح وبين من يميل ليس إلا اختلافًا في وضعية اللسان في الفم، ففي حالة الإمالة يكون اللسان أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح.

عوامل إمالة الفتح إلى الكسر: ذهب علماء الأصوات المحدثون إلى أن إمالة الفتح إلى الكسر (أشهر الإمالات المختلفة التي ذكرها إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية) يجب أن يعزى بصفة عامة إلى أحد العاملين: الأصل اليائي، والانسجام بين أصوات اللين.

فإمالة الفتحة أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل، فليس هذا إلا نوعًا من الانسجام من أصوات اللين، لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة سواء كانت سابقة أو لاحقة، ولا شك أن الانتقال من الكسر أو الفتح أو بالعكس يتطلب مجهودًا عضويًا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض بأن تصبح متشابهة، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة⁽¹⁾.

ويواصل إبراهيم أنيس حديثه عن نظرية السهولة والاقتصاد ومتى سلّمنا بها، نستطيع أن نتصور أن الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام، وهو يمثل لذلك بكلمة كتاب كما ينطق بها بغير إمالة فهي أقدم في نسجها منها مع الإمالة، ويرى أن للانسجام اللغوي بين أصوات اللين خاصة قيمة مهمّة في معظم لغات البشر وهو من التطورات الحديثة التي تميل إليها اللغات بصفة عامة، وقد اعترف به القدماء من علماء العربية وسمّوه في باب الإمالة بمصطلح التناسب ثم سمّوه في

(1) - في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس - ص 60.

بعض أبواب الإعراب بحركات الإتياع، بل إن حركة الإتياع قد اعترف بها بعض القراء فرووها في بعض القراءات القرآنية⁽¹⁾.

الأسباب الصوتية للإمالة: "من أسباب الإمالة الصوتية التجانس الصوتي وما في هذا الأخير من خفة ومشاكله، ذلك لأنه وإن كانت الألف تشبه الياء في اللين فبينهما تباعد لانفتاح الألف، وانسفال الياء فقرّبوا بينهما في الصوت، إذ أن الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب من أسفله وأدناه فتنافرا، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين، فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر"⁽²⁾.

وهذا التجانس الصوتي الذي يدعو إل الإمالة هو أيضا يدعو إلى الإدغام، ويشرح ذلك سيويه بقوله: "وإنما أملوها (الألف) للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: صدر فجعلوها بين الزاي والصاد فقربوها من الزاي والصاد التماس الخفة"⁽³⁾.

"وربما كان السرّ في ميل اللغة العربية إلى الناحية الموسيقية وما فيها من التماس الخفة أنها نشأت لغة شفوية لم تقيد بقيود الكتابة، اكتفي فيها أول الأمر بالسّماع والنطق، ومتى اقتصر أمر اللغة على السّماع وعلى النطق وعلى الإنشاد فلا بدّ أن تعني كلّ العناية بهذا الانسجام الصوتي الذي ظهر فيما ظهر في الإمالة"⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس - ص 60.

(2) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شلي - ص 266.

(3) - الكتاب: سيويه - 259/2.

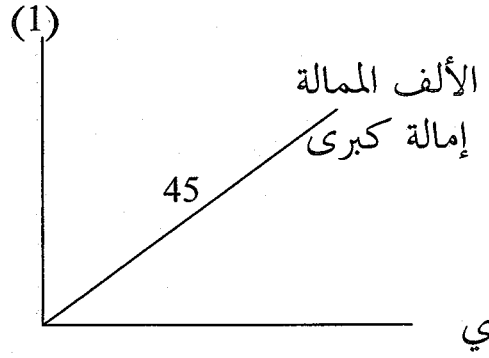
(4) - الإمالة في القراءات واللهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شلي - ص 167.

4-6 نظرة علماء التجويد للإمالة:

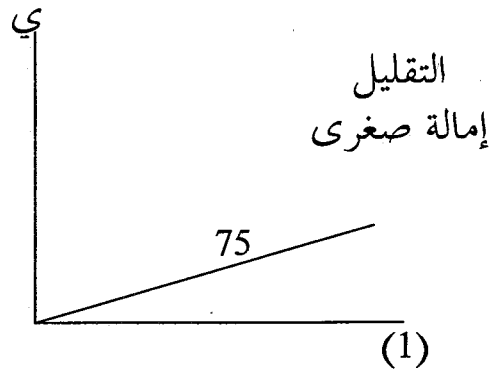
قبل الحديث عن نظرة علماء التجويد للإمالة ارتأينا أن نعيد الوصف النطقي للألف والياء، فالألف حرف يخرج من الجوف على ما مال إليه ابن الجزري تبعاً للخليل بن أحمد الفراهيدي، ويخرج من أقصى الحلق بتباعد الفكين عن بعضهما كما ذهب إليه سيبويه، أما الوصف النطقي للياء فهي تخرج من وسط اللسان مديّة كانت أو غير مديّة، وإن قال بعضهم إنّ الياء المديّة تخرج من الجوف، ولكن لا بدّ أن يعمل مخرج الياء مثل (وجيء)، صحيح أنّ الجبال الصوتية في الحنجرة ترتجف إلاّ أن الياء تخرج من وسط اللسان ويصاحب ذلك خفض الفك السفلي إلى أسفل مع انضغاط اللسان إلى أعلى عند مخرج الياء (أي)، أو الكسرة لأنّها بنت الياء. وعلى هذا التحديد المخرجي للألف والياء يرى علماء التجويد الإمالة هي صوت خليط من الألف والياء، وبعض القبائل العربية تخلط هذين الصوتين بنسب متفاوتة فيحصل عن ذلك نوعين من الإمالة وهما: الإمالة المحضة أو الكبرى، والإمالة الصغرى وتسمّى التقليل أو الإمالة بين (1).

حساب مقدار صوت الإمالة الكبرى: صوتها فيه من الألف بمقدار ما فيه من الياء؛ بمعنى صوت الألف 50% وصوت الياء 50%، فهي ألف نحى بها نحو الياء على شكل الرسم الآتي:

(1) - ينظر: إضاءات في علم التجويد: أيمن رشدي سويد - ص 146.



حساب مقدار الإمالة الصغرى: تنتج من خلط صوت الألف بنسبة 75% إلى صوت الياء بنسبة 25%، وهي تمثل على شكل الرسم الآتي:



الأسباب الموجبة للإمالة عند القراء: يجمعها بن الجزري بعشرة ترجع إلى شيئين أحدهما الكسرة والثاني الياء.

الإمالة لأجل كسرة متقدمة: لا يمكن للكسر ملاصقة الألف إذ لا تثبت الألف إلاّ بعد فتحة فلا بدّ أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف الممالة فاصل وأقله حرف واحد مفتوح نحو: كتاب وحساب، وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الألف.

فأمّا الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة، والفتحة مبدأ الألف، ومبدأ الشيء جزء منه، فكأنه ليس بين الألف والكسرة حائل، وقد يكون الفاصل بين الألف والكسرة حرفين بشرط أن يكون أولهما ساكناً أو يكونا

مفتوحين، والثاني هاء نحو: إنسان ويضربها، من أجل خفاء الهاء وكون الساكن حاجزا غير حصين فكأنهما في حكم المعدوم وكأنه لم يفصل بين الكسرة والألف إلا حرف واحد، وهذا يقتضي أن من أمال (مررت بها) كانت الكسرة عند الألف في الحكم وإن فصلت الهاء في اللفظ، وأمّا إمالتهم (درهمان) فقبل من أجل الكسرة قبل ولم يعتد بالحرفين الفاصلين والظاهر أنه من أجل الكسرة المتأخرة.

الإمالة لأجل الياء المتقدمة: فقد تكون ملاصقة للألف الممالة مثل: أياما والحياة، ومن ذلك قولهم: السيّال بفتح السين وهو ضرب من الشجر له شوك، وقد يفصل بينهما بحرف مثل: (شيبان)، وكذلك يفصل بينهما بحرفين أحدهما الهاء مثل: (يدها)، ويكون الفاصل غير ذلك مثل: (رأيت يدنا).

الإمالة من أجل الكسرة بعد الألف الممالة: مثل: (عابد)، وقد تكون الكسرة عارضة مثل: (من الناس) و(في النار)، لأنّ حركة الإعراب غير لازمة. الإمالة من أجل الياء بعد الألف الممالة: مثل: (مبايع).

الإمالة لأجل الكسرة المقدّرة في المحلّ الممال: مثل (خاف) أصله الخوف بكسر عين الكلمة وهي الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. الإمالة لأجل الياء المقدّرة في المحلّ الممال: مثل: (يخشى، الهدى، آسى، الثرى) تحركت الياء في ذلك وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا.

الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة: مثل: (طاب، جاء، شاء، زاد) لأنّ الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فنقول: طبت، جمّت، شئت، زدت، هذا قول

سبويه ويمكن أن يقال إن الإمالة فيه ليست بسبب أن الألف منقلبة عن ياء، ولكن إذا أطلقوا المنقلب عن ياء أو واو في هذا الباب فلا يريدون إلا المتطرف. الإمالة لأجل ياء تعرض في بعض الأحوال: مثل: (تلا، غزا) وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو (التلاوة) و(الغزو) وإنما أميلت في لغة من أمالها لأنك تقول إذا بنيت الفعل للمفعول مثل: تلى وغزى مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيت الفعل للفاعل.

الإمالة لأجل الإمالة: مثل قوله تعالى: ﴿تَرَاءَى﴾⁽¹⁾، فأمالوا الألف الأولى من أجل إمالة الألف الثانية المنقلبة على الياء فقالوا: (رأيت عمادا) فأمالوا الألف المبذلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة، وقيل في إمالة (الضحى والقوى وضحاها وتلاها) إنها بسبب إمالة رؤوس الآيات قبل وبعد، فكانت من الإمالة للإمالة، ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من (إن لله) لإمالة الألف من (لله) ولم يمل (وإن إليه راجعون) لعدم ذلك بعده.

الإمالة لأجل الشبه: فإمالة ألف التأنيث في مثل: (الحسنى) وألف الإلحاق في مثل: (أرطى) في قول من قال: (مأرط) لشبه ألفهما بألف الهدى المنقلبة عن الياء، ويمكن أن يقال: الألف تنقلب ياء في بعض الأحوال وذلك إذا تئيت قلت: الحسينان والأرطيان، ويكون الشبه أيضا بالمشبه المنقلب عن ياء كإمالتهم: (موسى وعيسى) فإنه ألحق بألف التأنيث المشبه بألف الهدى.

(1) - سورة الشعراء - الآية: 61.

الإمالة لأجل كثرة الاستعمال: كإمالتهم (الحجاج) علما لكثرتهم في كلامهم وذكره سيويه، ومن ذلك إمالة (الناس) في الأحوال الثلاث ويمكن أن يقال إنَّ ألفه منقلبة عن ياء كما ذكره بعضهم.

الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف: يقول سيويه: وقالوا باء وتاء في حروف المعجم يعني بالإمالة لأتّها أسماء ما يلفظ به فليست مثل: (ما) و(لا) وغيرها من الحروف المبنية على السّكون وإتّما جاءت كسائر الأسماء، وبهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء والفواتح⁽¹⁾.

علل الإمالة: للإمالة ثلاث علل أوردتها كتب الاحتجاج اثنتان صوتيتان وأخرى دلالية:

تتمثل العلتين الصوتيتين في أولا: تبيين الألف وإزالة خفائها، وثانيا: التناسب بين الأصوات.

وتتمثل العلة الدلالية الدلالة على أن أصل الألف ياء.

ذكر أبو علي العلة الأولى في احتجاجه لقراءة الكسائي بإمالة الألف المتطرّفة من قوله تعالى: ﴿تراءى﴾⁽²⁾، وقفا بقوله: "وفي الألف خفاء شديد من حيث لم تعتمد في إخراجها على موضع، فصارت لذلك بمنزلة النفس من أنّه لا يعتمد له على موضع، فبينها بأن نحا بها نحو الياء وقربها منها، ويدلّك على حسن هذا أن قوما يبدلون منها الياء المحضة في الوقف فيقولون: أفعي، وحُبلي⁽³⁾.

(1) - ينظر: النشر في القراءات العشر- ابن الجزري- 29/2-30.

(2) - سورة الشعراء- الآية: 61.

(3) - الكتاب: سيويه- 181/4-182.

"وآخرون يبدلون منها الهمزة فيقولون: هذه حَبْلًا ورَأَيْت رجُلًا"⁽¹⁾،
فكذلك "نحنا بالألف بإمالتها نحو الياء ليكون أبين لها..."⁽²⁾.

وذكر بن أبي مريم العلتين الثانية والثالثة بقوله: "الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف التي بعدها نحو الياء ليتناسب الصوت بمكانها ويتجانس ولا يختلف، فهذا غرضهم من الإمالة، وأما إمالتهم الألف المنقلبة عن الياء والتي في حكم المنقلب عنها فهي أيضا لإرادة التناسب، وذلك لأنهم اعتقدوا وجود الياء في الكلمة فكرهوا أن يقع مكانها ما هو مخالف لها، فأمال الألف لما ذكرنا من إرادة التناسب لما في وهمهم من حصول الياء، وليدلوا بذلك أيضا على أن الألف منقلبة عن الياء أو في حكم ما هو منقلب عن الياء"⁽³⁾.

والمكي بالعلة الثانية في حديثه عما أميل لكسرة بعد الألف على الراء مثل في قوله تعالى: ﴿النَّارِ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ﴾⁽⁵⁾، فقال: "وعلة من أماله أنه لما وقعت الكسرة بعد الألف قرب الألف نحو الياء، لتقرب من لفظ الكسر لأن الياء من الكسر... فحسن ذلك ليعمل اللسان عملا واحدا متسفلا فذلك أخف من أن يعمل متصعدا بالفتحة والألف ثم يهبط متسفلا بكسرة الراء..."⁽⁶⁾.

(1)- الكتاب: سيبويه - 176/4-177.

(2)- المصدر نفسه - 162/4.

(3)- الكشف عن وجوب القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي - 168/1.

(4)- سورة البقرة - الآية: 39.

(5)- سورة البقرة - الآية: 164.

(6)- الكشف عن وجوب القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي - 170/1-171.

موانع الإمالة: مما يمنع من الإمالة من الحروف حروف الاستعلاء، والراء إن لم تكن مكسورة وتلتقي جميعا في صفة التفخيم.

حروف الاستعلاء: تمنع الإمالة إذا وقعت بعد الألف ولم يفصل بينهما شيء، أو فصل بينهما حرف أو حرفان مثل: ناصر، هابط، منافخ، أو وقعت قبل الألف ولم يفصل بينهما شيء مثل: صابر، أو فصل بينهما حرف واحد ولم تكن مكسورة، أو ساكنة بعد كسر مثل: ضباب، قفاف، طاب، مقلاة، مطعان، ومطعام؛ فإذا كان سبب الإمالة في ذات الألف من ياء أو كسرة مقدرتين أو عارضتين أو شبهها بألف تمال قوي جانب الإمالة وصار الحرف المستعلي غير مؤثر. يقول بن أبي مریم في هذا الشأن: "وأما ما يمنع الإمالة فمنه الحروف المستعلية وهي سبعة أحرف: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والحاء...، فهذه الحروف تمنع الإمالة"⁽¹⁾.

علّة منع هذه الحروف (مستعلية) للإمالة لأنها أثناء التّطق بها يصعد اللسان إلى الحنك الأعلى كما تصعد الألف فتغلب الألف، فتمنعها على أن تصير إلى جهة الياء فلا يتناسب الصوت فيها، وحرصهم على تناسب الصوت منعهم عن إمالة الألف مع الحروف المستعلية كما أملوها مع الكسرات والياءات لتحقيق التناسب الصوتي، فإذا كان الحرف المستعلي قبل الألف بحرف وكان مكسورا فإنه لا يمنع الإمالة مثل: ضباب وقفاف، وكذلك إذا كان حرف الاستعلاء ساكنا بعد كسر مثل: مقلاة ومطعام، فإنه لا يمنع الإمالة والسبب في ذلك يعود إلى أن حرف الاستعلاء جاء مكسورا ولأن ترتيبه في الكلمة جاء قبل

(1) - حجّة القراءات: ابن الزنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط5 - 2001 -

الألف ولم يليها، في هذه الحالة تكون وضعية اللسان في موضوع المستعلي فيصوب به بالكسرة ثم ينحدر بالإمالة، ولكنّه إذا أملت الألف في مثل ناشط وواقد يصوّب اللسان بإمالة الألف ثمّ يتصعّد بالحرف المستعلي فتكون العملية النطقية على الشكل التالي: تصعّد ثمّ تسفل فالنتيجة يكون هناك ثقل وهذا مستبعد في العملية الصوتية.

إمالة الأفعال مع حروف الاستعلاء: إنّ الأفعال تتصرّف وفي هذه الحالة يجوز في بعض منها الإمالة مع وجود الحرف المستعلي فيما يلي الألف منه، مثل: طاب وخاب وصار، تتصرّف هذه الأفعال على الشكل الآتي: خفت وطبت وصرت، لقد أجاز النحاة الإمالة في هذه الأفعال لأجل الكسرة، فالكسرة في هذه الحالة غلبت الحرف المستعلي كما غلب أيضا كون الألف من الواو في الفعل (خاف) فلهذا صارت الكسرة أقوى، وصار الحرف المستعلي غير مؤثّر، كما في الاسم الذي على أربعة أحرف يقوى بجانب الياء فيه حتى غلب الحرف المستعلي، فقالوا: معطى ومُرْحَى، فأمالوهما على المستعلي⁽¹⁾.

ومن موانع الإمالة أيضا حرف الراء: يمنع حرف الراء الإمالة بشرطين: أوّلا أن لا تكون مكسورة، ثانيا أن تتصل بالألف قبلها مثل (راشد)، ويتعيّن الفتح أو بعدها مثل (جدار) مفتوحة كانت أو مضمومة، فإذا كانت مكسورة جلبت الإمالة، وغلبت الحرف المستعلي كإمالة الألف في مثل (قارب)⁽²⁾.

يقول بن أبي مریم: "ومّا يمنع الإمالة أيضا الراء إذا وقعت مفتوحة قبل الألف أو بعدها مثل (راشد ورادف ومطارد ورأيت حمارا) ويعلّل ابن مریم

(1)- ينظر: الكتاب- سيويه- 128/4-132.

(2)- المصدر نفسه- 136/4.

ذلك بقوله: وإنما منعت الراء المفتوحة الإمالة لأنّ الراء فيها تكرير، فالفتحة فيها تجري مجرى فتحين كما أنّ الكسرة في الراء تجلب الإمالة لأنّ الكسرة فيها تجري مجرى كسرتين، فتغلب الحرف المستعلي في مثل صارم وطارد...، وأمّا قولهم في قرارك بالإمالة، فقد غلبت الراء المكسورة الراء المفتوحة، كما غلبت الحرف المستعلي في (قارب) لأنّ الراء المفتوحة لا تكون أقوى من الحرف المستعلي وقد غلبته الراء المكسورة، وينبغي أن يعلم أن الراء المفتوحة إنّما تمنع الإمالة إذا وليت الألف مثل (راشد)، كما أنّ المكسورة إنّما تجلب الإمالة إذا وليتها الألف مثل (حارث)"⁽¹⁾.

مواضع الإمالة:

الإمالة في رؤوس الآيات: قال المهدي في قراءة أبي عمرو ما توالى في رؤوس الآيات من ذوات الياء بإمالة متوسطة: "...فإنّ رؤوس الآيات مشبهة بالقوافي والإمالة وما قرب منها تغيير، ورؤوس الآيات والقوافي مواضع التغيير لأنهنّ مواضع الوقف، والوقف يقع فيه التغيير، ألا ترى أنّهم قالوا في الوقف على أفعى أفعو وقال بعضهم أفعي، فغيروا الألف بالقلب وهم لا يفعلون ذلك في الوصل إلاّ على الشذوذ من بعضهم ممّن حمل الوصل على الوقف"⁽²⁾.
وعليه، إذا كان الوقف مكان التغيير والإعلال وكانت رؤوس الآيات مواضع الوقف، كما أنّ القوافي مواضع الوقف تحسن الإمالة، والقراءة بين اللفظين ضرب من الإمالة لأنّه تقريب منها"⁽³⁾.

(1) - الموضّح في وجوه القراءات وعللها: ابن مريم - 213/1.

(2) - الكتاب: سيبويه - 182-181/4.

(3) - ينظر: الموضّح في وجوه القراءات وعللها - ابن مريم - 253/1.

ويعود السبب في إمالة رؤوس الآيات عند القراءة إلى أن هذه الحروف هي أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية المقطعة بدليل أنك تخبر عنها فتعربها، فتقول حاؤك حسنة وصادك محكمة...⁽¹⁾.

الوقف على الممال: يقول مكّي: "وإذا كانت الإمالة لكسرة بعد الألف ثم وقفت بالرّوم ضعفت الإمالة قليلا لضعف الكسرة التي أوجبت الإمالة مثل قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿النَّارِ﴾⁽³⁾، فالوقوف بالإسكان تزول الإمالة عند بعض القراء لزوال الكسرة... وبعضهم يبقي الإمالة في ذلك كله على ما كانت عليه في الوصل لأن الوقف عارض، ولأن الإمالة سبقت إلى لفظ الحرف الممال قبل الوقف فبقي على حاله، وعلى هذا القول العمل"⁽⁴⁾.

إمالة الفتحه قبل هاء التأنيث في الوقف: كان الكسائي يقرأ بإمالة الفتحه قبل هاء التأنيث في الوقف لشبهها بألف التأنيث لفظا ومعنى، فإذا وصل فتح لأنها تعود تاء ولا شبه بينها وبين الألف... فقليل له إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع العربية؛ يعني بذلك كما يقول أبو عمرو الداني أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبنا العرب⁽⁵⁾.

إذا كان قبل هاء التأنيث ألف منقلبة عن الواو فلا سبيل إلى الإمالة مثل الزكاة والصلاة، وعلة ذلك أنه لو أميل ما قبل هاء التأنيث في هذه الكلمات تمال الألف وهذا غير جائز عند أهل الأداء.

(1) - الكشف عن علل القراءات: مكّي بن أبي طالب القيسي - 188/1.

(2) - سورة البقرة - الآية: 164.

(3) - سورة البقرة - الآية: 39.

(4) - الكشف عن علل القراءات: المصدر السابق - 198/1.

(5) - ينظر: النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - 65/2.

إمالة الفتحة نحو الضمة: وهي ألف التفتيح (الفتح) قال ابن جني في قراءة من قرأ ما بقي من الربو (مضمومة الباء ساكنة الواو: "والذي ينبغي أن يتعلل به في نحو (الربو) بالواو هو أنه فتح الألف انتحاء بها إلى الواو التي هي الألف بدلا منها على حد قولهم في قوله تعالى: ﴿الصَّلَاةُ﴾⁽¹⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿الزَّكَاةُ﴾⁽²⁾، وفي قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾⁽³⁾، وكقولهم: عالم وسالم وسالف وأنف. وكأنه بين التفتيح فقوي الصوت فكان الواو أو كاد...⁽⁴⁾. وقال العكبري في قوله تعالى: ﴿كَمِيعَصٍ﴾⁽⁵⁾، تقرأ بضم الكاف وهي ضمة غير محققة بل هي بينه الضم والفتح، كما مالة بين الكسرة والفتح، وهذا على لغة من يقول في الوقف هذه أفعو فيجعلها واوا...⁽⁶⁾.

إمالة الضمة نحو الكسرة: قال أبو علي: "ومما يقوي قول من قال في قوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾⁽⁷⁾، أن هذه الضمة المنحو بها نحو الكسرة في نحو قولهم (شربت من المنقر*)، وهذا ابن مذعور، وابن ثور، فأمالوا هذه الضمات نحو الكسرة لتكون أشدّ مشاكلة لما بعدها وأشبهه به وهو كسر الراء"⁽⁸⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 3.

(2) - سورة البقرة - الآية: 43.

(3) - سورة النور - الآية: 35.

(4) - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني - تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط1 - 1988 - ج1 - ص142.

(5) - سورة مريم الآية: 1.

(6) - إعراب القراءات الشواذ: أبو البقاء العكبري - تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز - عالم الكتب بيروت - ط1 - 1996 - ج2 - ص38.

(7) - سورة البقرة - الآية: 11.

(* - المنقر: الركية الكثيرة الماء. (ينظر: الكتاب - سيبويه - 143/4).

(8) - سر صناعة الإعراب: ابن جني - 53/1.

فائدة الإمالة: تكمن فائدة الإمالة في تلك العملية النطقية من ارتفاع اللسان بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدر وهو على هذه الوضعية يكون أحفّ على اللسان من الارتفاع والتصعّد كما أنّها تسهل اللفظ في النطق، ولهذا أمال من أمال، وأمّا من فتح فإنّه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل.

للإمالة قيمة تمييزية ونلاحظ ذلك في قراءة أبو عمرو في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾، يقول بن خلويه شارحاً قراءة أبي عمرو: "وكان أبو عمرو أحذقهم ففرّق بين اللفظين (أعمى، وأعمى) لاختلاف المعنيين فقرأ من كان في هذه أعمى بالإمالة، وقرأ (في الآخرة أعمى) بالفتح أي أشدّ عمى فجعل الأوّل صفة بمتزلة أحمر وأصفر والثاني بمتزلة (أفعل منك)..."⁽²⁾.

ويقول أبو علي الفارسي: "ويؤكّد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله (وأظّل سبيلاً) وكما أنّ هذا لا يكون إلاّ على أفعل، كذلك المعطوفة عليه"⁽³⁾. ويختتم ابن زنجلة القول عن الإمالة بأنّ الإمالة والفتح لا يأتيان على المعاني، بل الإمالة هي تقريب من الياء⁽⁴⁾.

5- قواعد المدّ والقصر في علم التجويد:

تنقسم الأصوات اللغوية إلى قسمين: القسم الأوّل يدعى الصّوامت، والقسم الثاني يسمّى الصّوائت، ولقد اصطلح علماء التجويد المتقدّمين على

(1) - سورة الإسراء- الآية: 72.

(2) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي - 184/1. (وذلك أنّه إن كان من عمى القلب جاز أن يقال فيه ما أعماه، كما يقال ما أحمقه).

(3) - الحجّة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي - 113/5.

(4) - ينظر: حجّة القراءات: ابن زنجلة - ص 89.

تسمية القسم الأوّل بالأصوات الجامدة وعلى تسمية القسم الثاني بالأصوات الذائبة⁽¹⁾.

ويعتمد هذا التقسيم الذي يمكن أن تحدثه آلة النطق لدى الإنسان على كيفية مرور النفس في الجهاز الصوتي، فعملية النطق للأصوات الذائبة تحدث على الشكل التالي: أثناء النطق بالصّامات الذائبة يمرّ الهواء حرّاً طليقا خلال الحلق والفم من غير أن يقف في طريقه أيّ عائق يؤدّي إلى تضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا وهو صوت يتميز بأنه مجهور. أمّا عملية النطق للأصوات الجامدة يحدث أثناء عملية النطق بالصّوت الجامد أن يعترض بعض أعضاء آلة النطق على مجرى الهواء اعتراضا كاملا كما في نطق صوت الكاف والباء مثلا، أو يكون ذلك الاعتراض اعتراضا جزئيا من شأنه أن يمنع انطلاق الهواء بحريّة عبر الحلق والفم، كما في نطق الحاء والزاي مثلا⁽²⁾.

فالفرق الأساسي بين الأصوات الذائبة والأصوات الجامدة هو أنّ الأصوات الجامدة يصاحبها تقارب بين عضوي نطق مما يؤدّي إلى وقف تامّ للهواء الخارج من الرّئتين أو اضطراب فيه، أما بالنسبة للأصوات الذائبة فإنّ درجة اقتراب عضوي النطق من بعضهما أقلّ من ذلك الحاصل في نطق الأصوات الجامدة.

5-1 العدد الجمالي للأصوات الذائبة والجامدة:

يصل عدد الأصوات الجامدة إلى ثمانية وعشرين صوتا وهي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الياء، الجيم، الشين، اللام،

(1) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 44.

(2) - ينظر: علم اللغة - محمود سمران - ص 160.

الراء، النون، التاء، الدال، الطاء، الضاد، السين، الزاي، الصاد، الظاء، الـذال،
 الثاء، الفاء، الميم، الباء، الواو. أما عدد الأصوات الذائبة فيصل إلى ثلاثة: الواو
 المضموم ما قبلها في مثل: (ذو)، والياء المكسور ما قبلها في مثل: (في)، والألف
 ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا وذلك في مثل: (ما)، وهي "التي سماها المتقدمون
 من علماء العربية والتجويد بحروف المدّ واللين"⁽¹⁾.

إنّ عدد الأصوات للغة العربية الأساسية يصل إلى واحد وثلاثون صوتا،
 منها ثمانية وعشرون صوتا جامدا بالإضافة إلى ثلاثة أصوات ذائبة، ولقد اتفق
 المحدثون مع جمهور علماء المتقدمين على أنّ الحركات الثلاث التي هي الضمة
 والفتحة والكسرة مأخوذة من أصوات المدّ الثلاثة، وهذا ما يؤكده ابن جني في
 قوله: "وقد كان متقدّموا النحويين يسمّون الفتحة الألف الصّغيرة، والكسرة
 الياء الصّغيرة، والضمة الواو الصّغيرة"⁽²⁾.

فالحركات الثلاث هي نوع من الأصوات الذائبة. بما أنّ المدّ والقصر
 ميزتان تلحق الأصوات الذائبة، فسوف نركّز حديثنا عن الأصوات الذائبة في
 حالتها الانفرادية أوّلا وعن حالتها التركيبية والظواهر الصوتية التي تنشأ منها
 ثانيا.

2-5 تعريف القصر والمدّ لغة واصطلاحا:

القصر لغة: ضدّ المدّ وهو الحبس، أمّا اصطلاحا هو إثبات حرفي المدّ
 على قدر حركتين فقط في غير زيادة عليه عند عدم ملاقة همز أو سكون⁽³⁾.

(1) - الكتاب: سيويه - 435/4-436.

(2) - سرّ صناعة الإعراب: ابن جني - 19/1.

(3) - المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص167.

المدّ لغة: هو البسط والإمهال. أمّا اصطلاحاً: هو إطالة الصّوت بحرف مدّي من حروف العلة⁽¹⁾. ترسم حروف المدّ والحروف اللّين برموز واحدة لكنّها تختلف من ناحية النطق بعض الاختلاف ولنبين هذا الاختلاف نأخذ الياء في (بيع) والواو في (قول) فهذه الياء والواو أجمع علماء العربية والتجويد على تسميتها بحروف اللّين وسمّيت أيضاً بحروف المدّ في مثل أبيع وأقول ، فالياء والواو إذا كانتا مسبوقتين بحركة ليست من جنسهما أو كانتا متبوعتين بحركة فهما من الأصوات الجامدة، وذلك لتحيز مخرجهما، وإذا كانتا مسبوقتان بحركة من جنسهما فإنّهما حينئذ من الأصوات الذائبة.

5-3 الأمد والكيفية للأصوات الذائبة في العربية:

أ- الرّمز الشكلي للأمد أو الكميّة: من حيث الأمد يكون الصّائت أو الصّوت الذائب إمّا طويلاً بهذا الشكل: | - | ، | - | ، | - | ، فيسمّى حرف مدّ أو قصيراً يكون بهذا الشكل الكتابي | - | ، | - | ، | - | ، فيسمّى حركة وبهذا التحليل الكمي تتألف الأصوات الذائبة في اللّغة العربية من ثلاثة أصوات من حيث النوع وستة من حيث الكميّة⁽²⁾.

يتفق علماء التجويد وعلماء العربية على أنّ الحركات هي أبعاض المدّ، فالفتحة من الألف والكسرة من ياء المدّ، والضمة من الواو، وأنّ الفتحة إذا أشبعت صارت ألفاً والكسرة إذا مطلت عادت ياء، والضمة إذا مدّت أضحت واوا⁽³⁾.

(1) - القواعد المقرّرة والفوائد الحرّرة: البقري (محمد بن قاسم إسماعيل) - تحقيق: محمد بن إبراهيم بن فاضل المشهداني - الرياض - ط1 - 2005 - ص115.

(2) - الصوتيات العربية: منصور بن محمد الغامدي - ص72.

(3) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص77.

ب- الكيفية: إن أمد الصّوائت الطّويلة أطول من أمد الصّوائت القصيرة بمعنى آخر تبقى أعضاء النّطق في وضع واحد لفترة أطول عند نطق الصّوائت الطّويلة منها عند نطق الصّوائت القصيرة، مثلا الفرق بين نطق الكلمتين: كتب و كاتب فالصّائت الأوّل في الكلمة الأولى قصير وهذا ما سمّاه جمهور علماء العربية والتجويد بالحركة، بينما نظيره في الكلمة الثانية طويل وهو ما يعرف بصوت المدّ، فصفت الصّائت الطويل تساوي تقريبا صفات الصّائت القصير، فكيفية إنتاج الصّائت شبه ثابتة، أما الأمد أو الكميّة فمتغيّرة.

ج- القياس الزمني للأصوات الذائبة: يبلغ زمن الصّوائت الطويلة في اللّغة العربية ضعف زمن الصّوائت القصيرة (80 ملثانية للقصيرة و160 ملثانية للطويلة)، أما القياس الزمني عند علماء التجويد فهو يقرّرون أنّ الفتحة تساوي نصف الألف والضمّة تساوي نصف واو المدّ والكسرة نصف ياء المدّ، وقالوا: "الألف مرّكب من فتحين وواو المدّ من ضمّتين وياء المدّ من كسرتين؛ أي أنّ نطق الحركة يستغرق نصف الزمن الذي يستغرقه نطق صوت المدّ"⁽¹⁾.

4-5 التحليل الكمي للأصوات الذائبة عند أهل التجويد:

تعتبر الأصوات الذائبة أكثر أصوات اللّغة العربيّة قابلية على الامتداد والطول لكنّها تحتفظ بمقادير معيّنة يلتزم الجوّد بها، فإذا أحلّ بشيء منها أدرك السّامع تقصيره في إعطاء التلاوة حقّها.

فالألف والواو والياء الذائبتين تستغرق ضعف ما يستغرقه نطق الحركات الثلاث ألا وهي الفتحة والضمّة والكسرة في النطق الطّبيعي، وقد تتعرّض هذه الأصوات للتأثر بمجاورة الأصوات الأخرى فيقصر صوت المدّ أو يطول⁽²⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة - غانم قدوري - ص76.

(2) - المرجع نفسه - ص144.

أ- تطويل وتقصير صوت المدّ:

التطويل أو الزيادة: معنى المدّ في اللغة الزيادة، وتقول العرب مددت مدّا أي زدت زيادة⁽¹⁾، وهو عند الفراء إطالة الصّوت⁽²⁾، وهو في اصطلاح الفراء إطالة الصّوت بحرف من حروف المدّ⁽³⁾.

5-5 الظواهر النطقية المتولّدة عن الأصوات الذائبة بمجاورة

غيرها في التركيب:

لقد اعتنى علماء التجويد عناية كبيرة بقسم الأصوات الذائبة وذلك بحظّ القراء على المحافظة على مقاديرها أثناء عملية النطق، كما بينوا ما يلحق هذه الأصوات من مظاهر التأثير ممّا يجاورها من غيرها من الأصوات في التركيب، وممّا هو متفق عليه أنّ الأصوات الذائبة هي الحركات الثلاث الفتححة والضمّة والكسرة، وحروف المدّ المتولّدة عنها وهي الألف وواو المدّ وياؤه.

يقول القرطبيّ وهو الذي يعدّ قانونا صوتيا في كيفية النطق بالحركات: "الذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتححة بحيث تصير ألفا، ولا الضمّة بحيث تخرج واوا ولا الكسرة بحيث تتحوّل ياء، فيكون واضعا للحرف موضع الحركة، ولا يهينها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصّوت عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحوّل سكونا"⁽⁴⁾.

(1)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 172.

(2)- علم الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد ياسر الزيدي - ص 72.

(3)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: المصدر السابق - ص 172.

(4)- الموضّح في التجويد: القرطبي - ص 121.

إنّ للأصوات اللّغوية قوانين ثابتة لا تتغير فمثلا لصوت المدّ طول معيّن لا تقوم ذات حرف المدّ إلاّ به، وهذا سمّاه علماء التجويد "بالمدّ الطبيعي أو الدّاتي أو الأصلي"⁽¹⁾، ويكفي فيه وجود أحد حروف المدّ الثلاثة وهي الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وقاس علماء الأصوات المعاصرين مقدار المدّ فوجدوا أنّ الصّوائت الطّويلة ماهي إلاّ صوائت قصيرة إلاّ أنّ مدّتها الزمنية تساوي ضعف مدّة الصّوائت القصيرة تقريبا، ومن علماء التجويد القدامى من قال: "أنّ مقدار الألف في مثل قال هو أن تمدّ صوتك بقدر النّطق بحركتين إحداهما حركة الحرف الذي قبل حرف المدّ والأخرى هي حرف المدّ"⁽²⁾، وهناك من قال بأنّ مقدار مدّه حركتان⁽³⁾.

إنّ الأصوات العربية تتأثّر بمجاورتها لأصوات معيّنة في التركيب ففي هذه الحالة قد يزداد طول أصوات المدّ عن المدّ الطبيعي لسبب من الأسباب، ولقد سمّى الداني المدّ الزائد على المدّ الطبيعي بالمدّ المتكّلف، وسمّاه ابن الطّحّان بالمدّ العرضي، وسمّاه آخرون بالمدّ الفرعي⁽⁴⁾، وبحسب السّبب الموجب للمدّ الزائد وهو وقوع الهمزة أو الصّوت الساكن بعد صوت المدّ.

أ- المدّ بسبب الهمزة: إذا وقعت الهمزة بعد أحد حروف المدّ فإنّ ذلك يوجب إطالة المدّ سواء كان صوت المدّ والهمزة في كلمة أو كان صوت المدّ في كلمة والهمزة في كلمة أخرى ويسمّى المدّ في الحالة الأولى بالمتّصل وفي الحالة الثانية بالمنفصل.

(1)- التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 100.

(2)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 173.

(3)- القواعد المقرّرة والفوائد المحرّرة: البقري - ص 115.

(4)- ينظر: التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد - المرجع السابق - ص 100.

المدّ المتّصل: "هو الذي اتّصل سببه بشرطه"⁽¹⁾، حكمه عند علماء

التجويد الوجوب لأنّ جميع القراء أجمعوا على مدّه من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ولا خلاف بينهم في مدّه، يقول بن الجزري فيه: "تتبع قصر المتّصل فلم أجدّه في قراءة صحيحة ولا شاذّة بل رأيت النصّ بمدّه عن ابن مسعود رضي الله عنه. فالمدّ محلّ اتّفاق والزيادة محلّ اختلاف"⁽²⁾.

تفاوت مقدار الزيادة عند القراء: أطال القراء في مقدار الزيادة مثل

القارئ ورش وحمزة، وقدّرت تلك الزيادة بثلاث ألفات ويليها القارئ عاصم بألفين وألفين ونصف، والشاميّ وعليّ بألفين ثمّ القارئ قالون وابن كثير وأبو عمرو بألفين وبألف ونصف، وقدر كلّ ألف منها حركتان، وكان مشايخ القراء قديما يقدرّون ذلك بحركات الأصابع أي قبضا أو بسطا في حالة متوسّطة ليست بسرعة ولا بتأنّ وهذا التفاوت في مراتب المدّ لأجل مراعاة سنن القراءات⁽³⁾.

علة المدّ المتّصل: علته صوتية تنفرّع إلى فرعين: الفرع الأول يتمثّل في

أنّ الهمزة صوت شديد جهري فزيد بالمدّ الصّوت الذي قبلها ليتمكّن القارئ من النطق بها على حقّها، الفرع الثاني يتمثّل في أنّ هناك من يرى أنّ حرف المدّ ضعيف خفيّ والهمز قويّ صعب، فزيد في المدّ تقوية لضعفه عند مجاورته القوي⁽⁴⁾، وهذا القانون الصّوتي العام لأصوات اللّغة العربية عند تجاورها مع

(1)- التحديد في الإتيان والتجويد: ابن الجزري- ص100.

(2)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي- ص177.

(3)- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

(4)- المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم- ص173.

بعضها البعض، ومن أمثلة المدّ المتّصل قول الله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (1)، وقوله أيضا: ﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (2).

المدّ المنفصل: هو الذي انفصل عن شرطه بمعنى أن يقع حرف المدّ آخر كلمة والهمز أوّل كلمة أخرى (3)، حكمه عند علماء التجويد جائز لا اختلاف القراء فيه، فابن كثير والسّوسي يقصّرانه ويمدّانه والباقون يمدّانه بلا خلاف فسمّي كذلك لجواز قصره ومدّه، وعليه يتفق المدّ المتّصل والمنفصل في الزيادة ويتفاوتا في النقص فلا يجوز فيهما الزيادة على ستّ حركات ولا يجوز نقص المتّصل عن ثلاث حركات ولا المنفصل عن حركتين، وهذا كله تقريبا لا يضبط إلا بالمشافهة من أفواه المشايخ والسّماع من الأستاذ الرّاسخ ثمّ الإدمان عليه (4).

مراتب القراء في المدّ المتّصل والمدّ المنفصل:

في حالة تقدّم المنفصل عن المتّصل: إنّ قالون وابن كثير وأبا عمرو يقصّرون المنفصل ويمدّون المتّصل بثلاث حركات وأربع حركات، لكنّ قالون والدّوري طريقة أخرى تتمثل في مدّهما للمتّصل والمنفصل معا ثلاثا وأربعا، أمّا ابن عامر والكسائي وعاصم يمدّون المنفصل والمتّصل معا أربع حركات، وهناك طريقة أخرى لعاصم وهي مدّهما معا خمس حركات، أمّا ورش وحمزة يمدّونهما ستّ حركات، نستخلص ممّا سبق أنّ مراتب القراء في مدّ المنفصل والمتّصل تساوي ستّ مراتب.

(1) - سورة البقرة - الآية: 49.

(2) - سورة النساء - الآية: 4.

(3) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 179.

(4) - المرجع نفسه - ص 180.

حالة تقدّم المتّصل وتأخّر المنفصل: أجمع القراء على أنّ هناك ستة مراتب أيضا فالقاعدة في هذا الشأن التي يقول بها القراء هي: إذا مددت المتّصل ثلاثا أتيت في المنفصل بالقصر وثلاثة، وإذا مددت المتّصل أربعاً أتيت بالمنفصل بالقصر وأربع، وإذا مددت المتّصل خمسا تعين عليك مدّ المنفصل كذلك، كما يتعين على القارئ إذا مدّ المنفصل ستا مدد المتّصل ستا كذلك، وهذا الحكم في مدّ المنفصل باعتبار المراتب لا يتحقق إلا في حالة الوصل.

المدّ المنفصل في حالة الوقف: من قواعد الوقف على حرف المدّ أثناء

القراءة مايلي:

- يعود المدّ إلى أصله الطبيعي ويزول المدّ الزائد لعدم موجهه.
- وجه المدّ للهمز يعود إلى أنّ حروف المدّ خفية والهمز من حيث المخرج فهو بعيد وصعب في اللفظ، فإذا لاصق الهمز حرفا خفياً (حرف مدّ) وخوفاً من أن يزداد خفاءً فيقوى (هذا الضعيف الخفي) بزيادة مدّه حتى يظهر ويتجلى.

حالة قصر المدّ المنفصل: "يتعرّض الهمز للزوال عند الوقف على الكلمة

التي فيها حرف المدّ بخلاف المدّ المتّصل فإنّ الهمزة تكون ثابتة وصلًا ووقفًا، وكلّ مدّ منفصلاً كان مدّاً طبيعياً قبل اجتماع الكلمتين، ولو وقفنا على إحداها صار مدّاً طبيعياً ولا يجوز الوقف مثلاً على ياء النداء وحدها من كلمة (يا أيها)، ولا على لا وحدها من (لأقسم) ولا على هاء التنبيه وحدها من (ها أنتم) ولا ها من (هؤلاء) ولا الأفعال المتّصلة بضمائرها رسماً في المصحف مثل (يراه)، ولا يقال فكذبوا من (فكذبوهما) ولا حيث وجدتمو من (وجدتموهم)، فهذه الأنواع

لا يفصل بين أجزائها اصطلاحاً وحكماً لأنَّ حكم كلِّ منهما كالكلمة الواحدة لا يفصل بين أجزائها⁽¹⁾.

من أمثلة المدِّ المنفصل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾⁽²⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽³⁾، ومن قوله كذلك: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾⁽⁵⁾.

"وإذا كان صوت المد متأتياً من إشباع ضمة ضمير الغائب المضموم والمكسور فإنه يأخذ طريقة النطق ذاتها، وإن لم يكن مرسوماً فيمدّ مداً زائداً إذا وقعت بعده همزة في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽⁷⁾⁽⁸⁾، ومثل ذلك أيضاً صوت المدِّ اللّاحق لها اسم الإشارة المؤنثة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾⁽⁹⁾.

(1) - المفيد في أحكام التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 174-175.

(2) - سورة البقرة - الآية: 4.

(3) - سورة النحل - الآية: 118.

(4) - سورة هود - الآية: 56.

(5) - سورة الإسراء - الآية: 1.

(6) - سورة البقرة - الآية: 27.

(7) - سورة البقرة - الآية: 255.

(8) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 149.

(9) - سورة الأنبياء - الآية: 92.

ينبه علماء التجويد والقراء إلى حالة استثنائية تتمثل في اجتماع مديين متصلين مثل: وأنزل من السماء ماءً، يحضّ هؤلاء العلماء على التسوية بين المديين المتمثل في السماء والماء ولا يجوز للقراء أن يمدّوا واحدا دون الآخر حيث يقول ابن الجزري في مقدمته: واللفظ في نظيره كمثلته⁽¹⁾.

ويحسب هذا المدّ بتقديره كما عند علماء التجويد بقولهم "فإنّ مدّ الأوّل مقدار ألفين لا يمدّ الثاني أكثر من ألفين ولا ينقصه، وإنّ مدّه مقدار ألفين ونصف لا يمدّ الثاني أكثر من ألفين ونصف ولا ينقصه، ومن جملة تنبيهاتهم التي نبّه بها القراء اجتماع مدّان منفصلان مثل: والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك فلا يجوز للقارئ أن يمدّ أحدهما دون الآخر، فإنّ مدّ الأوّل مقدار ألف ونصف، فلا يمدّ الثاني أكثر من ألف ونصف ولا ينقصه، وإنّ مدّه مقدار ألفين لا يمدّ الثاني أكثر من ألفين ولا ينقصه، يقول الشيخ النووي في شرحه على الدرّة والقراءة بخلط الطّرق وتركيبها حرام أو مكروه أو معيب"⁽²⁾.

نخلص ممّا سبق إلى أنّ مقدار طول صوت المدّ إذا زيد في مدّه قبل الهمزة فإنّ القراء مجمعون على إشباع مدّ المتّصل، لذلك سمّاه بعض علماء التجويد بالمدّ الواجب، واختلفوا في المنفصل، فبعضهم يمدّه كالمتّصل وبعضهم يقصره فيأتي بصوت المدّ على صيغته، ولذلك سمّاه بعضهم بالمدّ الجائز، والمشهور من عاصم أنّه يمدّ مدّاً وسطاً قدره بعضهم بثلاث ألفات، وقد روي عن عاصم في المنفصل المدّ والقصر⁽³⁾.

(1)- ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد- محمد مكّي نصر الجريسي- ص181.

(2)- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

(3)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص150.

ب- المدّ بسبب الصّوت الساكن: "إذا وقع بعد صوت المدّ صوت ساكن فذلك يؤدّي إلى إطالة صوت المدّ والصّوت الساكن يكون من أصل الكلمة مخفّفاً أو مشدّداً، ويسمّى المدّ حينئذ لازماً، ويكون عارضاً للسّكون فيسمّى جائزاً"⁽¹⁾.

المدّ اللازم: وهو أن يقع بعد صوت المدّ صوت ساكن لازماً في الوقف والوصل، وقد يكون الساكن مشدّداً وقد يكون مخفّفاً، وسمّي لازماً لأصالة سكونه الذي لا ينفكّ عنه وصلاً ولا وقفاً.

لقد استخدم علماء التجويد مصطلحات جديدة لأقسام المدّ اللازم الذي ينقسم إلى أربعة أقسام: مصطلح المدّ اللازم الكلمي الثقيل، والمدّ اللازم الحرفي الثقيل، والمدّ اللازم الكلمي المخفّف، والمدّ اللازم الحرفي المخفّف⁽²⁾.

المدّ اللازم الكلمي الثقيل: "يعرّفه علماء التجويد بأنّه يقع بعد حرف المدّ سكون أصلي في كلمة بشرط أن يكون بعد حرف المدّ حرف مشدّد (والحرف المشدّد عبارة عن حرفين أوّله ساكن وثانيه متحرّك فيدغم الساكن في المتحرّك فيصير حرفاً واحداً مشدّداً)، ومعنى كونه أصلي أي لا يستطع تحريكه لكونه مدغم في المتحرّك فهو سكون في التشديد، وسبب تسميته مثقلاً يرجع لنقل التّلق به نظراً لتشديده، وكذلك أنّ بعض حروفه مثل النون والميم الذي تأتي معها غنة وأيضاً يأتي بعضه مدغماً، فكلّ ذلك يسبّب ثقلاً، ومن أمثلة مدّ اللازم الكلمي المثقل في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْحَاقَّةُ﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

(1)- التحديد في الإتقان والتجويد: ابن الجزري- ص123.

(2)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص152.

(3)- سورة الحاقة- الآيات: 1-3.

(4)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي- ص181.

يقول أبو الطيّب عبد المنعم بن غلبون^(*): "ذلك في أصل كلام العرب لا في القرآن (الطائمة، والصاخحة، والدابة، والحاqqة...) فسكنوا الحرف الأول وأدغموه في الثاني، وكذا نون المضارعة في نون الوقاية^(*) فلا يسمى هذا السكون بل لازما ولم يأتي في القرآن مثال للياء"⁽¹⁾.

مقدار إطالة صوت المدّ فيما وقع بعده ساكن لازم حيث يقول محمد المرعشي "اتفق القراء في مدّ هذا القسم بجميع ضروبه مدّا زائدا مشبعا قدرا واحدا... والإشباع هنا قدر بثلاث ألفات"⁽²⁾، ويقول مكّي: "وسمي لازما لالتزام القراء مدّه مقدارا واحدا من غير تفاوت فيه وهو ثلاث ألفات على الأصحّ المشهور من خمسة أقوال ذكرها صاحب النّشر"⁽³⁾.

المدّ اللازم الكلمي المخفّف: هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون أصلي خاليا من التشديد، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله أيضا: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁵⁾، وليس في القرآن غيرهما.

(*)- هو أبو الحسن الطاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك الحلبي نزيل مصر المتوفّي سنة 399هـ (التذكرة في القراءات: ابن غلبون- تحقيق: عبد الفتاح البحيري إبراهيم- مكتبة الزهراء للإعلام العربي- مصر- د.ط- د.ت- ج1- ص7.

(*)- نون الوقاية وهي التي تقي الفعل من الكسر.

(1)- التذكرة في القراءات: ابن غلبون- 7/1.

(2)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة- غانم قدوري- ص152.

(3)- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي- ص182.

(4)- سورة يونس- الآية: 51.

(5)- سورة يونس- الآية: 91.

علة تسميته مخففاً: "الخفة النطق به نظراً إلى خلوّه من التشديد والغنة وعلة تسميته كلمياً نظراً لكون حرف المدّ والسكون الأصليّ في الكلمة"⁽¹⁾، وينبّه علماء التجويد إلى أنّ هناك ثلاث كلمات في القرآن الكريم في ستّ مواضع تمدّ مدّاً مشبعاً بستّ حركات ويجوز فيها أيضاً التسهيل مع القصر، والكلمة الأولى في قوله تعالى: ﴿قُلْ آلذِّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذِّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾⁽²⁾، والكلمة الثانية من قوله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁽³⁾، أصل الكلمة الذّكرين ← أالذّكرين، وأصل كلمة آآن ← أألئن، كما يعلّل علماء التجويد ملاحظة دخول همزة الاستفهام مع أداة التعريف فتسقط همزة الوصل من (أل) المعرفة تسقط هي كذلك وتخلفها ألف مدّ للفرق بين الخبر والاستفهام فتقع ألف المدّ حينئذ قبل صوت ساكن مشدّد أو مخفّف فيجب إطالة صوت المدّ لذلك⁽⁴⁾.

ومما ينبّه له علماء التجويد في المدّ اللازم الكلمي المثقل المتطرّف الموقوف عليه أنّه ليس فيه سوى الإشباع تغليبا لأقوى السببين المتمثل في السكون المدغم بعد حرف المدّ، وإلغاء الأضعف وهو السكون العارض مثل: (صوآف) و(لاجآن^٥)، (غير مضار^٥).

(1)- المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم- ص182.

(2)- سورة الأنعام- الآيتين: 143-144.

(3)- سورة يونس- الآية: 51.

(4)- ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: غانم قدوري- ص151.

(5)- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

المدّ اللازم الحرفي المثلث: هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون أصلي في حرف من أحرف الهجاء بشرط أن يكون فيه تشديد، وسبب تسميته يعود لوقوع السكون الأصلي بعد حرف المدّ في حرف من أحرف الهجاء الواقعة في فواتح السور وذلك السكون يكون في تشديد بسبب الإدغام مثل: إدغام اللام في الميم من (الم) لأنّ أتصل حرف اللام هجاؤه على ثلاثة أحرف على الشكل الآتي: (لام) و(الميم) على هذا الشكل (ميم) فأدغمت ميم اللام في الميم الأولى من حرف الميم فصارت عند التلفظ بها (الم) مشددة لفظيا لا رسما⁽¹⁾. المدّ اللازم الحرفي المخفف: هو أن يأتي بعد حرف المدّ سكون أصلي في حرف من أحرف الهجاء خاليا من التشبيه من أمثله: (ن)، (ق)، (لم) أصلها (الأم ميم)، فصارت الميم المشددة الأولى مثقلة لتشديدها والميم الأخرى مخففة لسكونها، وتسمي حرفيا لوقوع السكون اللازم بعد حرف المدّ في حرف من أحرف الهجاء الواقعة في السور القرآنية، وتسميته مخففا لخفة النطق به نظرا إلى خلوه من التشديد والغنة⁽²⁾.

وخلاصة القول ممّا نبّه إليه علماء التجويد من ظواهر اللحن في قواعد المدّ والقصر مايلي:

- لقد حذر علماء التجويد من الإخلال بقواعد الحركات وحروف المدّ لما لها من قيمة مميّزة في النطق، ودور هام في بنية الكلمة العربية بالإضافة إلى أنّ حروف المدّ التي عرفت عند علماء الأصوات بالأصوات الذائبة لها قابلية كبيرة

(1)- المفيد في أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم- ص184.

(2)- المرجع نفسه- ص183.

على الامتداد، قد يخرج ذلك بها إلى حد الإفراط الذي يؤثر في النطق الفصيح المأثور عن قاعدة ثابتة، ومن ظواهر اللحن على ألسنة بعض القراء.

* المبالغة في المد: من اللحن التي حذر علماء التجويد الوقوع فيها الإفراط والمبالغة في المد، يقول الأندرابي: "وحروف المد لها مقادير في النطق، وينبغي ألا يُجاوز بالمدود منزلته، مع الاحتراز من المدات الطويلة الرعشة الطيطة التي هي عنها"⁽¹⁾.

* ترعيد المد: معنى الترعيد في المدّ هنا "هو أن يقرأ القارئ المدود بصوت مضطرب وكأّته يرتعد من برد أو ألم"⁽²⁾، قال السعيدي: "ومما يحفظ أيضاً ترعيد في مثل قوله... ما يشاء وجاء وشاء، وما أشبه هذه الحروف تمدّ مدّاً حسناً مستويًا مستقيماً، بلا ترعيد ولا تهزيز ولا اضطراب عند إخراجهن"⁽³⁾.

* المدّ المشبّع بالغنة: من الأمور المستهجنة في مدّ الأصوات هو تلفّظ بعض الناس المدّ مصحوباً بالغنة، وهو لا يشعر بذلك ويعتبر لحناً في مثل (نستعين) لأنّ الفرق بين المدّ والغنة يتمثل في أنّ الأوّل يجري في الخياشيم والثاني يجري في الحلق والفم، وفي هذا يقول المرعشي: "إنّ الغنة لَمَّا أشبهت المد... يلائم إحداث الغنة مع تلفّظ المد... يبيّن المرعشي طريقة معرفة ذلك بقوله أنّ المتلفّظ المدّ يمسك بأنفه مرّة ومرّة بدونه، فإن اختلف صوت المد في الحالين فاعلم أنّه مصحوب بها، كما يبيّن طريق الحذر من ذلك بمنع النفس الجاري مع

(1) - الإيضاح في القراءات: الأندرابي - ص 68.

(2) - ينظر: الموضّح في التجويد - القرطي - ص 212.

(3) - التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: السعيدي (علي بن جعفر) - تحقيق: د. غانم قدوري - دار عمار - الأردن - 2000 - مجلد 36 - ج 2 - ص 282.

المد من التجاوز إلى الخيشوم، وامتحان الصوت بالإمساك على الأنف وتركه إلى أن يتعوّد تخلص المد عنها⁽¹⁾.

6- أحكام الهمز في علم التجويد:

تعدّ ظاهرة الهمز من أشهر الظواهر الصوتية في القراءات عامّة وفي علم التجويد خاصّة، وهي تقوم على صوت أختلف فيه من حيث مخرجه وصفاته ومجاورته بغيره من الأصوات، وما يترتب عنه من اختلافات صوتية كالتحقيق والتخفيف والتسهيل والنقل والإبدال.

6-1 دراسة الهمز مفرداً على مستوى التحليل:

أ- مخرج وصفات الهمزة عند علماء العربية القدماء: وصفها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ) "بأنّها مهتوتة مضغوطة"⁽²⁾، ووصفها سيوييه (ت. 180هـ) "بأنّها نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد"⁽³⁾، أما بن يعيش (ت. 643هـ) "كان وصفه لها على أنّها حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذا كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجها كالتهوّع^(*) لذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف"⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 156.

(2) - معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق: عبد الله درويش - مطبعة العاني - بغداد - 1967 -

ج 1 - ص 58

(3) - الكتاب: سيوييه - 548/3.

(*) - التهوّع: تكلف القيء.

(4) - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصّبور شاهين - دار القلم - القاهرة - 1966 -

ص 17.

ب- مخرج وصفات الهمزة عند علماء العربية المحدثين: وصفها إبراهيم أنيس بأنها صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة⁽¹⁾.

بعد هذه المقارنة في وصف صوت الهمزة بين القدماء والمحدثين تبيننا أن صوت الهمزة عند القدماء شديد ومجهور واتفقوا على أن يكون مخرجها من أقصى الحلق، لكنه عند المحدثين وصفوه بالشدة دون الجهر حتى أن بعضهم جعلها مهموسة بدليل إقفال الوترين الصوتيين مع صوتها إذ لا يسمح بوجود الجهر في النطق، وهذا الاختلاف بين المحدثين والقدماء يعود إلى أن المحدثين لما أقاموا درسهم الصوتي أقاموه على أساس تشريح جهاز النطق للإنسان بالآلات والمعدات الحديثة في حين كان القدماء يفتقدون لهذا الأساس، إذن فالتشريح له أثر كبير في وصف الهمزة إذ جعلوا الأوتار الصوتية المقياس الوحيد في وصفها، فهم يرون الصوت المجهور هو الذي تصحب عند نطقه اهتزاز أو ذبذبة في الوترين الصوتيين، في حين أن الصوت المهموس هو لما لا تصحب في نطقه هذه الذبذبة⁽²⁾.

ج- اختلاف تسمية الهمز عند علماء العربية: لقد اختلف علماء العربية في تسمية الهمزة على حسب ورودها في الكلمة، فإذا جاءت في أول الكلمة سمّوها (ألفاً) وإذا جاءت في باقي مواضع الكلمة سمّوها (همزة) وانفرد القراء

(1)- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس- ص90.

(2)- ينظر: مناهج البحث في اللغة- تمام حسان- ص114.

بتسميتها (نبرة)، وأطلق كل من الأخفش وأبي عبيدة والفراء مصطلح الألف على همزة الاستفهام كما سُمي الأخفش الألف المقطوعة بهمزة القطع، وسُمي همزة الوصل بألف الوصل أو الألف الزائدة، كما سُمي همزة القطع الألف المقطوعة أو المقصورة أو المهموزة...⁽¹⁾.

6-2 ظاهرة الهمز في كلام العرب:

الهمزة صوت أساسي في كثير من لغات العالم، وقد شاعت في اللغات السامية أكثر مما في اللغات الأخرى، وفي اللغة العربية بصورة خاصة إذ كان لها أثر بالغ في نطق البدو والحضر...⁽²⁾، مارست القبائل العربية نطق الهمزة على وجهين تحقيقاً وتخفيفاً، فكان التحقيق من خصائص القبائل البدوية الواقعة في وسط الجزيرة وشرقها من تميم وأسد وقيس، والسبب في ذلك أن هذه القبائل من طبيعتها السرعة في النطق، فكان تحقيق الهمزة في لسانها وسيلة لتخفيفها، لأن البدوي تعود النبرة في موضع الهمزة وهذه العادة أملت عليه ضرورة الانتظام للإيقاع النطقي، كما أملت عليه الإبانة عما يريد من نطقه، فموقع النبر في نطقه كان دائماً من أبرز المقاطع وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه.

وفي ذلك يقول أبو زيد الأنصاري: "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قول تميم أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قول تميم إلا النبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا"⁽³⁾.

(1) - علم الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد ياسر الزيدي - ص 54.

(2) - ينظر: في اللهجات العربية - إبراهيم أنيس - ص 75-76.

(3) - لسان العرب: ابن منظور (مادة نبر) - 14/1.

أ- النّبر وعلاقته بالهمز عند القدماء: جاء في لسان العرب: "والنبر بالكلام: الهمز، ونبر الحرف ينبره نبرا، والمنبور المهموز والنبرة: الهمزة، وكلّ هذه المعاني في اصطلاح القدماء"⁽¹⁾.

ب- النّبر في اصطلاح المحدثين: "هو الضّغط على أحد مقاطع الكلمة ليكون بارزا، وأوضح في السّمع من غيره من المقاطع"⁽²⁾، ويعرّف من الناحية العملية النطقية للجهاز النطقي: كنشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد يبذله الناطق عند نبره بأصوات الكلمة المجهورة والمهموسة على حدّ سواء..."⁽³⁾، إن تصوّر القدماء والمحدثين لفكرة النّبر لم تكن مختلفة بينهم كثيرا.

يرى المحدثون أنّ النبر مختصّ بأحد مقاطع الكلمة، والمقطع تقسيم حديث للحدث اللّغوي لم يمارسه القدماء، كما يرون أنّ النّبر هو ظاهرة ذات تأثير في نسق اللّغة المنطوقة، وله نظام خاصّ به تخضع له مواضعه، أما القدماء فلم يعرفوا من النّبر سوى النّبر بالهمزة وهو شكل من أشكال التوتّر في النطق⁽⁴⁾.
وخلاصة ما توصل إليه المحدثون هو أنّه يمكن وصف لهجة تميم بنبر التوتّر ووصف لهجة الحضر بنبر الطول أو المدّة ويعني ذلك تليين الهمزة، فالفرق بين التحقيق والنّبر يكمن في أنّ تحقيق الهمزة هو نطقها خالصة حنجرية منبورة، أما النّبر فهو لا يصدق على الهمزة فقط بل على أيّ صوت من أصوات العربية.

(1)- لسان العرب: ابن منظور - 7/9-40.

(2)- الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس - ص170.

(3)- المصدر نفسه - ص169.

(4)- ينظر: علم الأصوات في كتب معاني القرآن - ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي - ص57.

6-3 دراسة الهمزة على مستوى التركيب الفونولوجي (الصوتي):

لقد بين الدارسون للأصوات اللغوية ومنهم علماء التجويد أن الهمزة تكون على ضربين محققة ومخففة، ولقد ارتأينا في هذا القسم من الدراسة التطبيقية لأحوال الهمزة أن نبين أقسامها لكي تتوضح أحكامها.

أ- أقسام الهمزة: تنقسم الهمزة بشكل عام إلى همزة مبتدأة وهي متحركة، وإلى همزة متوسطة وأخرى متطرفة؛ وتنقسم المتطرفة بدورها إلى ثلاثة أقسام: ساكنة وقبلها متحرك، متحركة وقبلها ساكن، ومتحركة وقبلها متحرك، وسوف نبدأ الحديث عن الهمزة الساكنة وقبلها متحرك وهي على قسمين: ساكن متوسط، ساكن متطرف وهذا الأخير ينقسم بدوره إلى قسمين: قسم الساكن المتوسط أصالة، وقسم الساكن المتطرف العارض؛ فالساكن المتطرف أصالة يأتي قبله مكسور مثل قوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي﴾⁽¹⁾، وقوله أيضا: ﴿وَهَيئُ لَنَا﴾⁽²⁾، كما يأتي قبله مفتوح مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يُنَبِّأ﴾⁽³⁾، ولم يأتي في القرآن همزة ساكنة قبلها مضموم ومثاله في غير القرآن الكريم (لم يسئ وجه زيد)⁽⁴⁾.

وحكم هذه الأنواع من الهمز التخفيف بعملية إبدال الهمزة الساكنة بحركة ما قبلها، فإن كان ما قبلها ضمّ أبدلت واوا، وإن كان قبلها كسر أبدلت

(1) - سورة الحجر - الآية: 49.

(2) - سورة الكهف - الآية: 10.

(3) - سورة النجم - الآية: 36.

(4) - ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة همزة بن حبيب الزيات الكوفي - رسول صالح أحمد الحلبوسي -

ياء، وإن كان قبلها فتح أبدلت ألف⁽¹⁾، فمثلا القارئ حمزة يبدل هذه الهمزة الموجودة في الأمثلة السابقة على حسب الحركة التي تكون قبلها، فيقرأ نبيّ، هيّي، السيّي، يشا، اقرأ⁽²⁾.

يعلّل القدماء أنّ هذه العملية التغييرية في بناء الكلمة قياسي لأنّ الهمزة وقعت ساكنة بعد متحرّك فأبدلت بصوت حركة ما قبلها، لأنّ صوت العلة الذي هو صوت حركة ما قبلها أخفّ منها، ولهذا السبب أبدلت هي منه، يقول سيويّه في هذا الباب: "فإنّما تبدل مكان كلّ همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنّها ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها"⁽³⁾.

وبعلّل المحدثون عملية الإبدال بقولهم أنّ الوجه الصوتي لتخفيف الهمزة عند بعضهم يعتمد على الحذف في عمليات التخفيف كلّها، فلا وجود للقلب ولا الإبدال، فالتخفيف بإبدال الهمزة صوت من أصوات العلة ينظر إليه بحسب الوجه الصوتي الحديث على أنّه تخلّص من نبر التوتّر الهمزي، وينتقل فيه إلى نبر الطول على وفق ما تتطلبه الكلمة الواقع فيها للتخفيف.

ب- التحليل الصوتي للكلمات المخفّفة فيها الهمز الساكن بالإبدال: ففي قوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي﴾⁽⁴⁾، وفي قوله أيضا: ﴿وَهَيَّيْ لَنَا﴾⁽⁵⁾، يتمّ التخفيف على درجات:

(1)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- المجلد 1- ص341.

(2)- ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة همزة بن حبيب الزيات الكوفي- رسول صالح أحمد الحلوسى- ص52.

(3)- الكتاب: سيويّه- 544/3.

(4)- سورة الحجر- الآية: 49.

(5)- سورة الكهف- الآية: 10.

- تحذف الهمزة ويمدّ الصوت بالصّائت القصير الذي قبلها.
 - تتحوّل الكلمة من نبر التوتّر الهمزي إلى نبر الطّول وذلك وفقا للتقطيع الصوتي الآتي:

انَ | بَ | بَ | أ | ← | انَ | بَ | بَ | بَ |
 ↓
 —

نلاحظ أن مقطع الهمزة قبل التخفيف كان طويلا مغلقا فأصبح بعد التخفيف طويلا مفتوحا على أساس شيئين : نبر المقطع بمدّ الصّائت القصير فصار صائتا طويلا، والمحافظة على وزن الكلمة من طريق الحفاظ على إيقاع المقطع المنبور⁽¹⁾.

نستخلص ممّا ذكرناه سابقا أنّ القدماء والمحدثين اختلفوا في تفسير ظاهرة التخفيف بالنسبة للهمزة الساكنة، حيث لجأ القدماء في تخفيفها إلى عملية القلب والإبدال، أما المحدثون فعندهم الحذف لا غير وذلك اعتمادا على التقطيع الصوتي الحديث الذي يقوم على تشريح الجهاز الصوتي عند الإنسان في حين أنّ النتيجة عند الفريقين واحدة.

الساكن المتطرف العارض: وهو الذي تأتي قبله الحركات الثلاث: الضمّ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَمْرًا﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿لَوْلَوْ﴾⁽³⁾، ثمّ الكسر في مثل قوله تعالى: ﴿مِنْ شَاطِئِ﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضا: ﴿يَبْدِئُ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ

(1)- الظواهر الصوتية: رسول صلاح علي أحمد الخلبوسي - ص 52.

(2)- سورة النساء- الآية: 176.

(3)- سورة الطور- الآية: 24.

(4)- سورة القصص- الآية: 30.

(5)- سورة سبأ- الآية: 49.

أمرئ⁽¹⁾، ثم الفتح نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿كَيْفَ بَدَأَ﴾⁽³⁾، فالقارئ حمزة مثلا أبدل هذه الهمزة عند الوقف عليها (ألفا وواوا وياء) على حركة ما قبلها، فقرأها: امرؤ، لؤلؤ، شاطي، يدي، أمرئ، ذرا، بدا.

يرى القدماء أن الهمزة إذا أريد تخفيفها في الوقف لا يمكن أن تكون بين بين (لأن همزة بين بين متحركة في الوزن والأصل) ولا يوقف على متحرك، ولم يمكن أن تلقى حركتها على ما قبلها لأنه متحرك ولم يمكن أن تبدل بحرف غيرها لأنها متحركة وما قبلها متحرك. يمثل حركتها فلم يكن بدا من الوقف عليها بالسكون إذ هو أصل الوقف، فلما وقف عليها بالسكون ومن شأن القارئ (حمزة وهشام) فيها التخفيف جرت على البدل مجرى الساكنة وحسن ذلك لموافقة الخط للفظ، فمن شأن الهمزة أن تتبع الخط في وقفه، أما رأي المحدثين الحذف لا غير⁽⁴⁾.

الساكن المتوسط: ويقصد به الهمزة المتوسطة التي هي (لام الفعل) فإذا اتصل بها ضمير أخرجها عن الطرف فتكون عين الفعل، أو تكون فاء الفعل، وإذا دخل عليها حرف زيادة فتصير متوسطة لأن حرف الزيادة يصبح من بناء الكلمة التي يزداد فيها كزوائد المضارعة مثلا في (يؤمن) والميم في (مؤمن)، أما حرف المعنى ففي تقدير كلمة منفردة كغيرها من الكلم مثل حروف الجر

(1) - سورة النور - الآية: 11.

(2) - سورة المؤمنون - الآية: 24.

(3) - سورة العنكبوت - الآية: 20.

(4) - ينظر: الظواهر الصوتية - رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 54.

وحروف العطف وحروف التعريف، لذلك ينقسم الهمز الساكن المتوسط إلى قسمين: همز متوسط بنفسه: ويأتي قبله الضم نحو قوله تعالى: ﴿مُؤْمِنٌ﴾⁽¹⁾، وفي قوله أيضا: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾⁽³⁾، وما يأتي قبله الكسر نحو قوله تعالى: ﴿الذِّئْبُ﴾⁽⁴⁾، والفتح نحو قوله تعالى: ﴿شَأْنٍ﴾⁽⁵⁾، فالهمزة في هذه الكلمات تبدل واوا وياء وألفا من جنس حركة ما قبلها، حيث قرأها حمزة مومن، يوفكون، الموتفكة، الذيب، شان⁽⁶⁾.

ويفسر ذلك الأخفش بقوله: "إذا كانت الهمزة ساكنة فهي لغة هؤلاء الذين يخففون أن ما قبلها مكسور جعلوه ياء نحو: أنبئهم بأسمائهم، ونحو: أنبياء، وإن كان مضموما جعلوه واوا نحو: جونه، وإن كان ما قبلها مفتوحا جعلوه ألفا نحو: راس وفاس..."⁽⁷⁾.

"وقد نعت عبد الصبور شاهين التخفيف في أنبئهم بالشذوذ النحوي لأنه يؤدي إلى بقاء حرف العلة مع حالة الجزم، وإن دل على إحساس الناطق بموقع الهمزة أو على الأصح موقع النبر في سياق الكلام، وأراد بذلك أن يحذف صوت العلة التي هي الياء فيقال: أنبئهم لأنه فعل أمر مجزوم ولكن الحاجة إلى

(1) - سورة البقرة - الآية: 221.

(2) - سورة المائدة - الآية: 75.

(3) - سورة النجم - الآية: 53.

(4) - سورة يوسف - الآية: 13.

(5) - سورة يونس - الآية: 61.

(6) - الإقناع في القراءات السبع: ابن البادش - ص 205.

(7) - ينظر: علم الأصوات في كتب معاني القرآن - ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي - ص 69.

إظهار موقع النبر في الكلمة والدلالة على الهمزة المخففة أدّى على إبقاء الياء⁽¹⁾.

همز متوسط بغيره: وهو على ضربين متوسط بحرف ويكون قبله فتح نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوُوا﴾⁽²⁾، ولم يقع قبله ضم ولا كسر، فأبدل القارئ حمزة هذه الهمزة ألفا فقرأها (فاووا)، متوسط بكلمة ويكون قبله ضم نحو قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ اثْنُونِي﴾⁽³⁾، وكسر نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْثَمِنَ﴾⁽⁴⁾، وفتح نحو قوله تعالى: ﴿الْهُدَى اثْنَانَا﴾⁽⁵⁾، فالهمزة في هذه الكلمات أبدلها القارئ حمزة واوا وألفا وياء من جنس حركة ما قبلها، فقرأها على الشكل الآتي: (الملكو ثونني، الذيثمن، الهداننا)، نستنتج مما تقدم أن أنواع الهمز الساكن تخفيفه يكون بإبداله بحركة ما قبله فإن كان ما قبله ضمّ أبدل واوا وإن كان قبله كسر أبدل ياء وإن كان قبله فتح أبدل ألفا.

التحليل الصوتي لهذا التغيير في الهمز الساكن: يرى القدماء أن هذا التغيير الذي طرأ على الكلمات التي سبق ذكرها دبرتها حركة ما قبلها، فمؤن آلت إلى مومن لأن الميم مضمومة والهمزة ساكنة فما يناسب الضمّ هو الواو، وبئر آلت إلى بير لأن الباء متحركة بالكسر، وما يناسب الكسر هو الياء، وكذلك رأس آلت إلى راس لأن الراء مفتوحة وما يناسب الفتحة هو الألف⁽⁶⁾.

(1)- القراءات القرآنية: عبد الصبور شهين- ص160.

(2)- سورة الكهف- الآية: 16.

(3)- سورة يوسف- الآية: 50.

(4)- سورة البقرة- الآية: 283.

(5)- سورة الأنعام- الآية: 71.

(6)- ينظر: الظواهر الصوتية- رسول صالح علي أحمد الحلبوسي- ص56.

ويرى المحدثون أنّ هذا التغيير الطارئ على الكلمة لا يعود على الحركة التي قبل الهمزة الساكنة وذلك لسببين:

- انعدام العلاقة الصوتية في الإبدال بين الواو والضمّة والألف والفتحة والياء والكسرة.

- إنّها دعوة تؤدّي إلى القول بوجود قمتين لمقطع واحد.

ف راس ← | رَ | سُ | ن | فتحة على الراء وألف بعدها وهذا لا يجوز، فالبدل عند المحدثين هو حذف همزة للتخفيف وإطالة الصوت بالمصوّت القصير وذلك على النحو التالي:

مؤمن ← | م | ة | م | - | ن | - | م | - | م | - | م | - | ن | مؤمن

والحاصل بعد هذه العملية التقطيعية على كلمة مؤمن، فالمحدثون يرون بأنّ الهمزة حذفت من الكلمة لكنّ القدماء يقولون بأنّها أبدلت بالحركة التي قبلها.

الهمزة المتحرّكة وقبلها ساكن: وتنقسم إلى قسمين متحرّك متطرّف قبله ساكن، وقد يكون ذلك الساكن ألفا أو ياء أو واو أو واو زائدة أو غير ذلك، فإن كان ألفا فإنّه يأتي بعده كلّ من الحركات الثلاث مثل قوله تعالى: ﴿السُّفَهَاءُ﴾⁽¹⁾، وقوله أيضا: ﴿جَاءَ﴾⁽²⁾، فعند تخفيف الهمزة في هذه الكلمة

(1) - سورة البقرة - الآية: 13.

(2) - سورة الحديد - الآية: 14.

تسكن للوقف أولا ثم تبدل ألفا من جنس ما قبلها، لأنّ الهمزة لما سكنت للوقف ما عادت الألف حاجزا فقلبت الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها⁽¹⁾. وفي ذلك يقول مكّي بن أبي طالب "فإن وقفت بالسكون أو الإشمام جرت على البدل، ودبرها حركة ما قبلها كالساكنة، فإن كان قبلها ألف وأبدلت ألفا حذفت إحدى الألفين للالتقاء الساكنين نحو: أولياء، شاء، وأنبياء، تبدل في الوقف من الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها... فيجتمع ألفان فتحذف إحداهما للالتقاء الساكنين"⁽²⁾، فمثلا القارئ حمزة قرأها على الشكل الآتي: (على سوا، هم السّفها، جا)⁽³⁾.

وإن كان الساكن قبل الهمز واوا أو ياء مزيدتين للمدّ فقط نحو قوله تعالى: ﴿النّسيء﴾⁽⁴⁾، وفي مثل قوله تعالى أيضا: ﴿بريء﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿دري﴾⁽⁶⁾، وقوله كذلك: ﴿ثلاثة قروء﴾⁽⁷⁾، لم يجز القراء تحريك الهمزة عند التخفيف لأنّ التخفيف على رأي القدماء هو أن يبدل الهمز من جنس ذلك الحرف الزائد ويدغم الحرف فيه، حيث قرأ حمزة هذه الكلمات قرو، بري، نسي⁽⁸⁾.

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - مج 1 - ص 342.

(2) - ينظر: الظواهر الصوتية - رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 57.

(3) - المرجع نفسه - ص 58.

(4) - سورة التوبة - الآية: 37.

(5) - سورة الأنعام - الآية: 19.

(6) - سورة النور - الآية: 35.

(7) - سورة البقرة - الآية: 228.

(8) - الإقناع في القراءات السبع: ابن البادش - ص 204.

ولقد فسّر هذا الإبدال أحد علماء العريّة القدماء وهو بن يعيش بقوله:
 "وإنّما كان كذلك لأنّه لا يقدر على إلقاء حركة الهمزة عليهما لأنّ الواو والياء
 هنا مزيدتان للمدّ، فشبهتا الألف لسكونهما، وكون حركة ما قبلهما من
 جنسهما وأنّهما شريكتان في المدّ، فكرهوا الحركة فيهما لذلك ولأنّ تحريكهما
 يخلّ بالمقصود بهما، لأنّ تحريك حرف المدّ يصرفه عن المدّ ولمّ تجعل الهمزة هنا
 بين بين لأنّ في ذلك تقريبا لها من الساكن وقبلها ساكن، فكانت الواو والياء
 تدغمان ويدغم فيهما فصارتا إلى ذلك لأنّه أخف" (1).

لكنّ المحدثين اتفقوا على رفض قاعدة الإبدال التي يأخذ بها القدماء فهم
 يعتمدون على التقطيع الصوتي الذي يقوم على حذف الهمزة وإعادة تشكيل
 المقاطع الصوتية، وسوف نطبق ذلك على الشكل الآتي:

قروء ← | قُ | رُ | رُ | ءُ | ن | وهو على وزن فعول

حذفت الهمزة لغرض التخفيف على الشكل الآتي:

قُ | رُ | رُ | ن

وبعد حذف الهمزة بقي المقطع فيه قمة فقط من غير قاعدة | ن |
 فيتوالى صائتان | رُ | وهذا لا يجوز، ثمّ ينشطر الصائت الطويل | رُ | إلى
 مصوّت قصير | رُ | ونصف صائت واو الاحتكاكية، فيتحوّل المقطع من طويل
 مفتوح | رُ | إلى طويل مغلق | رُ |، وبذلك نفيد من وجود نصف
 الصائت الاحتكاكي لاجتلاب نصف صائت من جنسه ليكون قاعدة من المقطع

(1) - شرح المفصل: ابن يعيش - 108/9.

الجديد فتحول الكلمة من نبر التوتّر الهمزي إلى نبر التشديد كما في الكتابة الصوتية التالية:

اقُ رُ | اءُ ن | اقُ ← | رُ | ن |

انشطار و ← واو (مجتلبة تصبح قاعدة)

اقُ رُ | و | ا و | ن | قُرُو

أما إذا كان الساكن غير ذلك من سائر الأصوات فيكون تخفيف الهمزة بنقل حركتها إلى ذلك الساكن ويحرك بها ثم تحذف على حسب القاعدة.

- حالة الصوت الساكن لما يكون صوتا صحيحا: في مثل قوله تعالى:

﴿دِفءٌ﴾⁽¹⁾، وفي مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْخَبءَ﴾⁽²⁾، نلاحظ في هذه

الكلمات التي احتوت على الهمزة المتطرّفة سبقت بحرف ساكن صحيح، وفي هذه الحالة تسهّل (تخفيف الهمزة) بنقل حركتها إلى ذلك الساكن الذي قبلها ثم إسقاطها (أي حذفها)، وبعد ذلك يدرك السكون ما قبل المتطرّفة في الوقف لكنّه يسكن عن الحركة التي نقلت إليه فمثلا في قراءة حمزة يقول: دِفءٌ، الخَبءَ.

يعلّل القدماء هذه العملية بقولهم أنّ الهمزة لما وقع قبلها ساكن غير حرف مدّ ولين ولا حرف لين لم يمكن جعلها بين بين لأنّ همزة بين بين لا تقع بعد ساكن غير الألف لئلا يجتمع ما هو قريب من الساكن وكذلك لم يمكن بدلها إذ ليس قبلها حركة تدبّرها، وتبدل على حكمها؛ (إذ البدل في الهمز إنّما

(1) - سورة النحل - الآية: 5.

(2) - سورة النمل - الآية: 25.

يجرى على حكم حركة ما قبله) ولا حركة قبل هذه فلم يبق إلا إلقاء حركتها على قبلها فعليه العمل في هذا"⁽¹⁾.

وقد ذكر ذلك سيبويه فقال: "وإذا كانت الهمزة ما قبلها ساكن فالحذف لازم ويلزم الذي ألقيت عليه الحركة ما يلزم سائر الحروف غير المعتلة من الإشمام وإجراء الجزم وروم الحركة والتضعيف وذلك قولك: هذا الوَثُّ من الوَثِّ، ورأيتُ الوَثَّ والْحَبُّ وهو الحَبُّ ورأيتُ الحَبَّ ونحو ذلك"⁽²⁾.

- إذا كان الساكن حرف علة أصلا: يكون ياء أو واوا سواء كانا حرفي مدّ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿سِيءٌ﴾⁽³⁾، وقوله أيضا: ﴿مِنْ سُوءٍ﴾⁽⁴⁾، فمثلا كان للقارئ حمزة في هذا النوع من الهمزة التخفيف على وجهين، الوجه الأوّل يتمثل في نقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن ثم حذفها حيث قال: سِيءٌ، سُوءٌ، ويفسر مكّي ذلك بقوله: "أنّ الواو والياء لما خرجا عن تمكّن شبه الألف بكونهما غير زائدتين وأشبهها سائر الحروف غير الألف فجاز فيهما أن تلقى حركة الهمزة عليهما كما يفعل ذلك في سائر الحروف غير الألف وهو الاختيار، أمّا بقاء الواو والياء الأصلتين مشابهة بالواو والياء الزائدتين في أنّهما ساكنان كالزائدتين وأنّ حركة ما قبلهما منهما كالزائدتين وأنّهما يمدّان كالزائدتين كان معهما الإبدال والإدغام على التشبيه بالزائدتين"⁽⁵⁾.

(1)- الظواهر الصوتية: رسول صالح علي أحمد الحلبوسي- ص60.

(2)- أخذت القول من الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش- ص201.

(3)- سورة هود- الآية: 88.

(4)- سورة آل عمران- الآية: 30.

(5)- الظواهر الصوتية: رسول صالح علي أحمد الحلبوسي- ص60-61.

ويؤكد هذا القول البغدادي المالكي (ت. 438) بأن هؤلاء أجروا الأصلي مجرى الزائد والزائد مجرى الأصلي نحو قوله تعالى: ﴿بِالسُّوءِ﴾⁽¹⁾، حيث قلبت الهمزة واوا وأدغمت الواو الأولى في الواو الثاني المنقلبة عن الهمزة فيوقف بها على الشكل التالي: (بالسو) بواو واحدة مشددة والأخرى أصلية...⁽²⁾.

يرفض علماء الأصوات المحدثين عملية نقل الحركة والسبب يعود في نظرهم أن الكلام هو سلسلة منطوقة متتابعة ويتغير المعنى إذا غيرنا أي حرف منها، فالبديل عندهم أنهم أسقطوا الهمزة وأعادوا تشكيل المقطع فمثلاً:

دَفَاءٌ ← | د - ف | ءُ ن | ← | د - ف | أُ ن |

- تسقط الهمزة وهي القاعدة الأولى للمقطع ويبقى المقطع يبدأ بصوت قصير وهذا غير جائز.

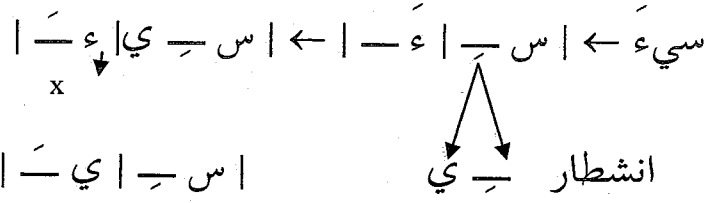
- تنقل القاعدة من المقطع الأول وهي الساكن الذي قبل الهمزة لتصبح قاعدة أولى للمقطع الثاني، وسكونها هو الذي سوغ انتقالها لأنها لا تترك عند انتقالها اختلالاً في المقطع الذي كانت فيه، فيتحوّل المقطع الأول من طويل مغلق إلى مقطع قصير، فنتحصّل على:

| د - ف | أُ ن || (دَفِ).

ف نجد ثبات الحركة في مقطعها وهو عكس ما ذهب إليه القدماء، وكذلك الحالة إذا كان الساكن معتلاً سواء كان حرف مدّ نحو:

(1) - سورة يوسف - الآية: 53.

(2) - ينظر: الظواهر الصوتية - رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 61.



يرى القدماء أن كثرة الإبدال بين الهمزة من جهة والألف والواو والياء من جهة أخرى سببه وجود علاقة تقارب وتشابه بينها وبين هذه الحروف، وقد جاء في شرح الملوكي: "اعلم أن الهمزة وإن كانت تستثقل ولذلك دخلها التخفيف بالحذف والبدل فهي تشبه حروف المد واللين من حيث كانت تصوّر بصورتها فتكون تارة ألفا وتارة واوا وتارة ياء"⁽¹⁾.

لكنّ المحدثون يرفضون فكرة الإبدال في تخفيف الهمزة والسبب هو انعدام العلاقة الصوتية بين الهمزة والواو والياء، كما قال القدماء، فالبدل عندهم هو إسقاط الهمزة وإعادة تشكيل المقاطع الصوتية أي حذف الهمزة أدّى إلى توليد مزدوج صاعد من الياء والكسرة يستفاد منه تكوين ياء احتكاكية من جنس الياء المدية تكون قاعدة عوضا من سقوط الهمزة، وكذلك بالنسبة للواو فتحوّل الكلمة من نبر التوتّر الهمزي إلى نبر التّضعيف بالإدغام⁽²⁾.

ج- التحليل الصوتي للهمزة المبتدأة المتحرّكة: إنّ الحرف الساكن الذي يكون قبل الهمزة المبتدأة يكون متّصلا بها رسما أو منفصلا عنها.

المتّصل رسما: يكون عبارة عن ألف أو غير ألف، فما كان ألفا يكون في موضعين: ياء النداء مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا﴾⁽³⁾، وقوله أيضا: ﴿يَا

(1) - ينظر: الظواهر الصوتية- رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 63.

(2) - المرجع نفسه - الصفحة نفسها.

(3) - سورة البقرة - الآية: 21.

﴿أَدْمٌ﴾⁽¹⁾، ثم هاء التنبية في مثل قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾⁽²⁾، وفي قوله أيضا: ﴿هَاؤُمْ﴾⁽³⁾، فحكما التسهيل بين بين، أما من غير الألف فتكون في لام التعريف حيث وقع ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿الْآخِرَةُ﴾⁽⁴⁾، وأيضا قوله تعالى: ﴿الْأَرْضُ﴾⁽⁵⁾، فحكما في هذه الكلمات النقل⁽⁶⁾.

يعلل القدماء سوغ النقل إلى أن الألف واللام اللذين للتعريف ككلمة منفصلة مما بعدها لأنهما دخلا بعد أن لم يكونا، ولأن حذفهما جائز، ولأن الكلام مع عدمهما مستقل مفهوم فصار في ذلك بمتزلة ماهو من كلمتين فأجراه في إلقاء الحركة على الساكن مجرى ماهو من كلمتين⁽⁷⁾.

أما علماء الدرس الصوتي الحديث يرفضون عملية النقل لأن الكلام في نظرهم سلسلة منطوقة متتابعة، فبين الفتحة واللام في كلمة الأرض يوجد صوت الهمزة، فلا أساس لنقل الحركة لذلك فالبديل عندهم:

- إسقاط الهمزة التي تمثل قاعدة المقطع.

- نقل القاعدة الثانية في المقطع الأول إلى المقطع الثاني لتكون قاعدة له.

- يزول نبر التوتر الهمزي ويعاد التشكيل المقطعي.

(1) - سورة البقرة - الآية: 33.

(2) - سورة آل عمران - الآية: 66.

(3) - سورة الحاقة - الآية: 19.

(4) - سورة البقرة - الآية: 94.

(5) - سورة البقرة - الآية: 61.

(6) - الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش - ص 209.

(7) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي - 90/1.

لما نحلل كلمة أرض تحليلًا مقطعيًا على الشكل الآتي:

الأرض ← ء - ل | ء - ر | ض - ا ← ا - ء - ا | ل - ر | ض - ا (الأرض).

يلاحظ العلماء المحدثين إثبات الحركة في مقطعها وهو عكس ما ذهب إليه القدماء.

المنفصل رسماً: لا يخلو الساكن قبله من أن يكون صحيحاً أو حرف علة، فالساكن الصحيح نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ﴾⁽¹⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾⁽²⁾، يروي كثير من أهل الأداء عن القارئ حمزة تخفيف هذا النوع بعملة النقل ويلحقوه بما هو من كلمة، ويروي عن آخرون بالتحقيق، لكن أهل الدس الصوتي الحديث يرون أنه تم إسقاط الهمزة وأعادوا تشكيل المقاطع الصوتية، فمثلاً نأخذ كلمة:

قد أفلح ← ق - د | ء - ف | ا - ل - ا - ح - ا ← ا - ق - ا - د - ف | ا - ل - ا - ح - ا

حيث نقل الصامت من مقطعه صوب الحركة مع ثبات الحركة في مقطعها وهو عكس ما ذهب إليه القدماء⁽³⁾.

الساكن حرف علة: إما أن يكون حرف لين في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾⁽⁴⁾، فإنه يلحق بالساكن الصحيح وحكمه النقل والتحقيق، أو حرف مدّ

(1) - سورة البقرة - الآية: 62.

(2) - سورة طه - الآية: 64.

(3) - الظواهر الصوتية: رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 69

(4) - سورة البقرة - الآية: 14.

إمّا أن يكون ألفا أو غيرها نحو قوله تعالى: ﴿يَمَا أُنزِلَ﴾⁽¹⁾، فحكمه التسهيل بين بين والتحقيق، وإن كان غير ألف فإمّا أن يكون واوا أو ياء في مثل قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾⁽²⁾، فحكمه النقل والإدغام.

بعد هذا التحليل الصوتي لأحوال الهمزة على المستوى التركيبي الذي أجريناه بين علماء العربيّة القدامى وبين علماء الأصوات المحدثين، تبين أنّ للهمزة وجهين وهما: التحقيق والتخفيف، والتحقيق عند علماء التجويد تحقيقين، تحقيق مستحسن ويشترط فيه على القارئ أن يأتي بالهمزة سلسلة في الذوق من غير لکن ولا ابتهار ولا خروج بها عن حدّها ساكنة كانت أو متحرّكة⁽³⁾، كما يجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها...⁽⁴⁾، فيخرجها من النفس إخراجا سهلا بغير كلفة يألفه طبع كلّ أحد ويستحسنه أهل العلم بالقراءة، وذلك المختار، ولا يقدر القارئ عليه إلاّ برياضة شديدة⁽⁵⁾، وتحقيق مستهجن يحذر علماء التجويد من يلفظ به لفظا تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب ويثقل على العلماء بالقراءة وذلك مكروه معيب به من أخذ به⁽⁶⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 4.

(2) - سورة البقرة - الآية: 136.

(3) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: الداني - ص 253.

(4) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة - مكّي بن أبي طالب القيسي - ص 119.

(5) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - مج 1 - ص 339.

(6) - التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد: المصدر السابق - ص 252.

أمّا عن تخفيف الهمز فهو لغة أهل الحجاز⁽¹⁾، واختصاصه بالتخفيف من بين سائر الحروف فثلاثة أشياء: ثقلها، كثرتها في الكلام والشيء إذا كثرت استعماله كان بالتخفيف أولى من غيره، وأن تخفيفها لا يخلّ باللفظ...⁽²⁾.
ولتخفيف الهمز ضربان: تخفيف قياسي ويتمثل في الإبدال والتقل والتسهيل بين بين، البديل ويأتي مع الهمزة الساكنة وفي المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، وفي المتحركة التي قبلها حرف مدّ ولين زائد غير الألف، أو غير زائد أو حرف لين، فهذا كله يجري على البديل، أما التقل يتمثل في إلقاء الحركة وذلك إن كان قبل الهمزة ساكن غير ألف حرف مدّ ولين زائد، فهذا تلقى فيه حركة الهمزة على ما قبلها فيتحرّك ما قبلها بحركتها وتحذفها، أمّا بين بين وذلك في كلّ همزة متحركة قبلها ألف أو حرف متحرّك إلاّ المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة فإنّها تجرى على البديل⁽³⁾.

التخفيف السماعي: قرأ الكسائي كلمة من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضاً: ﴿أَرَأَيْتَ﴾⁽⁵⁾، (أَرَيْتُمْ) و(أَرَيْتَ) بغير همز، يقول أبو علي "وأما قول الكسائي أريت فأنه حذف الهمزة حذفاً على غير التخفيف، ألا ترى أنّ التخفيف القياسي فيها تجعل بين بين كما قرأ نافع بالحذف للتخفيف..."⁽⁶⁾.

(1)- الكشف عن القراءات السبع: القيسي - 81/1.

(2)- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيروباني - ص 150.

(3)- ينظر: الكشف في القراءات السبع: المصدر السابق - 115/1 باختصار وتلخيص.

(4)- سورة الأنعام - الآية: 46.

(5)- سورة الكهف - الآية: 63.

(6)- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: المرجع السابق - ص 155.

رأي بعض المحدثين في تخفيف الهمز: نفى عبد الصبور شاهين العلاقة الصوتية بين صوت الهمزة وأصوات المدّ واللين إلى أن تخفيفها في نحو: (أمن، وأومن، وإيمان) ليس بإبدالها حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها كما رأى القدماء، وإنما بإسقاطها ومطل الحركة قبلها للحفاظ على كميّة المقطع وإن اختلف نوعه فقال: "والواقع الذي يؤكّده التحليل الصوتي هو أن الناطق أسقط الهمزة الثانية في هذه الأمثلة الثلاثة، وعوّض مكانها حركة قصيرة متجانسة لما قبلها، فتحوّلت حركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة وهذا النوع من التعويض الإيقاعي يحافظ على كميّة المقطع دون النظر إلى نوعه، فهو في كلتا الحالتين طويل ولكنه في الحالة الأصلية مقفل (ص ح ص) وفي البداية مفتوح (ص ح ح) ولكن كميّة الأصوات واحدة، فلذلك ثبت إيقاع الكلمة وتحققت الصيغة المرادة، وذهب أيضا إلى أن الهمزة المسهّلة بين بين ليست سوى سقوط الهمزة واتّصال الحركتين قبلها وبعدا اتّصالا يحدث ما يعرف في الدّراسات الصوتية الحديثة بالحركة المزدوجة أو الصائت المركّب، فاحوى مذهب شاهين أن تخفيف الهمز إنّما يكون بإسقاطه والتّعويض عنه إن أمكن ليسلم الكلمة... (1).

7- قواعد الياءات في القرآن الكريم:

يقال لها ياءات الإضافة وتعرّف على أنّها ياء المتكلّم وهي ضمير يتّصل بالاسم، فتكون مجرورة محلّ نحو: (نفسى، وذكرى) ومع الفعل تكون منصوبة نحو: (فَطِرْنِي)، ومع الحرف تكون مجرورة ومنصوبة نحو: (لي، وإني).

(1) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني - ص 155-156.

7-1 الفرق بين ياءات الإضافة وياوات الزوائد:

يتمثل الفرق في الياءات الزائدة على أنها تكون زائدة على الكلمة أي ليست من الأصول، فلا تجيء لاما من الفعل، فهي كهاء الضمير وتأتي كافة فنقول مثلا: (في نفسي نفسه ونفسك، وفي فطرنى فطره وفطرك، وفي إنى إنى وإنه وإنك). أما ياء الإضافة تكون أصلية وزائدة فتجيء لاما من الفعل مثل: إذا يسر، ويوم يأت (1).

7-2 "الاختلاف في أصل الياءات:

اختلف العلماء في أصولها من حيث الحركة والسكون، فذكر بعضهم أن الأصل في الياء حركة ودليلهم في ذلك أنها اسم والاسم لا يكون على حرف واحد ساكن، فهي تشبه الكاف في عليك وإليك وهذه الضمائر لا تكون إلا متحركة، فكذلك ياء الإضافة حرّكت لتقوى بالحركة، ولأن العرب تأتي بهاء السكت بعد ياء الإضافة لتثبت حركتها في الوقف نحو: (كتابه، وكساياه، وماليه)، فإذا كانوا يحرصون على بقاء الحركة في الوقف فثبتتها في الوصل أكد (2)، وذكر آخرون أن الإسكان هو الأصل، وحثّهم أنها حرف مبني والأصل في البناء السكون (3).

7-3 التحليل الصوتي لصوت الياء:

يعدّ صوت الياء صوتا ثقيلًا فإذا تحرك ازداد ثقلا ويدلّ على ثقل الحركة على الياء أنها تقلب ألفا إذا تحركت وانفتح ما قبلها في أكثر الكلام، ولما

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - مج2 - ص123

(2) - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي - 324/1.

(3) - الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات: رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص272.

حرّكت أعطوها الفتح، لأنّ الفتح أخفّ الحركات من الكسر والضمّ، وإذا أعطوها مثلا الكسر، والذي قبلها لا يكون إذا كان متحرّكا إلا مكسورا، فتجتمع كسرتان والياء عليها كسرة وذلك ثقیل، فلو أعطوها الضمّ لاجتمع ماهو أثقل من ذلك، فاختاروا لها الفتح ورأوا أنّه مناسب لها، ومن التغيّرات التي تصيب الياء إذا انكسرت أو انضمتّ تعلّ بالحذف والقلب، وعليه فالفتح يكون فيها أقوى وأفصح لأنّه الأصل⁽¹⁾.

7-4 عدد الأوجه التي تأتي عليها ياءات الإضافة في القرآن:

أجمع ابن الجزري أوجه ياءات الإضافة في القرآن على ثلاثة أضرب:
الضرب الأول: الإسكان وهو الأكثر لجيئه على الأصل مثل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾⁽²⁾، وفي قوله أيضا: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾⁽³⁾، وفي قوله كذلك: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾⁽⁴⁾.

الضرب الثاني: الفتح وذلك بموجب إمّا أن يكون بعدها ساكن مثل لام التعريف أو شبهه مثل قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي الَّتِي﴾⁽⁵⁾، في المواضع الثلاثة من سورة البقرة⁽⁶⁾، بعد ألف حرّكت ياء الإضافة بالفتح فرارا من الحذف في مثل قوله تعالى: ﴿هُدَايَ﴾⁽⁷⁾، وفي قوله أيضا: ﴿رُؤْيَايَ﴾⁽⁸⁾، وبعد ياء من (إليّ،

(1) - الكشف عن القراءات السبع: مكّي القيسي - مج 1 - ص 324.

(2) - سورة البقرة - الآية: 30.

(3) - سورة البقرة - الآية: 152.

(4) - سورة إبراهيم - الآية: 36.

(5) - سورة البقرة - الآية: 40، 47، 122.

(6) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - مج 2 - ص 123.

(7) - سورة البقرة - الآية: 38.

(8) - سورة يوسف - الآية: 100.

عليّ، يديّ، ولديّ، وبنيّ...). وفي قوله تعالى: ﴿بِمُصْرِحِيٍّ﴾⁽¹⁾، حرّكت الباء في هذه الأمثلة هروبا من التقاء الساكنين، وأدغمت في إليّ وعليّ للتماثل، أمّا كلمة مصرخيّ جاز فيها الكسر لغة.

الضرب الثالث: اختلف القراء بين الإسكان والفتح في مثل قوله تعالى: ﴿آتَانِي اللَّهُ﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾⁽³⁾، والذي نستخلصه من حالات القراءة لياءات الإضافة في القرآن الكريم التي تمثّلت في الفتح والإسكان وهما من التغيرات الصوتية التي تعود إلى اختلاف اللهجات، فالفتح من ظواهر لهجة الحجاز والإسكان من ظواهر لهجة تميم وأسد وهذيل، وهو من المظاهر العامة في قراءة القراء الكوفيين، وقد تجلّى واضحا في قراءة حمزة الذي قرأ بإسكان جميع ياءات الإضافة التي اختلف فيها القراء إلا ياء محياي في قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَاي﴾⁽⁴⁾، فإنه فتحها⁽⁵⁾.

5-7 ياءات الزوائد في القرآن:

تأتي في أواخر الكلم وهي الزوائد في رسم المصاحف العثمانية⁽⁶⁾، وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ياءات الإضافة التي تصحبها النون وذلك إذا اتصلت بالأفعال نحو اخشوني، اتقوني.

(1) - سورة إبراهيم - الآية: 22.

(2) - سورة النمل - الآية: 36.

(3) - سورة الزمر - الآية: 17.

(4) - سورة الأنعام - الآية: 162.

(5) - الكشف في القراءات السبع: القيسي - 330/1.

(6) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - مج 2 - ص 138.

القسم الثاني: ياءات لا تصحبها النون إذا اتصلت بالأسماء مثل: وعيدي، نذيري، نكيري.

القسم الثالث: ياءات الإضافة فيه أصلية وهي لام الفعل مثل: السداع، والهاد، والواد، وقد حذفت الياء فيها من المصحف استخفافاً لدلالة الكسرة قبلها عليها وهي لغة مشهورة عن العرب، حيث يقولون جاءني القاض، ومررت بالقاض⁽¹⁾.

نستنتج من تحليلنا السابق أن ياءات الإضافة تفرق عن ياءات الزوائد فالأولى ثابتة في المصحف وتتصل بالأسماء والأفعال والحروف، كما أنها جارية بين الفتح والإسكان، أما الثانية فتكون محذوفة من المصحف كما أنها تكون في الأسماء والأفعال ولا تكون في الحروف وهي جارية بين الحذف والإثبات، وكذلك يتمثل الخلاف بينهما أن ياءات الإضافة جارية في الوصل فقط، أما ياءات الزوائد جارية في الوصل والوقف⁽²⁾.

"لقد أحصى أهل الأداء المواضع التي اختلف فيها القراء من ثبوت أو عدم ثبوت ياء الزوائد في خط المصحف إلى مايلي: لم تثبت ياءات الزوائد في خط المصحف في إحدى وستون ياءً، فالقارئ حمزة أثبت منها ثلاث ياءات اثنتان في وصله ووقفه وهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾⁽³⁾، وفي قوله أيضاً: ﴿أَتَمِدُّونَ﴾⁽⁴⁾، والثالثة أثبتها في وصله فقط نحو قوله تعالى: ﴿رُعَاءِ﴾⁽⁵⁾ (6).

(1) - الكشف في القراءات السبع: القيسي - 331/1.

(2) - ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات - رسول صالح علي أحمد الحلبوسي - ص 275.

(3) - سورة الكهف - الآية: 70.

(4) - سورة النمل - الآية: 36.

(5) - سورة إبراهيم - الآية: 40.

(6) - الظواهر الصوتية: علي احمد الحلبوسي - ص 275.

ويعلّل أهل الأداء إثبات ياء الزوائد في الوقف والوصل "أنه أتى بها على أصلها ووفق بين الوصل والوقف واستهلّ ذلك في الياء، لأن حروف المد واللين تحذف من الخط في أكثر المصاحف، وتقرأ بالإثبات في الوصل والوقف إجماعاً نحو "إبراهيم وإسماعيل وإسحاق" وأكثر الألفات كالقراءة بالألف في الوصل والوقف والخط بغير ألف، وهو كثير في القرآن فأجرى الياء مجرى الألف فأثبتها في غير الوصل والوقف وإن كانت محذوفة في الخط، أما علة حذفها من القراءة في الوصل والوقف فإنه أتبع الخطّ واكتفى بالكسرة من الياء في الوصل وأجرى الوقف على الوصل فحذف"⁽¹⁾.

8- تقنيات التجويد:

8-1 البسمة:

هي سنة مؤكدة في أوائل السور ما عدا سورة براءة، وهي مشروعة عند البدء بكل أمر مستحسن اقتداءً بالقرآن الكريم، كما قال صلى الله عليه وسلّم: كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، أي ناقص منزوع منه البركة.

مرجعها: اختلف في أن البسمة كونها آية من كلّ سورة، أو كونها آية من سورة الفاتحة، يعتبرها حفص بن عاصم أنها آية من سورة الفاتحة ويفصل بها بين السور كلها إلا براءة لتنزيلها بالسيف، والبسمة رحمة وأمان ولا رحمة ولا أمان للكفار والمشركين والمنافقين"⁽²⁾.

(1) - الكشف في القراءات السبع: القيسي - 331/1-333.

(2) - المفيد من أحكام التجويد: سعاد عبد الحكيم - ص 53.

حكم البسمة بين السورتين: الفصل بين كل سورتين بالبسمة أو التسمية: لقد فصل بين كل سورتين بالبسمة كل من عبد الله بن كثير إمام أهل مكة في القراءات (ت.120هـ)، وكذلك نافع بن أبي نعيم إلا ورشاً وعاصم والكسائي، والعلّة في ذلك أنهم اتبعوا خطّ المصحف وأرادوا التحرك بابتداء أسماء الله، وعليه روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: اقرؤوا ما في المصحف⁽¹⁾.

إسقاط البسمة بين كلّ سورتين: بحيث أن القارئ يثبت البسمة في أول قراءته كما فعل حمزة، وعلّتهم في ذلك أنّه لما كانت "بسم الله الرحمن الرحيم"، ليست بآية من كلّ سورة عند جماعة من الفقهاء أسقطوها أثناء القراءة في الوصل بين السورة والأخرى، وكذلك حتى لا يظنّ أنّها (البسمة) آية من أول كلّ سورة في القرآن، والقرآن عنده كله كالسورة الواحدة، فكما لا يفصل بين بعض السورة وبعض بالبسمة، كذلك لا يفصل بين سورة وسورة بالبسمة.

إثبات البسمة: ثبات البسمة في المصحف هدفه إعلام السامع بالانتهاء من قراءة السورة والابتداء بالقراءة في سورة أخرى⁽²⁾.

الفصل بين السورتين بالسكت: فصل أبو عمرو وابن عامر، وورش ومعهم يعقوب، بين السورتين بالسكت أثناء القراءة، والهدف من ذلك هو تبيين أنّ الأولى قد تّمت، وأنّه ابتداء بقراءة السورة الثانية، ولقد أجمع أكثر القراء على

(1) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي - 16/1.

(2) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

حذف البسمة أثناء القراءة بين السورة والأخرى بالسكت كدليل على أن البسمة ليست بآية من كل سورة⁽¹⁾.

8-2 قواعد الوقف والابتداء في علم التجويد:

الوقف في اصطلاح القراء: لقد اختلف فيه عباراتهم وأتمها ابن الجزري بأنه: قطع الصوت على [آخر] الكلمة زمنًا يُتنفَسُ فيه عادةً بنية استئناف القراءة، إمّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله، ولا يأتي وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسمًا ولا بدًّا من التنفّس معه⁽²⁾.

تحدّث ابن الجزري عن الفرق بين الوقف والقطع والسكت، فقال: "هذه العبارات جرت عند الكثير من المتقدمين مُرادًا بها الوقف غالبًا، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإن القطع عندهم عبارة عن قطع القراءة رأسًا، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالعرض عن القراءة والمنتقل منها إلى حال أخرى سوى القراءة، والسكت هو عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس⁽³⁾".

إذاً يتباين القطع عن السكت في أن القطع هو آخر وقف في القراءة إضافة على أنه ينحصر الاختلاف بينهما في ثلاثة أشياء:

أولاً: أن السكت لا تنفس فيه في حين أن التنفّس ركن في الوقف.

ثانياً: إن السكت أقلّ من الوقف مُدّة.

(1) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي - 17/1.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي - ص 201.

(3) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 192/1-193.

ثالثا: السكت يرد في جزء الكلمة كما يرد في آخرها، كسكت حمزة (ت.156هـ) على الساكن قبل الهمز⁽¹⁾، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾⁽²⁾، في حين لا يأتي الوقف إلا في آخر الكلمة.

حاجة القارئ للوقف: إن حاجة القارئ إلى تقسيم ما يتلوه إلى جمل وعبارات يقف عند نهاياتها وذلك لأمرين:

أولاً: أن فهم المعنى يتوقف كثيرا على ذلك.

ثانياً: ليتنفس ولينشئ بهذا التنفس زفيراً ثم استنشاقاً لإعادة ملئ الرئتين بالهواء ليتمكن من الاستمرار في متابعة القراءة.

ولقد أشار القسطلاني في قوله إلى أن القارئ بحاجة إلى التنفس، وبالتالي فهو مضطر إلى الوقف لما كان من عوارض الإنسان التنفس اضطر القارئ إلى الوقف،

أسباب الوقف:

أ- أسباب اختيارية: كتمام المعنى كلياً أو جزئياً، أو منح السامع مهلة للتأثر أو التشويق، أو دفع اللبس.

ب- أسباب اضطرارية: كانقطاع النفس أو العطاس أو السعال أو النسيان⁽³⁾.

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 333/1.

(2) - سورة القمر - الآية: 17.

(3) - الوقف في العربية على ضوء اللسانيات: عبد البديع النيرباني - دار الغوتاني للدراسات القرآنية -

دمشق - ط1 - 2008 - ص46.

معرفة مواضع الوقف عند القراء: يقول الداني: "إنّ التجويد لا يتحصل لقراء القرآن الكريم إلاّ بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم⁽¹⁾". إنّ الجوّد للقرآن الجيّد هو الذي يعرف المواضع التي يجوز فيها الوقف أو يمتنع، ولقد قسّم علماء الوقف والابتداء تلك المواضع إلى أربعة أقسام:

1- "الوقف التام: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنّ ما بعده لا يتعلّق به لا لفظاً؛ أي من ناحية الإعراب ولا معنّى.

2- الوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده غير أنّ الذي بعده متعلّق به من جهة المعنى دون اللفظ.

3- الوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلّقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً.

4- الوقف القبيح: هو الذي لا يفهم معه المعنى لعدم تمام الجملة⁽²⁾.

- نماذج من أقسام الوقف المذكورة آنفاً: "الوقف التام مثلاً في قوله

تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽³⁾، وأيضاً في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله

أيضاً: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁽⁵⁾، والوقف على قوله: (الْحَمْدُ) قبيح، لأنّه مبتدأ يحتاج

إلى الخبر، والوقف على (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حسن، وذلك لمجيء الخبر لكن ما بعده

متعلّق به لأنّ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽⁶⁾، صفات الله،

(1)- التحديد في الإتقان والتجويد: ابن الجزري- ص174

(2)- المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

(3)- سورة الفاتحة- الآية: 4.

(4)- سورة الفاتحة- الآية: 5.

(5)- سورة الفاتحة- الآية: 7.

(6)- سورة الفاتحة- الآية: 3-4.

والصفة متعلقة بالموصوف على حسب القاعدة النحوية وعلى هذا المنوال يطبق الوقف على ألفاظ سور القرآن الكريم⁽¹⁾.

- ما يجوز ولا يجوز للقارئ من قواعد الوقف: "يجوز لقارئ القرآن أن يقف على رؤوس الآيات، حتى مع تعلق ما بعدها بما قبلها وذلك لورود السنة النبوية بذلك... ويجوز للقارئ أن يقف حيث انقطع نفسه للاضطرار، ولكن إذا كان ما بعد الكلمة التي وقف عليها متعلقًا بما قبلها تعلقًا يؤدي قطعها إلى الإخلال بالمعنى وجب عليه أن يرجع إلى تلك الكلمة أو ما قبلها ليكون ابتداءه من موضع لا يُخل بالمعنى"⁽²⁾.

ما يجب أن يتجنه القارئ، وفي هذا يقول الداني: "والذي يلزم القراء أن يتجنبوا الوقف عليه، أن لا يفصلوا بين العامل وما عمل فيه، كالفعل وما عمل فيه من فاعل مفعول وحال وظرف ومصدر، ولا يفصلوا بين الشرط وجوابه، والأمر وجوابه والمبتدأ وخبره، والصلة والموصول، والصفة والموصوف، والبدل والمبدل منه، والخطوف والمعطوف عليه، والتوكيد والمؤكد، والمضاف والمضاف إليه، وكذلك على حروف المعاني ما بعدها"⁽³⁾.

لزوم معرفة كيفية الوقف على أواخر الكلمات: للوقف أحكام تخص أواخر الكلم الموقوف عليها تلزم القارئ معرفتها والأخذ بها وهي ثلاثة أنواع:

1- السكون وهو الأصل في الوقف: "لما كان الغرض من الوقف الاستراحة والسكون أخف من الحركات كلها وأبلغ في تحصل الاستراحة صار

(1) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة - غانم قدوري - ص 159.

(2) - نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر القيسي - ص 211، 218.

(3) - التحديد في الإتقان والتجويد: ابن الجزري - ص 175-176.

أصلاً⁽¹⁾، ولقد أشار ابن جنّي إلى ذلك بين السكون والسكوت في حديثه عن معنى القول وأنّ فيه خفة وحركة على اختلاف تصرفه، فقال: "وهو بضدّ السكوت، الذي هو داعية إلى السكون ألا ترى أنّ الابتداء لما كان أخذاً في القول لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحرّكاً، ولما كان الانتهاء أخذاً في السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً"⁽²⁾.

ويرى إبراهيم أنيس أنّ "الوقف بالسكون لا يؤثر ولا يغيّر من معنى العبارات أو يخلّ بالصيغ، وذلك أن الأصل في الكلمات ألا تكون متحرّكة في آخرها، وأن ما حرّك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية فرضها الصوت، وأنّ ما يعين حركة دون أخرى أحد العاملين؛ فالأول: إثارة الحروف لحركات معينة، كحروف الحلق حين تُؤثر الفتح، والآخر: انسجام هذه الحركة الرابطة مع ما يكتنفها من حركات أخرى"⁽³⁾.

أمّا القراء يرون أنّ الكلمات الموقوفة عليها إذا كانت ساكنة في الأصل فإنّها تُترك على حالها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾⁽⁴⁾، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁽⁵⁾، وفي قوله أيضاً: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾⁽⁶⁾.

(1) - ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكّي نصر الجريسي - ص 285.

(2) - الخصائص: ابن الجنّي - 5/1.

(3) - من أسرار اللّغة: إبراهيم أنيس - ص 240، 248، 249.

(4) - سورة يونس - الآية: 109.

(5) - سورة العلق - الآية: 19.

(6) - سورة الضحى - الآية: 9-10.

2- الروم بين القراء وأهل اللغة: "هناك خلاف بين أهل اللغة والقراء في

معنى الروم، فهو عند القراء: النطق ببعض الحركة، وعند النحاة: نطق الحركة بصوت خفي" (1).

وتظهر فائدة الخلاف بين مذهب القراء والنحويين في الفتح، فعلى قول القراء لا يدخل الروم على حركة الفتح لأن الفتحة حركة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرهما لأنها لا تقبل التبعض كما يقبله الكسر والضمّ بما فيهما من ثقل، إذا كانت الكلمة الموقوف عليها متحركة منونة أو غير منونة، فإن القاعدة تقول أن الوقف عليها يكون بالسكون باستثناء المنون المنصوب فإن له حكما خاصا به، فمثال المنون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (2)، وفي قوله أيضا: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (3).

فالوقف يكون بالسكون أثناء القراءة على الكلمات الأخيرة المنونة (رَحِيمٌ) و(وَاقِعٌ)، ومثال غير المنون قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (4)، وقوله أيضا: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (5)، فالوقف يكون بالسكون على (الْقُلُوبُ) و(الْبِلَادِ).

ولبعض القراء طريقة الإشارة للوقوف على ما كان آخره ضمة أو كسرة للدلالة على كيفية الحركة في الوصل والبيان، والإشارة على ضربين:

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 93/2.

(2) - سورة البقرة - الآية: 173.

(3) - سورة المعارج - الآية: 1.

(4) - سورة الرعد - الآية: 28.

(5) - سورة آل عمران - الآية: 196.

تكون رومًا، وتكون إشمًا، فالروم أتم من الإشم، وعلى قول النحاة يدخل على الفتح كما يدخل على الضم والكسر لأن الروم عندهم إخفاء الحركة⁽¹⁾.

قال المهدي: "فمعنى الروم إضعاف الصوت بالحركة وذهاب معظمها والنطق ببعضها، فهو يسمع ويستوي فيه الأعمى والبصير وهو يقع في المرفوع والمخفوض عند القراء، ويقع في المفتوح عند النحويين"⁽²⁾.

ونحن في هذا الشأن نكتفي بإعطاء مفهوم الروم عند القراء فقط دون الولوج في مناقشة الرأيين.

3- الإشمام: هو الإشارة بالشفتين إلى الضمة من غير تصويت⁽³⁾، ويقول أبو علي: "وذلك أن الإشمام عند النحويين ليس بصوت... وإنما هو تهئية العضو لإخراج الصوت الذي هو الضم ليدل عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"⁽⁴⁾. ويستخدم العرب من الروم والإشمام ثلاثة أشياء:

الأول: صوتي، وذكره سيويه: "وهو أنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال"⁽⁵⁾.

(1)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 93/2.

(2)- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات - د. عبد البديع النيرباني - ص 201.

(3)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 93/2. وذكر نصر ابن علي الشيرازي (ابن أبي مريم) في كتابه (الموضح) أن الكوفيين ومن تابعهم إلى أن الإشمام هو الصوت وهو الذي يسمع لأنه عندهم بعض حركة، والروم هو الذي لا يسمع لأنه روم الحركة من غير تفوه به (النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 93/2).

(4)- الحجة للقراء السبعة: أبو علي فارسي - 212/1.

(5)- الكتاب: سيويه - 168/4.

والثاني: دلالي وفيه قال ابن جنّي: "...لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحرّكاً، ألا تراك تفصل به بين المذكر والمؤنث في الوقف، أنت وأنت، فلولا أنّ هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"⁽¹⁾.

الثالث: تعليمي ولقد أطل فيه ابن الجزري: "وهو بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه، ليظهر للسامع أو للناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها"⁽²⁾.

ونقرأ لغانم قدوري في قوله عن الإشمام والروم: "وكان بعض القراء يقف على ما آخره ضمة أو كسرة بالروم، وهو الإتيان ببعض الحركة، وعلى ما كان آخره ضمة بالإشمام، وهو ضمّ الشفتين بعد الإسكان، إشارة إلى الضمة من غير تصويت ونجده يحتّم قوله بـ: ولا نجد القراء الذين يقرؤون بقراءة عاصم اليوم يأخذون بشيء من ذلك"⁽³⁾.

فهو يأخذ برأي بعض المحدثين ممن أنكر أن يكون الوقف بالروم أو الإشمام من سنن العربيّة، بل استخدموه كوسيلة تعليمية لجأ إليها القراء حرصاً على سلامة الأداء وعلى الأمانة فيه، ثم أخذوا النحاة عنهم على أنّه أسلوب عام في العربيّة⁽⁴⁾.

الوقف على المنون المنصوب بالألف: "إذا كانت الكلمة الموقوف عليها منوّنة منصوبة حذفت التنوين ووقفت عليها بالألف، إلا إذا كان آخر الكلمة

(1) - الخصائص: ابن جنّي - 328/2.

(2) - التشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 96/2.

(3) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: د.غانم قدوري - ص 161.

(4) - أسرار اللّغة: د.إبراهيم أنيس - ص 222-223.

تاء التأنيث فإن التنوين يحذف ويوقف على الكلمة بالهاء الساكنة بدل التاء مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾⁽¹⁾،⁽²⁾.

يقول ابن جنّي: "فكل اسم منصرف وقفت عليه في النصب أبدلت من تنوينه ألفا..."⁽³⁾، ومثال ما يوقف عليه بالهاء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾⁽⁴⁾، ويقول ابن جنّي أيضا في هذا: "...إلا أن يكون حرف إعراب ذلك الاسم تاء التأنيث التي تبدل في الوقف هاء وذلك قولك: أكلت تمره وأخذت جوزه..."⁽⁵⁾.

وإذا كانت التاء من أصل الكلمة ولم تكن للتأنيث وجاءت منونة منصوبة فإن الوقف عليها يكون بالألف على قاعدة الوقف على المنون المنصوب مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽⁶⁾، وفي مثل قوله أيضا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾، وإذا كانت التاء تاء التأنيث الساكنة التي تلحق آخر الفعل الماضي فإنها يوقف عليها بالتاء، كما هي في الوصل وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾⁽⁸⁾.

(1) - سورة النبأ- الآية: 6-7.

(2) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري- ص161.

(3) - سر صناعة الإعراب: ابن جنّي - 438/2.

(4) - سورة النازعات- الآية: 6-9.

(5) - سر صناعة الإعراب: ابن جنّي - 685/2.

(6) - سورة آل عمران- الآية: 169.

(7) - سورة العنكبوت- الآية: 41.

(8) - سورة الانشقاق- الآية: 1-2.

الوقف على التضعيف (أو الحرف المشدّد): الوقف على الحرف المشدّد

يقتضي عناية كبيرة من القارئ وذلك بالضغط على مخرجه ليستوفي حقه من النطق وعلى هذا الأساس حرص القراء على تنبيه المجوّدين للقرآن إلى ذلك، كقول مكّي بن أبي طالب: "اعلم أنّ الوقف على الحرف المشدّد فيه صعوبة على اللسان لاجتماع ساكنين في الوقف غير منفصلين كأنه حرف واحد، فلا بدّ من إظهار التشديد في الوقف في اللفظ، وتمكين ذلك حتى يظهر في السمع التشديد نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾، وقوله أيضا: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾⁽²⁾، وشبهه تُطلب كمال التشديد في الحرف الذي تقف عليه من هذا النوع، وتقف على ساكن قبله ساكن غير منفصل عنه"⁽³⁾، وقال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽⁴⁾، ينبغي التحفظ من تحريكه، كما يحذر مكّي من المبالغة في نطق الصوت المشدّد ولا سيما في بعض الأصوات المشددة مثل: الراء التي ينبغي الحذر من إطلاق طرف اللسان في مخرجها⁽⁵⁾ من مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾⁽⁶⁾.

(1) - سورة السجدة - الآية: 4.

(2) - سورة الشورى - الآية: 45.

(3) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: القيسي مكّي بن أبي طالب - ص 233.

(4) - سورة العصر - الآية: 1-3.

(5) - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ بتلاوة: المصدر السابق - ص 233.

(6) - سورة القيامة - الآية: 10-12.

قواعد الرسم وأثرها في الوقف:

تاء التأنيث: "هي في الوصل تاء، وفي الوقف هاء، فرسمت على صورتها في الأسماء التي تلحق بها في عدد من المواضع خاصة إذا كانت الكلمة التي هي فيها مضافة إلى ما بعدها مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، وقول أيضا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽²⁾، واحتج لهدين الرسمين أبو بكر بن الأنباري بقوله أن المواضع التي يوقف عليها بالهاء الحجة فيها أتباع المصحف، وإنما كتبوها في المصحف بالهاء، لأنهم بنوا الخط على الوقف، والمواضع التي كتبوها بالتاء، الحجة فيها أنهم بنوا الخط على الوصل⁽³⁾.

الياءات المحذوفة: "لم يرسم في خط المصحف عدد من الياءات التي هي في الأصل ملفوظ بها وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿الدَّاعِ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله أيضا: ﴿فَارْهَبُونَ﴾⁽⁵⁾، وقد كان عاصم في رواية حفص يحذف الياء وصلًا ووقفًا أتباعًا لخط المصحف إلا في قوله تعالى: ﴿أَتَمِدُّونَ﴾⁽⁶⁾، فالياء غير مرسومة في المصحف لكن عاصم قرأها بياء مفتوحة في الوصل وياء ساكنة في الوقف⁽⁷⁾.

(1) - سورة الأعراف - الآية: 56.

(2) - سورة آل عمران - الآية 103.

(3) - الوقف في العربية على ضوء اللسانيات: عبد البديع النيرباني - ص 192.

(4) - سورة البقرة - الآية: 186.

(5) - سورة البقرة - الآية: 40.

(6) - سورة النمل - الآية: 36.

(7) - ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 164.

هاء الكناية: "ويقال لها هاء الضمير، وتكون للمفرد ولا تكون مفتوحة أبداً، تُضمُّ أو تكسرُ بحسب ما يجاورها من أصوات، ومما يوجبه أهل التجويد على القارئ أن يقف عليها بالسكون سواء كانت متحركة أم ساكنة، وسواء كانت حركتها مشبعة مثل (لَهُ و) و(شِرابُهُ و) و(لصاحبه ي) أم لم تكن مثل (مَنْهُ) و(فِيهِ) وإنما تُشبع حركة هذه الهاء إذا لم يكن ما قبلها ساكناً، فإن كان ساكناً كانت الحركة مختلصة"⁽¹⁾.

الهمزة: نوعان: همزة الوصل، وهمزة القطع.

همزة الوصل: "وهي الهمزة التي تزداد في أول عدد من الكلمات التي تبدأ بحرف ساكن، ليتوصل اللسان إلى النطق بالساكن، وهي تُنطق في بدء الكلام وتسقط في دَرَج الكلام، وعلامتها في الكتابة رأس صاد صغيرة توضع فوق الألف هكذا (صـ) وتكون في:

1- الفعل الماضي إذا تجاوزت عدته أربعة أحرف: نحو انطلق واستغفر.

2- فعل الأمر من كل فعل انْفَتَح فيه حرف المضارعة: نحو اضْرِبْ وانْطَلِقْ.

3- مصادر الأفعال التي في أول ماضيها همزة الوصل نحو: انطلق واستغفار.

4- أول عدد من الأسماء مثل: اسم وابن وابنة وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان.

5- أل التي هي للتعريف نحو: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"⁽²⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 166.

(2) - المرجع نفسه - ص: 166.

الألف المزيد في الرسم: قال المرعشي: "ثم اعلم أنه قد يلحق الكلمة ألف في الوقف بدون أن يكون بدلاً من شيء، وذلك عند حفص في سبعة مواضع:

- 1- (أنا) للمتكلم وحده حيث وقع، وافقه فيه جميع القراء.
- 2- ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾⁽¹⁾، وافقه أيضا جميع القراء.
- 3- 4- 5- من قوله تعالى: ﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ و﴿السَّيِّلَا﴾⁽²⁾، وأثبت ابن كثير وحفص الألف في هذه المواضع في الوقف وحذفها في الوصل، والباقون منهم من أثبتها في الحالين ومنهم من حذفها في الحالين.
- 6- ﴿سَلَسِيلَا﴾⁽³⁾، لم ينوّه حفص في الوصل ووقف عليه بالألف في رواية، وبلا ألف بإسكان الآرم في رواية أخرى.
- 7- ﴿قَوَارِيرَا﴾⁽⁴⁾، لم ينوّه حفص في الوصل، ووقف عليه بالألف، وهو مرسوم بالألف في جميع المصاحف، وأما قوله ﴿قَوَارِيرَا﴾⁽⁵⁾، فلم ينوّه أيضا في الوصل ووقف عليه بلا ألف بإسكان الرءاء، وهو في بعض المصاحف مرسوم بألف وفي بعضها بدون ألف، ومن القراء من نوّن (قواريرا) في الموضعين في الوصل ووقف عليها بالألف⁽⁶⁾.

(1)- سورة الكهف- الآية: 38.

(2)- سورة الأحزاب- الآيات: 10، 66، 67.

(3)- سورة الإنسان- الآية: 4.

(4)- سورة الإنسان- الآية: 15.

(5)- سورة الإنسان- الآية: 16.

(6)- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري- ص164-165.

همزة القطع: "وهي التي تكون في أول الكلمات (ومثلها التي تكون في وسطها أو آخرها)، وتكون أصلية وزائدة، ولا تسقط في الوقف ولا في الوصل وعلامتها رأس عين توضع على أحد حروف العلة الثلاثة (أ، و، ي) أو توضع مفردة على السطر، وهي تكون فيما عدا المواضع التي تأتي فيها همزة الوصل وذلك في نحو: أخذ، سأل، قرأ، أكرم، إكرام، دعاء، صحراء، قائل، سائل...، ويؤكد علماء التجويد على القارئ إثبات نطق همزة القطع في جميع مواقعها بخلاف همزة الوصل التي تنطق في البداية إذا لم تسبق بشيء، وتسقط إذا جاءت في الكلام المتصل"⁽¹⁾.

3-8 علاقة النبر والتنغيم بالوقف:

يقول العالم اللساني أندريه مارتينييه: "ظاهرة النبر والتنغيم تعود إلى الإنجاز النطقي للكلام، وهي ليست فونيمات صوتية لأنها لا تخضع للتقطيع الثانوي"^(*) (2).

كما تعرف بfenولوجيا التطريز الصوتي، أو الفونيمات الثانوية أو فونيمات ما فوق التركيب، وكان أندريه مارتينييه قد بين أن هذه الظواهر لا تؤدي وظيفتها في اللغة خلال وجودها أو غيابها عند نقطة معينة في الكلام بل من خلال أشكال ظهورها فيه⁽³⁾.

(1) - علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري - ص 167.

(*) - يقصد أندريه مارتينييه بالتقطيع الثانوي هو تقطيع الكلمة إلى أصوات.

(2) - مبادئ اللسانيات العامة: أندريه مارتينييه - ترجمة أحمد حمو - وزارة التعليم العالي - دمشق - 1984 - ص 76.

(3) - علم اللغة العام الأصوات: كمال بشر - ص 62.

تعريف النبر: يعرفه تمام حسان بقوله: "هو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام"⁽¹⁾. إنَّ توزع النبر في العربية مرتبطا بالبنية المقطعية والوقف كما هو معلوم يغير من تلك البنية المقطعية وفي هذه الحال فإنَّ الوقف قد يرافقه الانتقال في النبر، فمثلا النبر في ك من (علمك) و(لن يصل) و(أكرمك) في حالة الوصل يكون النبر على (ل) و(ي) و(ن) على هذا الترتيب، وفي الوقف بالسكون يكون على (عل) و(لن) و(أك) بانتقال موضوع النبر انتقالا خلفيا، وقد لا يؤثر الوقف في النبر شيئا مثل (مستفهم) فإنَّ النبر فيها يكون على المقطع تف في الوصل والوقف سواء⁽²⁾.

تعريف ومنشأ التنغيم: "يطلق التنغيم على منحى الجملة اللحي"⁽³⁾، وهو "ينشأ عن الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت في أثناء الكلام"⁽⁴⁾.
للتنغيم في الوقف شكلين: نغمة هابطة، ونغمة مسطحة.

الشكل الأول نغمة هابطة: وتتحقق عندما يكون الوقف على تمام المعنى ومردّه أن أعضاء النطق تفتت عندما يقترب الكلام من نهايته، يقول أندريه مارتينييه: "فالخصائص الفيزيولوجية لأعضاء النطق تثير عادة ارتفاعا في الطبقة الصوتية عند بداية الكلام وذلك نتيجة لازدياد التوتر يتبعه انخفاض في الطبقة

(1) - مناهج البحث في اللغة: تمام حسان - ص 194.

(2) - ينظر: الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - ص 258.

(3) - مدخل إلى الألسنية: يوسف غازي - منشورات العالم العربي الجامعية - دمشق - ط 1 - 1985 - ص 153.

(4) - علم اللغة: محمود السّعران - ص 192.

الصوتية في أواخر الكلام نتيجة لزوال ذلك التوتّر تدريجياً، فإذا لم يحدث ذلك الانخفاض في الطبقة الصوتية توهم السامع أنّ الكلام لم يصل إلى نهايته⁽¹⁾.

الشكل الثاني نغمة مسطّحة: وذلك عندما يكون الوقف قبل تمام المعنى

كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ

الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيّنَ الْمَفْرُوقِ﴾⁽²⁾، فالوقف على البصر والقمر أوّلاً والقمر ثانياً وقف

على معنى لم يتم، فتظلّ نغمة الكلام مسطّحة دون صعود أو هبوط، أمّا الوقف

عند المفرّ فالنغمة فيه هابطة، لأنّه وقف عند تمام معنى الاستفهام⁽³⁾.

(1) - مبادئ اللسانيات العامة: أندريه مارتينييه - ص 230.

(2) - سورة القيامة - الآية: 7-10.

(3) - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها - تمام حسّان - الهيئة المصرية للكتاب - مصر - ط2 - 1979 -

المباجج الثاني

علل المستثنيات في علم التجويد

الفصل الأول: الاستثناء في قواعد اللغة العربية.

الفصل الثاني: الاستثناء في الأحكام الشرعية.

الفصل الثالث: حقائق المستثنيات اللغوية في علم التجويد.

المفصل الأول

الاستثناء في قواعد اللغة العربية

1- تعريف الاستثناء لغة واصطلاحاً.

2- الاستثناء في النحو.

3- الاستثناء في اللهجات العربية الفصيحة.

1- تعريف الاستثناء لغة واصطلاحاً:

1-1 لغة:

قال الجوهري: "الثنيا بالضم: الاسم من الاستثناء وكذلك الثنوى بالفتح، وثنيت الشيء ثنياً: عطفته؛ أي كَفَّه"⁽¹⁾. وفي معجم اللسان: "الفعل من المصدر الاستثناء استثنيت الشيء من الشيء: حَاشَيْتُهُ، وَالثَّنِيَّةُ: مَا اسْتُثِنِي، وَرُوي عن كعب أَنَّهُ قَالَ: الشُّهَدَاءُ ثَنِيَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ؛ يَعْنِي مِنْ اسْتِثْنَاهُ مِنَ الصَّعَقَةِ الْأُولَى، وَحَلْفَةٌ غَيْرُ ذَاتِ مَثْنَوِيَّةٍ أَي غَيْرُ مُحَلَّلَةٍ، يُقَالُ: حَلَفَ فُلَانٌ يَمِينًا لَيْسَ فِيهِ ثَنِيًّا وَلَا ثَنَوِيًّا وَلَا ثَنِيَّةً وَلَا مَثْنَوِيَّةً وَلَا اسْتِثْنَاءً كُلَّهُ وَاحِدًا. وَأَصْلُ هَذَا كُلُّهُ مِنْ الثَّنِي وَالْكَفِّ وَالرَّدِّ وَالثَّنْوَةِ: الْاسْتِثْنَاءُ، وَالثَّنِيَّةُ وَالثَّنَوِيَّةُ: مَاسْتِثْنِيَّةٌ: قُلْتُ يَاؤُهُ وَآوًا لِلتَّصْرِيفِ وَتَعْوِيضِ الْوَائِي مِنْ كَثْرِ دُخُولِ الْيَاءِ عَلَيْهَا وَالْفَرْقُ أَيْضًا بَيْنَ الْأَسْمِ وَالصَّفَةِ"⁽²⁾. يقول ابن فارس: "الثاء والتون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك: ثنيت الشيء ثنياً، ومعنى الاستثناء يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل لأنك إذا قلت خرج الناس ففي الناس زيد وعمرو، فإذا قلت (إلا زيدا) فقد ذكرت به زيدا مرة أخرى ذكراً ظاهراً"⁽³⁾.

(1)- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري- (مادة ث ن ي)- 55/6.

(2)- لسان العرب: ابن منظور- مج 14- ص 124-125.

(3)- مقاييس اللغة: ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس الرّازي)- تحقيق عبد السلام هارون- دار

الجيل- بيروت- المجلد 1- ط 1- 1411هـ- 1991- ص 332.

2-1 في تحقيق اشتقاقه:

"الثنيا والثنوى اسمان للاستثناء مشتقان منه بالاشتقاق الأكبر دون الأصغر، أما الاستثناء فهو مصدر في نفسه تقول: استثنى يستثنى استثناء، كما تقول: استخرج يستخرج استخراجاً. وإذا كان مصدرًا والمصادرة جامدة أسماء أجناس أصول يُشتقُّ فيها ولا تُشتقُّ على رأي البصريين، أما عند الكوفيين فهي مُشتقة من الأفعال"⁽¹⁾. "وهو استفعال من الثني يُقال: ثنا عنان فرسه إذا منعه عن المضي في الصوب الذي هو مُتجه إليه"⁽²⁾.

3-1 اصطلاحاً:

عرّفه عدّة من العلماء ومن تعريفاتهم مايلي: "هو الإخراج من مُتعدّد بيلاً وأخواتها، هو ماد دلّ على مخالفة للحكم السابق بيلاً وأخواتها وهو المنع عن دخول بعض ما تناوله صدر الكلام في حكمه بيلاً وأخواتها وهو الإخراج من مُتعدّد بيلاً وأخواتها وكذلك هو إخراج للشيء المُستثنى ممّا أخبر به المخبر عن الجملة المُستثنى منها، وهو عبارة عن لفظ متّصل بجملة لا يستقلّ بنفسه دالّ بحرف إلاّ أو أخواتها، على أنّ مدلوله غير مراد ممّا اتّصل به ليس بشرط ولا صفة ولا غاية"⁽³⁾.

(1) - الاستغناء في الاستثناء: القرافي (شهاب الدّين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان) (ت. 684) - تحقيق

محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان - د.ت - ص 19-20.

(2) - الاستغناء في الفرق والاستثناء: البكري (محمد بن أبي سليمان) - تحقيق مسعود بن سعد بن مساعد

الشيبي - جامعة أمّ القرى - مكّة المكرّمة - 1988 - ص 83.

(3) - المصدر نفسه - ص 23-24.

نجد هذه التعريفات تشترك في أن الاستثناء هو إخراج للمستثنى مما أخبر به عن المستثنى منه وإن اختلفت بعض عباراتها، كما نشأ الاستثناء في كلام العرب نثره وشعره وفي القرآن الكريم⁽¹⁾.

2- الاستثناء في النحو:

يعرّف النحويون الاستثناء بقولهم: "هو إخراج بعض من كل بمعنى إلاّ مثل جاءني القوم إلاّ زيدا"⁽²⁾. فالاستثناء إذا هو الإخراج بإلاّ أو إحدى أحواتها لما كان داخلاً في الحكم السابق عليها.

معنى الإخراج إنّما يأتي على قول ما يجعله عاملاً بطريق المعارضة إذ الإخراج لا يتحقق إلاّ بعد الدخول...، ويرى النحاة أن الاستثناء هو أن نفى عن الثاني ما ثبت على الأوّل من حكم⁽³⁾.

أما ابن يعيش يرى: "إنّ أصل الاستثناء يقوم بإلاّ ويكون من حكم الجملة الاسمية والفعلية، فمثلاً من حكم الجملة الاسمية كلّكم مرضى إلاّ الأب، ومن حكم الجملة الفعلية سافرت الأسرة إلاّ الأب فقد أخرج الأب من حكم الجملتين"⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: الاستثناء في الفرق والاستثناء: البكري - ص 24-25.

(2) - أسرار العربية: الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد) - تحقيق محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار - دار البشائر - دمشق - ط 2 - 2004 - ص 188.

(3) - البحر المحيط: الزركشي - تحقيق لجنة من علماء الأزهر - دار الكتيبي - القاهرة - مجلد 2 - ط 3 - 2005 - ص 368.

(4) - مفاتيح اللغة الغربية: بوعلام بن حمودة - ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون - الجزائر - د. ط - 1991 - ص 3.

2-1-1 شروط المستثنى:

- الاستثناء التام: مثل: وقف الرجالُ إلا زيدا؛ فالمستثنى منه مذكوراً.
- الاستثناء المتصل: يكون المستثنى متصلاً بالمستثنى منه في الجنسية أي يكون بعضاً منه كزيد في المثال السابق وهو أحد الرجال.
- الاستثناء المنقطع: وهو ما كان في المستثنى أجنبياً أي من غير جنس مُستثنى منه كالتعلب بالنسبة إلى الرجال، والمتصل هو الأصل وهو الشائع في الاستعمال بخلاف المنقطع فإنه نادر.
- الاستثناء الموجب: إذا كانت جملة الاستثناء قبل إلا وأحوالها خالية من نفي أو شبهه (أي الاستفهام الإنكاري والنهي) كان الاستثناء موجباً مثل: جاء القومُ إلا زيدا؛ استثناء موجب، وهناك استثناء غير موجب مثل: ما جاءني قومٌ إلا زيدا.
- الاستثناء المفرغ: إذا حذف المستثنى منه من جملة الاستثناء وكانت تلك الجملة غير موجبة كان الاستثناء مفرغاً مثل: ما جاءني إلا زيدٌ وما شاهدتُ إلا زيدا، وما سلّمتُ إلا على زيد؛ أي دلالة هذه الجملة هي ما جاء أحدٌ إلا زيدا، وما شاهدتُ أحداً إلا زيدا، وما سلّمتُ على أحدٍ إلا زيدا⁽¹⁾.

2-2 العامل في المستثنى:

- في الاستثناء المتصل: "اختلف الكوفيون في عامل المستثنى المتصل وهو التّصب مثل: قامَ القومُ إلا زيدا، فبعض منهم يرى أن العامل فيه (إلا) وهو المبرّد، وأبو إسحاق الزجاج وهما من البصريين، واحتجّ الفراء وهو من الكوفيين

(1) - شرح بن عقيل: تحقيق حنا الفاخوري - دار الجيل - بيروت - د. ط - د. ت - ج 1 - ص 460.

إلى أن (إلا) مركبة من إن ولا، ثم خففت إن وأدغمت في لا، فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارا بإن وعطفوا بها في النفي اعتبارا بلا، وحكي عن الكسائي أنه قال: إنما نصب المستثنى لأن تأويله قام القوم إلا أن زيدا لم يقم، وحكي عنه أيضا أنه قال: يُنتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول، أما البصريون ذهبوا إلى أن عامل النصب في المستثنى هو الفعل أو معنى الفعل بتوسط إلا⁽¹⁾.

ويستدل الكوفيون على أن إلا هي العامل لأنها قامت مقام الفعل (استثنى) في مثل قام القوم إلا زيدا بمعنى استثنى زيدا وقول استثنى زيدا وجب أن تنصب وكذلك مع ما قام مقامه حيث يستدلون على أن الفعل المتقدم لا يجوز أن يكون عاملا في المستثنى النصبية لأنه فعل لازم، والفعل اللازم لا يجوز أن يعمل في هذا النوع من الأسماء، فهذا يدل على أن العامل هو إلا، ومن حججهم أيضا في قولهم أن الذي يدل على أن الفعل ليس عاملا مثل قولهم: القوم إخوانك إلا زيدا فينصبون زيدا وليس ههنا فعل البتة، فهذا دليل على صحة ما ذهبوا إليه في أن العامل بالنصب في المستثنى هو أداة الاستثناء إلا.

ونرى أن الفراء قد تمسك بقوله أن المستثنى منصوب بإلا يعود إلى أن الأصل في إلا هو أن ولا فزيد اسم إن، ولا كفت عن الخبر لأن التأويل إن زيدا لم يقم، ثم خففت إن وأدغمت في لا وركبت معها، فصارتا حرفا واحدا ويمثل لذلك لما ركبت لو مع لا فصارتا حرفا واحدا، فلما ركبا إن مع لا أعمالهما عملين:

-عمل إن فنصبوا بها في الإيجاب.

(1) - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ابن الأنباري - المكتبة العصرية

بيروت - لبنان - د. ط - د. ت - ج 1 - ص 261.

- أمّا عمل لا فجعلوها عطفا في التّفي وصارت بمنزلة حتّى فإنّها لما شابهت حرفين إلّا والواو أجروها في العمل مجراها، فخفضوا بها بتأويل إلّا وجعلوها كالواو في العطف، لأنّ الفعل يحسن بعدها كما يحسن بعد الواو، ألا ترى أنّك تقول ضربت القوم حتى زيدا أي حتى ضربت زيدا، فكذلك ههنا إلّا لما ركبت من حرفين أجريت في العمل مجراها⁽¹⁾.

أمّا تعليل البصريين في قولهم أنّ العامل في النّصب هو الفعل وذلك لأنّه وإن كان لازما في الأصل إلّا أنّه قويّ بإلّا فتعدّى إلى المستثنى كما يتعدّى الفعل بحرف الجرّ، إلّا أنّ إلّا لا تعمل وإن كانت متعدّية كما يعمل حرف الجرّ لأنّ إلّا حرف يدخل على الاسم والفعل المضارع مثل: ما زيدٌ إلّا يقوم وما عمروٌ إلّا يذهبُ وإن لم يجر دخولُه على الفعل الماضي مثل ما زيدٌ إلّا قام وما عمروٌ إلّا ذهب، والحرف متى دخل على الاسم والفعل لم يعمل في واحد منهما وعدم العمل لا يدلّ على عمل التعدية ويستدلّون بقولهم ألا ترى أنّ الهمزة والتضعيف يعدّيان وليس عاملين ونظير ما نحن فيه نصبهم الاسم في باب المفعول معه مثل: استوى الماء والخشبة فإنّ الاسم نصب بالفعل المتقدّم بتقوية الواو حيث قوّت الفعل وأوصلته إلى الاسم فنصبه...⁽²⁾.

من خلال ما تقدّم يتبيّن أنّه اختلف في عامل النّصب في الاستثناء بين النحاة الكوفيين والبصريين فالفريق الذي يرى أنّ العامل هي إلّا نفسها لأنّ معناها الفعل استثنى، وقد ردّ ذلك بأنّه لو كان الأمر كذلك لوجب أن لا ينفكّ عن النّصب، والذي يرى أنّ إلّا مركّبة من إنّ ولا فالعامل إذا تمثّل في النّصب

(1) - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - ابن الأنباري - 262/1.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

يكون بياناً وإذا تمثّل قي الرّفْع يكون بلا وهذا ليس بشيء لأنّه غير مستقيم لفظاً ومعناً، أمّا اللفظ فإنّك لو لفضت به لم يستقم، وأمّا المعنى فعلى خلاف في ذلك؛ فعامل إنّ بعد إلاّ في قول الكسائي هي كأنّك قلت إلاّ أنّ زيّدا وهذا ليس بجيد لأنّ أنّ لا تضر، ولأنّه كان يجب أن تكون ناصبة أبداً.

والمذهب الصّحيح نمثّل له بالمثال التالي: جاء القومُ إلاّ زيّداً، لقد وقع زيّد فضلة وأوصل إليه في معنى الإخراج من جاء القومُ إلاّ فصار جاء القومُ بواسطة إلاّ فيزيد معنًى وهو معنًى الاستثناء - وهذا هو معنى العامل - وإذا لم يقع زيّد فضل صار أحد جزئي الجملة فيكون له حكمه من باب آخر غير باب الاستثناء⁽¹⁾.

فمثلاً المثال الآتي: ما ضربتُ إلاّ زيّداً، إنّ العامل هو الذي يكون له في المعمول (اقتضاء) وليس في (جاء) أو شبهه اقتضاء لمخرج منه، فإن قيل اقتضاؤه له كونه مخرجاّ ممّا نسب إليه قيل قد تقدّم أنّ النسبة إنّما حكم بها بعد الإخراج، وإلاّ تناقض فلا يليق بعد ذلك أن يقال إنّ في جاء اقتضاء للمخرج باعتبار الذي ذكر هذا أولاً، أما الأمر الثاني يتمثّل في أنّ بعض المسائل ليس فيها فعل مثل: القومُ إلاّ زيّداً إخوتك، فإن كان العامل هو الفعل بقيت هذه المسائل بغير عامل فالوجه أن يقال العامل هو الذي اقتضى المخرج منه، خلاصة القول من النحاة من يقول: إنّ الاسم المتعدّد الذي تناول المستثنى هو الذي يقتضي صحّة الإخراج منه فهو في المعنى العامل بواسطة إلاّ وهذا يشمل المواضع كلّها ويجد الفعل أو لم يوجد⁽²⁾.

(1) - الإيضاح في شرح المفصّل: ابن الحاجب يونس الدوني (ت. 646هـ) - تحقيق إبراهيم محمّد عبد

الله - دمشق - سوريا - ط1 - 2005 - ج1 - ص325-326.

(2) - الإيضاح في شرح المفصّل: الدوني - ص326.

- في الاستثناء المنقطع: "العامل في الاستثناء المنقطع هي إلا لأنها تعمل عمل لكنّ ولها خبر مقدّم على حسب المعنى المراد، يقول سيبويه: العامل في الاستثناء المنقطع ما قبل إلا من الكلام كما انتصب المتصل به" (1).

2-3 إعراب المستثنى:

يعرب المستثنى على خمسة أوجه:

الوجه الأول: يكون منصوباً أبداً وهو على ثلاثة أضرب منها: ما استثني بإلا من كلام موجب، احترازاً من كلام غير موجب ولكنه لم يحترز من الصفة وإن كان ما بعد إلا لا يكون منصوباً لقوله ما (استثنى) وإذا كان صفة لم يستثن بها مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (2)، لم يُقصد إخراج من الآلهة وإنما قصد الوصف، والآلهة على حالهم ولو قصد الإخراج بإلا لم يكن مستقيماً وكان بمثابة له عندي دراهم إلا درهماً فليس له حين إذ فائدة.

كذلك يكون المستثنى منصوباً بعد بعداً وخلاً وهي من أدوات الاستثناء، ولقد اختلف بعض النحاة في نصب أو جرّ المستثنى منه بعد خلا وبعداً، فسيبويه مثلاً لم يذكر الجرّ بعد خلا وبعداً حيث يقول: "يقول بعض العرب: ما أتاني القوم خلاً عبداً لله فيجعل خلاً بمتزلة حشاً" (3).

وفي هذا الشأن يقول الرضي: "قال السيرفي: لم أر أحداً ذكر الجرّ بعد عداً إلا الأخفش فإنه قرنها في بعض ما ذكره بخلاً بجواز الجرّ بها، وقال: ما أعلم خلافاً في جواز الجرّ بخلاً إلا أن النصب بها أكثر" (4).

(1)- الكتاب: سيبويه - 319/2.

(2)- سورة الأنبياء - الآية: 22.

(3)- الكتاب: المصدر السابق - 349/2-350.

(4)- شرح الكافية: الرضي الأسترابادي - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ط - د.ت - ج1 - ص229.

وينصب المستثنى منه بعداً على اعتبارها فعلاً أضر فيها فاعلها أي فاعلها ضميراً مستتراً وتشبه في هذه الحالة بليس التي يُضمر فيها فاعلها ويقدر الكلام من المثال عدّاً بعضهم زيدا أي جانب بعضهم وفي هذه الحالة لا تقدر عدّاً حرفاً كإلا للزوم النصب فيها كما يلزم النصب في ليس. وفي حالة حول ما عل عدّاً وخلا أي نقول ما عدّاً وما خلا فلا يكون إلا النصب إلا بعدها، لأن في هذه الحالة يجب تقديرها فعلاً. حرف ما لا تكون موصولة فيقدر بعدها الجار ويجب أن تكون ما المصدرية، وعلى هذا الأساس تكون عدّاً فعلاً لأن ما المصدرية لا يليها إلا الفعل ولا يصح أن تكون موصولة لأن الموصولة موضوعة للصفة والموصوف جميعاً، وههنا ذكر الاسم فليس موضع ما مثلاً "اشتريت الكتاب الذي تعلم ولا يجوز اشتريت الكتاب ما تعلم"⁽¹⁾.

لو كانت عدّاً وخلا بمعنى الذي لصح أن يقع موضعاً من مثل: جاء القوم، لأنها لمن يعقل، لو كانت بمعنى الذي لوجب أن يكون في الفعل ضمير يعود عليها، والضمير ضمير بعض القوم، أمّا كونها ليست من الأوجه الباقية فالضمير ظاهر، فالتقدير يكون على الشكل الآتي: "جاء القوم خلّوهم من زيد"، حيث جاء هذا التقدير لما لم يكن ثم مقتض للمصدر⁽²⁾.

وفي هذا القسم يكون المستثنى منصوباً أبداً بشرط أن يتقدم بعض الجملة كقولك: ما جاءني إلا أخالك أحدٌ لأنه كالمفعول معه عند المحققين فكما لا يتقدم المفعول معه كذلك ههنا.

(1) - ينظر: الإيضاح في شرح المفصل: الدوني - 328/1.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

أمّا ما يختصّ بالاستثناء المنقطع وهو أن يكون منصوباً أبداً، وكلّ لفظ من ألفاظ الاستثناء لم يرد به إخراج سواء كان من الجنس الأوّل أو من غير جنسه مثل: "جاء القوم إلاّ زيداً"، وزيدٌ ليس من القوم كان منقطعاً وكذلك "ما جاء القوم إلاّ زيداً" حيث لم يجوز إلاّ النَّصب على مذهب أهل الحجاز، ولقد استشهدوا بقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾⁽¹⁾، وهذه الآية تحمل أربعة أوجه أحدهما وهو المشهور لا معصوم إلاّ الراحم وهو الشائع، والأوجه الأخرى اثنان منهما متّصل وقد قيل بهما، وواحد منقطع وهو لا عاصمٍ إلاّ المرحوم ولم يقل به ولو قيل به لم يكن بعيداً⁽²⁾.

الوجه الثاني: إعراب ما استثنى بإلاً من غير موجب مثل: ما ضربتُ إلاّ زيداً، فإنّ المستثنى هنا من كلام غير موجب، وكان الاتّفاق على أنّه مفعول وأيضاً فإنّ البدلية لا تستقيم فيه إذ شرط المبدل منه أن يكون مذكوراً، والاختيار يكون للمبدل لأنّ النَّصب على الاستثناء في عقلية العامل فيه إشكال، فإذا أمكن غيره من الواضح كان أولى ووزنه وزن المفعول معه فإنّه إذا أمكن غيره كن أولى مثلاً: "ما لزيد وعمر أحسن من وعمرًا"، ومالك وعمرًا حيث تعدّل العطف رجع إليه وعليه، نصّ القاعدة كالاتي: لا ينبغي أن يصار إلى الاستثناء إلاّ عند تعذر البدلية، ولنشرح هذا القول نمثّل بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾⁽³⁾، فيمن قرأ بنصب المستثنى من قوله تعالى:

(1) - سورة هود- الآية: 11.

(2) - الإيضاح في شرح المفصل: الدوني - 329/1.

(3) - سورة هود- الآية: 81.

﴿فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ﴾⁽¹⁾، فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ بِالرَّفْعِ تَكُونُ مَحْمُولَةً عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: "وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ"، أَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالنَّصْبِ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَوْجِبِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ وَهَذَا تَفْصِيلٌ بَاطِلٌ لِأَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ ثَابِتَتَانِ قِطْعًا فَيَمْتَنَعُ حَمَلُهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

- فهو إما أن يكون سرى بها أو ما سرى بها، فإن كان قد سرى بها فليس مستثنى إلا من قوله (وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ) وإن كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ، فقد ثبت أن أحد التأويلين باطل فلا يصار إليه في إحدى القراءتين الثابتتين قطعاً، والأولى من هذا أن يكون إلا امرأتك في الرفع والنصب مثل قوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾⁽²⁾، ولا بعد أن يكون أقلّ القراء على الوجه الأقوى وأكثرهم على الوجه الذي دونه بل قد التزم بعض الناس أنه يجوز أن يجمع القراء على قراءة غير الأقوى⁽³⁾.

الوجه الثالث: وجوب الجرّ في المستثنى وهو أن يكون إما اسم وإما حرف، إن كان اسماً فما بعد غير وحاشا وسوى يكون المستثنى مضافاً إليه، وإن كان حرفاً أي حرف جرّ كعدا وخلا فما بعده مجرور به (المستثنى).

الوجه الرابع: يجوز فيه الرفع والجرّ وهو ما استثنى بلاسيما لكنّه لا ينبغي أن تكون لاسيما في الاستثناء لأن الاستثناء إخراج شيء من شيء وإثبات ضدّ الحكم له وهذا ليس من الاستثناء⁽⁴⁾.

(1) - سورة هود - الآية: 11.

(2) - سورة النساء - الآية: 66.

(3) - الإيضاح في شرح المفصل: الدوني - 329/1.

(4) - ينظر: الإيضاح في شرح المفصل - الدوني - 331/1.

الوجه الخامس: المستثنى بغير وسوى؛ استعمالاً بمعنى إلا في الدلالة على الاستثناء ألقاظ منها ما هو اسم وهي (غير وسوى - سوى - وسواء) ومنها ما هو فعل وهو ليس ولا يكون، ومنها ما يكون فعلاً وحرفاً وهو عدا وحلا وحاشا⁽¹⁾.

2-4 أدوات الاستثناء وإعرابها:

تعريف غير نحوياً: هي اسم وجب أن يكون لها إعراب، لما وقعت موقع إلا جعل إعرابها الإعراب الذي يكون على الاسم الذي يكون بعد إلا وجعل ما بعدها مخفوضاً أي مجروراً لأنها اسم يقبل لها الإضافة، وتعرب غير بما كان يعرب به المستثنى مع إلا مثلاً: "قام القوم غير زيد" بنصب غير وهي تشبه "قام القوم إلا زيداً" بنصب زيد، ما قام أحد غير زيد بالإتباع والتصب ولكن المختار هنا الإتباع مثل: "ما قام أحد إلا زيداً، وإلا زيداً" مثل: "ما قام غير زيد" فترفع غير وجوباً⁽²⁾.

نخلص إلى أن غير تقع موقع إلا في كثير من الأحوال، ولكن وقوع إلا موقع غير قليل، والعلّة في ذلك أن غير اسم والتصرف في الأسماء أكثر من التصرف في الحروف.

حالة سوى النحوية في جملة الاستثناء: اختلف النحاة القدامى في سوى فمثلاً "ذهب الخليل وسيبويه وجمهور البصريين إلى أنّها ظرف مكان وأنّها تلزم الظرفية ولا تخرج عنها مثل: قام القوم سوى زيد، فسوى عندهم منصوبة على

(1) - شرح ابن عقيل - 470/1.

(2) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

الظرفية وهي مشعرة بالاستثناء⁽¹⁾، أمّا الكوفيون "ذهبوا إلى أن أكثر استعمالها غير الظرف فتعامل معاملة غير من الرفع والتّصّب والجر"⁽²⁾.

ولنشرح ما كتبناه عن إلّا وغير نمثّل بالآية الكريمة التي يقول الله تعالى:
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾⁽³⁾، فإذا أضيفت غير إلى المعرفة فهي نكرة، فكيف جرت على المعرفة
صفة؟ وعلى هذا نجيب بأن غير إذا كانت في تقسيم حاضر كانت معرفة مثل
قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾، كذلك الآية التي يقول فيه الله تعالى:
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾⁽⁵⁾، رفع المستثنى وهو الله، أجازته المبرد
على البدل لأنّ لو في معنى التّفي لأنّ معنى هذا القول لو كان فيهما آلهة إلا الله
بمعنى ما فيهما آلهة إلا الله، فلمّا كان معناه التّفي جرى في البدل مجراه وهذا
ضعيف من النّاحية التالية:

- أنّه لو كان كذلك لجاز أن نقول لو كان فيهما آلهة إلا الله مثلما
نقول ما فيهما إلا الله لأنّه بمنزلة ولكن ليس الأمر كذلك.
- لا يجري التّفي المعنوي مجرى التّفي اللفظي ونمثّل على ذلك بالمثال
الآتي: "أبي القوم إلا زيداً" بالتّصّب، ولو كان التّفي المعنوي كالتّفي اللفظي
لجاز أن نقول: "أبي القوم إلا زيداً" وهذا أولى لأنّ التّفي محقق غير مقدّر فيه

(1)- الكتاب: سيويه - 31/1-32.

(2)- الإنصاف في مسائل الخلاف: ابن الأنباري - 298/1.

(3)- سورة النساء- الآية: 95.

(4)- سورة الفاتحة- الآية: 7.

(5)- سورة الأنبياء- الآية: 22.

إثبات، لكن مع الآية الكريمة وجود لو (للامتناع) فهو مقدر ما بعدها إثبات وإثما قدر فيه النفي لما كان الإثبات مقدرًا.

- لو كان على البدل لكان معناه معنى الاستثناء، ولو كان معناه معنى الاستثناء لجاز أن نقول إلا الله بالنصب وهذا لا يستقيم به المعنى، لأن الاستثناء إذا سكت عنه دخل ما بعده فيما قبله، فمثلا لا نقول "جاءني رجالٌ إلا زيدا"، فالمعنى لا يستقيم حيث لا يمكن أن نقول لو كان فيهما آلهة إلا الله بالنصب. ويفسر المبرّد هذه الآية من حيث رفع المستثنى بقوله إن اسم الله تعالى بدل من الآلهة، ويردّه أن البدل في باب الاستثناء مستثنى بموجب له الحكم، أمّا الأول فلأن الاستثناء إخراج وما قام أحد إلا زيد مفيد لإخراج زيد، أما الثاني فلاّنه كلّما صدق ما قام أحد إلا زيد (صدق) قام زيد، واسم الله هنا تعالى ليس مستثنى ولا موجب له الحكم.

أمّا الأولى لأنّ الجمع المنكر (نكرة) لا عموم له فيستثنى منه، ولأنّ المعنى يكون: لو كان فيهما آلهة مُستثنى منهم لفسدتا وذلك يقتضي أنّه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم يُفسدا وإثما المراد أنّ الفساد يترتب على تقدير التعدّد مطلقاً، وأمّا أنّ ليس بموجب له الحكم فلاّنه لو قيل لو كان فيهما الله لفسدتا وهذا غير لائق⁽¹⁾.

وهذا البحث يأتي في مثال سيبويه: "لو كان معنا رجل إلا زيداً لغلبنّا"، فرجل ليس بعام فيستثنى منه لأنّه لو قيل "لو كان معنا جماعة" مستثنى منهم زيد

(1)- المغني اللبيب عن كتب الأعراب: بن هشام الأنصاري- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- دار

الطلّاع- مصر- د.ط- د.ت- ص353.

لغلبنا، اقتضى "لو كان معهم جماعة فيهم زيد لم يغلبوا" وهذا إن كان صحيحا إلا أن المراد إنما هو أن زيدا وحده كاف⁽¹⁾.

حكم لا في الاستثناء: مثلا نقول "لا أحد فيها إلا عمرو"، يقول بعض النحاة إنما لم يصحّ الحمل على اللفظ لأنه يؤدي إلى تقدير دخول لا على المعرفة وهي لا تدخل عليها وهذا غير لائق، مثلا لو قيل لا إله إلا إله واحد لا يكون إلا مرفوعا فبطل تعليله بذلك، والوجه أن يقال إنما امتنع لأنه يؤدي إلى تقدير لا بعد إلا لأنّ البدل في حكم تكرير العامل والعامل في الأوّل (لا) يجب أن يكون في المبدل منه ولا يستقيم لفظا ولا معنى فإنّ (لا) لا يلفظ بها بعد إلا هذا في اللفظ، أما في المعنى فإنه يتناقض لأنّ إلا للإثبات ولا للنفي.

تقديم المستثنى على صفة المستثنى منه: يقول سيبويه في هذا الفصل من الاستثناء أنه فيه طريقتان:

أولا: وهو ما اختاره سيبويه أن لا تكثرث للصفة وتحمله على البدل، ويدلّ على صحّة مذهب سيبويه أنه غير مستثنى مما تأخر عنه فلم يجب النصب، والمثال الذي ساقه سيبويه وتبعه الزمخشري في كتابه المفصل هو "ما أتاني أحد إلا أبوك خير من زيد"، يشرح سيبويه ذلك بقوله أنه غير مستثنى مما تأخر عنه زيدا أنه لم يخرج إلا من الأحدين وهو متقدّم، وخير إنما جيئت لبيان المراد بالأحدين فتقديمه وتأخير (أي الخير) على حدّ واحد فوجب أن لا يكون مستثنى متقدّما.

ثانيا: وهو أن البدل مختار في كلّ كلام غير موجب، وهذا مستثنى من كلام غير موجب فوجب اختيار البدل، وبيانه هو ما جاءني أحد وإن سكت

(1) - المغني اللبيب عن كتب الأعراب: بن هشام الأنصاري - ص 353.

القائل كان كلاماً تاماً، والصفة ليست جزءاً من الكلام وإنما يقصد بها بيان المراد بالموصوف وإذا كان كذلك فهو مستثنى من كلام غير موجب فيجب اختيار الرفع فيه كما يجب فيما لم يوصف، أما من يخالف ذلك توهمه أن الصفة والموصوف امتزجتا في المعنى ودلتا على شيء واحد فكان تقديمه (المستثنى) على أحدهما كتقديمه عليهما فوجب التّصّب عنده⁽¹⁾.

تثنية المستثنى: مثل: "ما أتاني إلا زيدٌ إلا عمرًا"، نعي بثنية المستثنى تكرير المستثنى لا على الاصطلاح لأنّ حكم المستثنى المثني وغيره سواء، فمثلاً "ما أتاني إلا زيدٌ إلا عمرًا أو إلا عمرًا إلا زيدٌ"، يرفع الذي أسند إليه وينصب الآخر، فرفع أحد منهما واجب ونصب الآخر لأنّ التفرّغ لا يكون من جهة واحدة إلا لشيء واحد ولو رفع الآخر لكان مرفوعين من جهة واحدة وهو غير لائق، أمّا على الوجه الآخر فإن قيل: أرفعه على أن أبدلَ إلا عمرو من قول "ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ" من أحد الوجهين: منه زيدٌ فهو غير مستقيم من حيث لفظ التفرّغ لأنّ التفرّغ قد أخذ حقه فلم يبق إلا أن تقول ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ بمعنى ترك هؤلاء الإتيان فلذلك تعلل بقول صاحب المفصل لأنك لا تقول تركوني إلا عمرو فيتعرّض لموقع الشبهة، ويتبين أنه لو صرّحت بما هو معناه الذي يرجع إليه لم يكن إلا نصبا⁽²⁾.

بالنسبة للمثال الآتي: "ما أتاني عمرًا إلا بشرًا أحدٌ"، إن نصب أحدهما على أنه مقدّم على المستثنى منه ونصب الآخر على ما كان عليه لو كان متأخرًا، وهذا الثاني لما تقدّم ووضح لم يتعرّض له والذي نصب من أجل التقديم تعرّض

(1) - الكتاب: سيبويه - 336/2.

(2) - ينظر: المفصل - الزمخشري - ص 72.

له لأنه هو الذي حدث له النَّصْب في هذه المسألة من أجل التقديم، مثلاً لو قلنا: ما أتاني أحدٌ إلاَّ زيداً إلاَّ عمراً كان جائزاً أيضاً، ويكون عمرو بدلاً من قول أحدٍ إلاَّ زيداً، أمَّا المثال الآخر "ما أتاني إلاَّ زيداً أحدٌ إلاَّ بشرٌ" يجوز أن تجعل بشراً هو البدل وزيداً الاستثناء أو زيداً بدلاً، ثمَّ يقدِّم على المستثنى منه؛ فإنَّ قدر الأوَّل كان رفع بشر هو المختار ويكون القول إلاَّ زيداً استثناء من قولنا أحدٌ إلاَّ بشرٌ ويجوز النَّصْب أيضاً على الاستثناء، وإنَّ قدر الثاني نصب بشراً على الاستثناء لأنَّ الذي كان من المفترض أن يكون بدلاً قد قدَّم وهو زيد ويكون بشراً استثناء من أحدٍ منهم زيدٌ، أمَّا نصب زيدٍ فهو واضح⁽¹⁾.

حكم الصِّفة من المستثنى: مثلاً "ما مررتُ بأحدٍ إلاَّ زيدٌ خير منه" وهذا راجع إلى الاستثناء المفرغ باعتبار الصِّفات لأنَّ التفرغ جارٍ في الصِّفات وغيرها، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾⁽²⁾، والصِّفة قد تكون بالمفرد والجملة، وحكهماً واحد في الصِّحة فعلى هذا نقول "ما جاءني أحدٌ إلاَّ قائمٌ" و"ما جاءني أحدٌ إلاَّ أبوه قائمٌ"، وكلُّ ذلك صحيح.

إنَّ الاستثناء المفرغ معناه نفي الحكم عن كلِّ ما عدا المستثنى مثل: "ما جاني إلاَّ زيدٌ"، و"ما ضربتُ إلاَّ يومَ الجمعة"، ففي المثال الأوَّل نفي المجيء عن كلِّ واحد وثبت لزيد، وفي المثال الثاني نفي الضرب في جميع الأوقات وثبت في يوم الجمعة وهذا لا يجوز في الصِّفة مثلاً قولنا ما جاءني أحدٌ إلاَّ راكبٌ، لم يستقم أن ينفي جميع الصِّفات حتى لا يكون عالماً وحياً ممَّا لا يستقيم أن ينفكَّ عنه.

(1) - الإيضاح في شرح المفصل: الدوي - 338/1-339.

(2) - سورة الشعراء - الآية: 208.

إنَّ الصِّفَات لا يَنْتَفِي مِنْهَا إِلَّا مَا يُمْكِن انْتِفَاؤُهُ مِمَّا يَضَادُّ الْمَثْبُوتَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ جَمِيعَ الصِّفَاتِ لا يَصِحُّ انْتِفَاؤُهَا وَإِنَّمَا الْغَرَضُ نَفْيُ مَا ضَادُّ الْمَذْكُورِ بَعْدَ إِلَّا لَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَعْلُومًا، فَاغْتَفَرَ اسْتِعْمَالَهُ بِلَفْظِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ الْمَفِيدِ لِلْحَصْرِ هَذَا أَوَّلًا، أَمَّا ثَانِيًا هَذَا الْكَلَامُ يَرُدُّ جَوَابًا لِمَنْ يَنْفِي تِلْكَ الصِّفَّةَ فَيَجَابُ عَلَى قَصْدِ الْمُبَالَغَةِ وَالرَّدِّ جَوَابًا يَنْاقِضُ مَا قَالَهُ، وَالْغَرَضُ إِظْهَارُ إِثْبَاتِ تِلْكَ الصِّفَّةِ وَوَضُوحِهَا وَإِظْهَارِهَا دُونَ غَيْرِهَا⁽¹⁾.

والمثال الذي ساقه الرنخشري في كتابه المفصل وتكلم عنه ابن الحاجب وهو (جاعلة زيدا خيراً من جميع من مررت بهم) فهو كلام غير مستقيم، حيث أن ذلك مأخوذ من نفس خبر زيد لا من إلا لو قال زيدٌ خير من جميعهم كان ذلك ذا معنى مستفيداً منه وليس فيه إلا، وإنما معنى إلا إثبات هذه الصفة للأحدين دون غيرها على حسب الوجهين المتقدمين⁽²⁾.

2-5 موقع الفعل موقع المستثنى:

يقع الفعل موقع المستثنى في ألفاظ الحلف على سبيل الاستعطاف للاختصار كقولهم: "نشدتك بالله إلا فعلت". وفيه اختصارات أحدهما وضع الإثبات والمراد معنى النفي، والآخر وقوع الفعل موقع المصدر مثلاً: "نشدتك بالله" معناه ما أطلب وقوله: إلا فعلت معناه فعلك وجاز ذلك لأن باب القسم باب اتسع فيه الاختصار لكثرته في الكلام فجاز فيه ما لا يجوز في غيره⁽³⁾.

(1) - الإيضاح في شرح المفصل: ابن الدوني - ص 340.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

(3) - الإيضاح في شرح المفصل: ابن الدوني - ص 341.

2-6 حذف المستثنى:

يحذف المستثنى تخفيفاً عند قيام قرينة دالة على خصوصيات المستثنى المحذوف فمثلاً: "جاء القوم إلاّ" فهذا المثال غير جائز، أمّا في هذا المثال: "ضربتُ زيداً" ليس إلاّ فالكلام مستقيم فيه لأنّه قد تقدّم ما يشعر بالمستثنى المحذوف، لأنّ المعنى ليس المضروب إلاّ زيداً، وكذلك ليس غير فيها معنى ليس المضروب غير زيد؛ في ليس غير تكون مرفوعة فهو بناء لحذف المضاف إليه منها، فغير موضعها موضع النصب لتكون خبراً وليس لأنّ إعرابها يكون إعراب الاسم الواقع بعد إلاّ والاسم الواقع بعد إلاّ في هذه الحالة يكون بالنصب، فكذلك غير لما حذف مضافها بنيت بناء الغايات فلذلك ضمت (1).

بناءً على ما ذكرناه سابقاً إنّ الاستثناء في قواعد النحو أنّه أسلوب جار في كثير من كلام العرب وهو كما عرفه النحاة إخراج الشيء من الشيء، أمّا حدّه فقد جاء في كتاب (شرح الكافية) لابن الحاجب قوله: "المستثنى متّصل ومنقطع، فالمتّصل هو المخرج من متعدّد لفضاً وتقديراً بيلاً وأخواتها، والمنقطع هو المذكور بعداً غير مخرج" (2).

أمّا بالنسبة للعامل في المستثنى فلقد اختلف جمهور النحاة من البصريين والكوفيين فيه، فمنهم من يرى أنّ العامل هي إلاّ ولهم في ذلك حجج. كما أنّ للمستثنى أدوات غير إلاّ وهي: (غير، وسوى، وحاشا، وعدا.. الخ)، ومن ناحية إعرابه تحدّث النحاة عن خمسة أوجه، وفي نضبه أبداً بيلاً، وأخيراً استخلصنا للاستثناء خمسة مسائل تمثّلت في تقديم المستثنى على صفة المستثنى منه ثنية

(1) - الإيضاح في شرح المفصل: ابن الدوني - ص 343.

(2) - شرح الكافية: ابن الحاجب - 224/1.

المستثنى، الاستثناء المفرغ باعتبار الصفات موقع الفعل موقع المستثنى، حذف المستثنى تخفيفاً.

3- الاستثناء في اللهجات العربية الفصيحة:

من أهم اللهجات سيطرة على التراكيب اللسانية متنوّعة الأساليب الخطابية والقولية اللهجة الحجازية واللهجة التميمية التي تكاد الدراسات الحوية تعتمدهما كمدونة نصية رئيسية في إجراء عمليات الاستقراء ثم الاستنباط للظواهر اللسانية الكامنة فيها وعليه نجد للاستثناء حضور قويّ بأساليبه المتنوّعة في التراكيب اللهجية.

"فمثلاً الاستثناء المنقطع الذي يكون فيه المستثنى من جنس غير المستثنى منه كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾⁽¹⁾، فإنه يتعيّن النّصب عند جمهور العرب ولا يجوز عندهم الإتيان ولكنّ بني تميم يميزونه أي إتيانهم حسب ما قبله وهم بهذا لا يستعملون النّصب إلاّ في حالة واحدة من الحالات الثلاث، ويجزون هذا سواء أكان بعد نفي أو شبهه"⁽²⁾.

إنّ إتيان جمهور العرب للغة الحجاز في نصب الاستثناء المنقطع دليل على هيمنة التراكيب اللهجية الحجازية بقول سيبويه أنّ الناس يختارون النّصب في هذا الأسلوب بقوله: "وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك ما فيها أحد إلاّ حماراً، جاؤوا به على معنى ولكن حماراً، وكرهوا أن يبدّلوا الآخر من الأوّل فيصير كأنه من نوعه، فحمل على معنى ولكن عمل فيه عمل العشرين في

(1) - سورة النساء - الآية: 157.

(2) - الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة (دراسة لسانية في المدونة والتركيب): عبد الجليل مرتاض -

دار الغرب للنشر والتوزيع - ص 170.

درهم، أمّا بنو تميم فيقولون: لا أحد فيها إلّا حمارٌ، أرادوا فيها ليس فيها حمارٌ ولكنّه ذكر (أحد) توكيدا لأن يعلم أنّ ليس فيها آدمي ثمّ أبدل فكأنّه قال: ليس إلّا حماراً...»⁽¹⁾.

وعليه استشهد بنو تميم بقول النابغة الذبياني:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوتُ، وطال عليها السالف الأبدى
وقفتُ فيها أصيلانا أسائلها عيت جواباً وما بالربع من أحد
إلا أوارى لأياماً أيّنها والنّوي كالحوض بالمظلومة الجلد

رفع بنو تميم كلمة (أوارى) في لغتهم على أنّها استثناء منقطع لأنّ أحد ليس من جنس الأوارى ويقصدون بذلك ليس فيها الأوارى، أمّا أهل الحجاز ينصبون الكلمة (الأوارى) على لغتهم، وقد روي عن أبي عبيدة والأصمعي الأوارى بالضمّ ولما سأل الأصمعي أبا عمرو: لما رفعت الأوارى؟ فقال لأنّها من بعض الدار...⁽²⁾.

ولقد أورد سيبويه شواهد كثيرة من مثل هذه التراكيب اللهجيّة الموجودة في القرآن الكريم حيث يقول: وهذا الضرب في القرآن كثير، وكما أنّ هذا الضرب من التراكيب في القرآن كثير فهو في الشعر كثير.

ونلخص هذه المسألة في أنّ أهل الحجاز يجيئون النّصب إذا كان الاستثناء منقطعا وأمّا بنو تميم فإنّهم يجيزون فيه النّصب والإبدال، أمّا عن الاستثناء التام الذي يوجب فيه النّصب أهل النّحو وجوبا قاطعا في مثل قوله

(1) - الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة - عبد الجليل مرتاض - ص 171-172.

(2) - ينظر: المرجع نفسه - ص 172.

تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾⁽¹⁾، وردت بقراءة بن مسعود بالرفع إلا قليل منه، وكذلك مما جاء مرفوعاً في الاستثناء التام وحقه النصب حسب قاعدة النحاة قول أبي ذؤيب الهذلي:

على أطرقاً باليات الحيا م إلا الذمام وإلا العصي

رفع الشاعر كلمة العصي وهي من الاستثناء التام الذي يوجب فيه النصب، ولقد فسّر كثير من علماء اللغة هذه الاختلافات في هذه البنى السنتاكية وكان لهم في ذلك عدّة مذاهب وتآويل لا تمت بصلة بالواقع اللساني الذي ورد في تلك اللهجات الحجازية والتميمية، حيث لم تكن على حال واحدة بل كانت مختلفة اختلاف عادة كل تركيب لغوي⁽²⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 83.

(2) - ينظر: الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة - عبد الجليل مرتاض - ص 176-178.

المفصل الثاني

الاستثناء في الأحكام الشرعية

- 1- تعريف الاستثناء عند علماء الفقه.
- 2- شروط صحة الاستثناء عند الفقهاء.
- 3- مذاهب علماء الفقه في تقدير دلالة الاستثناء.
- 4- الاستثناء في المعاملات.

سبق وأن ذكرنا أن الاستثناء في كلام العرب من نثر وشعر وفي القرآن الكريم، ووجد بوجود القواعد الفقهية ونشأ مع نشأتها، ولعلّ في قول عمر رضي الله عنه: "أعرف الأمثال والأشباه ثمّ قس الأمور عندك إشارة إلى أنّ من الأمثال والأشباه ما يخالفها في الأحكام المدرك خاصّ به وهذا الخارج هو المستثنى، ولذلك قال عمر: ثمّ قس الأمور عندك فاعمد إلى أحبّها إلى الله وأشبهها بالحق"⁽¹⁾، وتقسم الكتب الفقهية التي تحدّثت عن المستثنيات إلى ثلاثة درجات⁽²⁾:

الدرجة الأولى: الذين يذكرون القواعد الفقهية مجردة عن الاستثناء ومن هؤلاء ابن الوكيل وابن رجب وابن اللحام والمقرّي والونشريسي وغيرهم.

الدرجة الثانية: درجة متوسطة وهم الذين يذكرون القواعد الفقهية ويستثنون منها عدّة مسائل كأمثلة أو حسب ما وصل إليه علمهم ولكنهم لا يذكرون من المستثنيات كما يذكر غيرهم ومن هؤلاء: الزركشي، والسبكي، وابن الخطيب، وسيوطي، وابن نجيم، والأبياري، فمستثنياتهم قليلة العدد في القواعد التي يستثنون منها بل لا يستثنون من بعض القواعد أحياناً.

الدرجة الثالثة: وهؤلاء هم أكثر المؤلفين ذكراً للمستثنيات ومنهم: عيسى بن عثمان الغزّي، حيث ذكر في مؤلّفه القاعدة وما يستثنى منها كما ذكر في "كشف الظنون"، وأحمد بن محمّد الفناكي في كتابه المناقضات "في الحصر والاستثناء"، والبكري في كتابه "الاستغناء في الفرق والاستثناء".

(1) - الاستغناء في الفرق والاستثناء: البكري - ص 84 - 85.

(2) - المصدر نفسه - ص 86.

1- تعريف الاستثناء عند علماء الفقه:

استند علماء الفقه في تعريفهم للاستثناء على تعاريف النحويين له، أمثال ابن عمرو، وسيبويه، وغيرهم، فهم يأخذون بكلام ابن عمرو لما قال: حدّه بأن ينفي عن الثاني ما يثبت لغيره بإلاّ أو بكلمة تقوم مقامها، فيشمل أنواع الاستثناء من متّصل ومنقطع ومفرد وجملة وتامّ ومفرغ، وخرج الوصف بإلاّ أو غيرها... فالمتّصل والمنقطع عند ابن حاجب لا يمكن تحديده بحدّ واحد على القول بالإشتراك والمجاز لتغاير حقيقتهما، إذ الأوّل (المتّصل) حقيقة، والثاني (المنقطع) مجاز.

أمّا ابن مالك فقد جمع كل من المتّصل والمنقطع في حدّ واحد فقال: تحقيقاً أو تقديراً.

وذكر إمام الحرمين في باب الإقرار من (النهاية) أنّ الفقهاء يسمّون تعليق الألفاظ بمشيئة الله استثناء، في مثل قول القائل: أنت طالق، وأنت حرّ إن شاء الله، أمّا الحنفية تسمّي الاستثناء بإلاّ وأخواتها استثناء التحصيل، وبمشيئة الله استثناء التعطيل⁽¹⁾.

1-1 حدّي الاستثناء المتصل والمنقطع بين النجاة والفقهاء:

يتفق كلّ من النحويين والفقهاء على أنّ الاستثناء المنقطع ضابطه أن

(1)- ينظر: البحر المحيط: الزركشي- تحقيق لجنة من علماء الأزهر- دار الكتبي- القاهرة- ط3- 2005-

يكون ما بعد إلا من غير جنس^(*) ما قبلها مثل: قام القوم إلا حماراً، وإن كان من جنسه فهو عندهم الاستثناء المتصل مثل: قام القوم إلا زيداً، لكن المفسرين والعلماء من الفقهاء يطلون ذلك باستشهادهم بالآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾⁽¹⁾، فهذا الاستثناء منقطع مع أنّ (الموتة الأولى) هي بعض أفراد الموت المتقدم لأنه معرف باللام فيعم جميع أفراد الموتة الأولى وغيرها، فهذا استثناء من الجنس وهو منقطع، فيطل به الحدان المذكوران في المتصل والمنقطع، فيندرج في حدّ المتصل لكونه من الجنس وليس متصلاً فيكون الحدّ غير مانع ويخرج من حدّ المنقطع لاشتراطه من المغايرة في الجنس، وهي مفقودة في الآية فيكون الحدّ المذكور للمنقطع غير جامع.

إنّ (الموتة الأولى) وإن كانت من جنس الموت المتقدم لكنّ الحكم وقع بعد إلا بغير نقيض، فإنّ الحكم المتقدم عدم ذواق الموت في الجنة ونقيض عدم الذواق منها الذواق فيها، ولم يحكم به بل بالذوق في الدنيا، فإنّ الموتة الأولى

(*)- الجنس: يقول بن فورك في كتابه الأصول: ليس المراد بالجنس هنا ما اصطلاح عليه المتكلمون، فإنّ الجواهر كلّها عندهم متجانسة، بلا المراد أن يكون اللفظ موضوعاً لجنس يستثنى منه بلفظ لم يوضع لذلك الجنس، مثل: مالي ابنٌ إلا بنتٌ، فإنّ لفظ الابن جنس غير جنس لفظ البنت، وقال بعض الحنفيّة الأصل كونه من جنسه ومعنى المجانسة أن لا يقصر المستثنى منه عن المستثنى في الفعل الذي ورد عليه الاستثناء سواء كان راجحاً عليه أو لا، يقول محمد في كتابه الجامع الكبير: لو قال إن كان في الدار إلا رجل فعبدي حرٌّ، فكان في الدار شاة لا يحنثُ لقصور الشاة على الأدمي في الكينونة في الدار، لأنّ كينونة الأدمي في الدار بطريق الأصالة والاختيار، وكينونة الشاة بطريق القصر والتبعية، ولو قال: إن كان في الدار إلا شاة فعبده حرٌّ فكان فيها آدمي حنثٌ لقصور الشاة عن الأدمي في الكينونة. (ينظر: البحر المحيط - الزركشي - مج 2 - ص 389).

(1) - سورة الدخان - الآية: 56.

إنّما ذاقوها في الدنيا، فقد حكم بغير النقيض فكان استثناء منقطع للحكم بغير النقيض لا للحكم بغير الجنس⁽¹⁾.

حدّ الاستثناء المتّصل أنّ الحكم على جنس ما حكمت به أوّلاً بنقيض ما حكمت به أوّلاً، أمّا حدّ المنقطع أن تحكم على غير جنس ما حكمت عليه أوّلاً، أو بغير نقيض ما حكمت به أوّلاً فيتحقّق على هذا التقدير أن المنقطع نقيض المتّصل وأنّ المتّصل يجري مجرى المركّب، ونفي ذلك المركّب بأيّ جزء به كان هو المنقطع، ولنشرح أكثر نقول بالمثال الآتي: "قام القوم إلاّ زيداً"، "فزيدٌ من جنس القوم"، وحكم عليه أوّلاً بالقيام، وعلى زيد بعدم القيام، وهذا الأخير هو نقيض القيام فهذا الاستثناء متّصل، ثمّ "قام القوم إلاّ فرساً"، فالحكم وإن وقع بالنقيض (يعين عدم القيام للفرس) لكنّ الفرس ليس من جنس القوم، فهذا استثناء منقطع، ونأخذ مثالاّ آخراً "قام القوم إلاّ زيداً مسافراً" فهذا الاستثناء منقطع أيضاً، لأنّ زيد هو من جنس بغير النقيض الذي يتمثّل في عدم القيام بل حكم عليه حكماً آخر وهو السّفَر، وعليه وقع الانقطاع للحكم بغير النقيض الذي هو السّفَر لا للحكم بغير الجنس⁽²⁾.

1-2 الاستثناء المنقطع عند الفقهاء:

اختلف الفقهاء في ورود الاستثناء المنقطع في اللّغة، فهناك من أنكر وجوده وأوّلّه تأويلاً ردّ به إلى الجنس وعليه، فلا خلاف في المعنى، وهناك من أنكر وجوده ووقوعه في القرآن الكريم، ولكنّ ابن عطية لم ينكر وقوعه في القرآن وسمّى الذي نكره بالأعجمي، وهناك من اختلف في صحّته في المخاطبات

(1) - الاستغناء في الاستثناء: عبد الرحمن القرافي - ص 295-297.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - ص 296-297.

وطرق استخدامه، قال القاضي أبو القاسم بن كجّ في كتابه (في الأصول) الاستثناء من غير الجنس، ذهب بعض أصحابنا إلى جوازه وأبي ذلك عامّة أصحابنا، فأما من جوزه فقد استدّل بأنّ الشافعي قال: لو قال له على ألف إلاّ عبدا قبل منه، وأيضا فإنه ورد به القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾⁽¹⁾.

ويفسّر الشافعي في ذلك بأنّ إبليس دخل تحت الأمر فرجع الاستثناء إليه لأنّه قد كان أضمر فيه⁽²⁾، فهذا استثناء منقطع لأنّ إبليس ليس من الملائكة لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾⁽³⁾.

فالمراد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾⁽⁴⁾، أيّ الملائكة وإبليس، فـ(حذف إبليس من السّجود) فالاستثناء راجع إلى مضمّر لأنّه لا يجوز أن يدخل في الأمر ما لم يذكر فيه، وعلى هذا الأساس يبرهن ابن القشيري: حقيقة المسألة أنّ الاستثناء إذا انطوى على التعرّض بما ينبئ عنه المستثنى منه جنسا فهو استثناء حقيقي مثل: رأيت الناس إلاّ زيدا، قال: وقد ترد صيغة الاستثناء مع اختلاف الجنس بلا خلاف كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ والأصحّ أنّه لم يكن من الملائكة، ونمّثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾⁽⁵⁾، إنّ الخطأ لا يندرج تحت

(1) - سورة الحجر - الآية: 30-31.

(2) - البحر المحيط: الزركشي - ص 372.

(3) - سورة الكهف - الآية: 50.

(4) - سورة البقرة - الآية: 34.

(5) - سورة النساء - الآية: 92.

التكليف، وقد اختلف في هذه المسألة هل هي مجاز لغوي أم حقيقة لغوية وهل يسمّى هذا الجنس (الاستثناء المنقطع) استثناء على الحقيقة أو على المجاز؟ يجوّز الشافعي ذلك بقوله: يجوز أن يقال له على ألف درهم إلا ثوباً، فهو على التحقيق استثناء الشيء من جنسه لأنّ المعنى يتمثل إلا في قيمة الثوب، أمّا أبا حنيفة أنكر ذلك لكنّه جوّز استثناء المكيّل من المكيّل مع اختلاف الجنس واستثناء الموزون من المكيّل... (1).

ويقول الآمدي (الشيخ سيف الدّين) في كتابه الإحكام: "اختلف العلماء في صحّة الاستثناء من غير جنس، فجوّزه أصحاب أبي حنيفة ومالك والقاضي أبو بكر (*) وجماعة من المتكلمين والنحاة ومنع الأكثرون، وأمّا أصحابنا فمنهم من قال بالنفي ومنهم من قال بالإثبات" (2).

إن الاستثناء المنقطع عند علماء الفقه بقول ابن الحاج في تعليقه على المستثنى: "الاستثناء المنقطع منعه قوم من جهة الغرض بالاستثناء وأجازه الأكثرون من جهة وجوده في كلام العرب، والمجوزون لم يقدروا أن يدفعوا وجوده في كلام العرب، والمانعون لم يقطعوا الجهة التي يصحّ بها المنقطع على وضع الاستثناء، وقال: وقد حلّ هذا الشكّ القاضي أبو الوليد بن رشد فقال: إنّ من عادة العرب إبدال الجزئي مكان الكلّي، كما يبدل الكلّي مكان الجزئي

(1) - ينظر: البحر المحيط: الزركشي - ص 374.

(*) - هو محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر أبو بكر قاض من كبار علماء الكبار انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة عام (338هـ - 950م) وتوفّي عام (403هـ - 1013م)، من مصنّفاته إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، والملل والتحلل. (من هامش الاستغناء في الاستثناء: القرافي - ص 416).

(2) - الاستغناء في الاستثناء: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

اتكالا على القرائن والعرف، مثلا: إذا قال: "ما في الدار رجل" أمكن أن يكون هناك قرينة تفهم ما سواه، فلذلك يستثنى ويقول إلا امرأة وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء كله متصلا إلا أن الاتصال منه في اللفظ والمعنى ومنه في المعنى خاصة⁽¹⁾.

وهذا رأي أهل النحو وهو ابن الخشّاب الذي يقول: ينكر بعضهم للاستثناء من غير جنس وأولوه تأوُّلا رجعوا به إلى الذي من جنس وحينئذ فلا خلاف، لكنّ النحاة قدروه بلكن وهو غير مشابه لما اختلف فيه الفقهاء، فيرى النحاة أنّ الذي أجازوه الفقهاء ينبغي القطع بامتناعه، ومثّلوا ذلك بقولهم: "له عشرة إلا ثوبا"، فهذا عنده فاسدا من جهة اللفظ والمعنى، أمّا اللفظ فإنّ اللّغة لا تستخدم هذا الضرب من الاستثناء في المثبت وإنّما تستخدمه في المنفي.

أمّا المعنى فمستحيل لأنّ الاستثناء في عرف النحاة هو الأصل يأتي ليقابل به التأكيد، مثلا: "جاء القوم كلّهم إلا زيدا"؛ فقد تحقّق الاستثناء في عموم الجيء لهم وأنّه لم يتخلّف منهم من لم يجيء، "وجاء القوم إلا زيدا"، لقد حقّق الاستثناء البعض لهم، ولهذا لا يصحّ تصوّره في "له على عشرة إلا ثوبا"، فإنّ قال: المعنى إلا ثوبا وأكثر لزمه العشرة، فأين الاستثناء من غير الجنس؟

جاء في كتاب القواطع لابن السمعاني أنّهم اختلفوا في الاستثناء من غير الجنس على ثلاثة مذاهب:

أولا: جعلوه ممنوعات من طريق اللفظ والمعنى، وهو قول كثير من أصحاب الشافعي وجعلوه لغواً.
ثانيا: يجوز لفظا ومعنى.

(1) - البحر المحيط: الزركشي - ص 375.

ثالثاً: يصحّ من طريق المعنى دون اللفظ وهو الأولى في مذهب الشافعي وهو قول المحققين من الأصحاب، مثلاً إذا قال: "فلان عليّ ألف درهم إلا ديناراً"، أو "مائة دينارٍ إلا ثوباً"، فيكون الاستثناء مثبتاً للدينار والثوب بالتقدير. أمّا إذا استثنى من زيد وجهه أو من الدار بابها فقد اختلف في أنّه استثناء الشيء من جنسه أو من غير جنسه، والصحيح أنّه من جنسه لأنّ وجه زيد جزءاً منه (1).

2- شروط صحّة الاستثناء عند الفقهاء:

يشترط الفقهاء في صحّة الاستثناء وإفادته وتأديته للمعنى المطلوب أن يتأسّس على أربعة شروط جمعوها في الاتّصال وعدم الاستغراق وأن يقترن قصد الاستثناء بأوّل الكلام وأن لا يلي الكلام بلا عاطف.

1-2 الشرط الأوّل الاتّصال:

هو أن يتّصل المستثنى بالمستثنى منه عن طريق اللفظ بمعنى أن يعدّ الكلام واحداً غير منقطع مثل: "له عليّ عشرة إلا درهماً"، وأن يتّصل المستثنى بالمستثنى منه عن طريق الحكم كذلك، حيث يكون انفصاليه وتأخّره على وجه لا يدلّ على أنّ المتكلم قد استوفى غرضه من الكلام، مثلاً: كالتسكوت لانقطاع نفس أو بلع ريق، فإن انفصل على غير هذا الوجه أصبح استثناءً ملغياً.

ولكنّه ورد عن ابن عبّاس أنّه أجاز الاستثناء المنفصل على طريق ما جوزه من تأخير التخصيص عن العموم والبيان عن الجمل، لكنّه اختلف فيه فقيل إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبداً، وهناك من لا يصحّ عنده الاستثناء المنفصل

(1) - ينظر: البحر المحيط: الزركشي - ص 378.

كإمام الحرمين والغزالي لما له من مساوئ تتمثل في ما يلزم من ارتفاع الثقة بالعهود والمواثيق، وذلك لتراخي الاستثناء، ومنهم من أوله كالقاضي أبي بكر بما إذا نوى أن الاستثناء متصلاً بالكلام، ثم أظهر نيته بعده.

وهناك من يجوز به بشرط أن يقول عند قوله إلاّ زيداً أريد الاستثناء، وهذا ما أورده الغزالي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، وهذا أراد به الاستثناءات الموجودة في القرآن الكريم، وهناك من أبطله لأنهم (أصحاب تجويز التأخير في الاستثناء) لأنهم أرادوا المعنى القائم بالنفس فلا يدخله الاستثناء، والعرب لا تجوز الاستثناء المنفصل.

2-2 الشرط الثاني عدم الاستغراق:

إنّ الاستثناء المستغرق باطل ويبقى أصل الكلام فيه على حاله، وللمذاهب الفقهية فيه آراء مختلفة.

- عند المالكية: مثلاً يرى ابن طلحة^(*) في كتابه المدخل قولين عند قولهم أنت طالق ثلاثاً إلاّ ثلاثاً أو أنت طالق واحدة إلاّ واحدة فهذا لا يلزم الطلاق لأنّ الندم متصل بإمكان الرجعة بخلاف أنت طالق ثلاثاً إلاّ ثلاثاً لظهور الندم، (وقد ذكر ذلك القرافي في كتابه الاستغناء في أحكام الاستثناء)⁽¹⁾.

(*) - هو أبو بكر وأبو محمد (عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله) روى عن جماعة من الأعلام منهم أبو الوليد الباجي كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله ماهراً في النحو حافظاً للتفسير قائماً عليه، ذكراً بالقصص المتعلقة به، ومن آثاره تفسير القرآن، توفي بمكة سنة 523هـ (من هامش كتاب: البحر المحيط - الزركشي - مج 2 - ص 385).

(1) - البحر المحيط: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

- عند الحنفية: أبطل أهل مذهب الحنفية الاستغراق في الاستثناء وربطوه بما إذا كان الاستثناء بعين ذلك اللفظ مثل: نسائي طواقق إلا نسائي أو أوصيت بثلاث مالي إلا ثلاث مالي، فهم يرون إن كان الاستثناء بغير اللفظ المذكور في المستثنى منه يكون صحيحا وإن كان مستغرقا في الواقع، فمثلا قولهم: نسائي طواقق إلا هؤلاء وأشار إليهن أو أوصيت له بثلاث مالي إلا ألف درهم وهو ثلاث ماله يكون استثناء صحيحا، لأن اللفظ يكون فيه صحيحا دون الحكم، متى وقع الاستثناء بغير اللفظ الأول فهو يصلح لإخراج ما تناوله صدر الكلام، وإنما يمتنع لعدم ملكه لا لأمر يرجع إلى ذات اللفظ ومتصور أن يدخل في مثله أكثر من هذه النسوة بخلاف ما إذا وقع الاستثناء بعين ذلك اللفظ فإنه لا يصلح لإخراج بعض ما تناوله، فلم يصح اللفظ وبالتالي لا يصح الاستثناء⁽¹⁾.

- عند الشافعية: يقولون إذا لم يعقبه القائل باستثناء آخر فإذا عقبه باستثناء آخر مثل "له علي عشرة إلا عشرة"، إلا ثلاثة، فقيل: يلزمه عشرة لأن الاستثناء الأول لم يصح وعليه، فلا يجوز الاستثناء منه، وإذا قيل: يلزمه ثلاثة، وقيل سبعة، فلا يصح كذلك، وأما إذا كان زائدا على المستثنى منه فهم يبطلونه ويمنعونه، لكن الفراء أجازه في الاستثناء المنقطع مثل: "له علي ألف إلا ألفين، لأنه مستثنى من المفهوم"⁽²⁾.

وفي باب عدم الاستغراق الذي يقول به علماء الفقه نتحدث عن استثناء الكل من الكل الذي ورد في كتب الحنفية وقالوا بأنه لا يصح استثناء الكل من الكل لفظا، كما قيل: أنت طالق ثلاثا إلا ثلاثا، ولكن إن قال نسائي طواقق إلا

(1)- البحر المحيط - الزركشي - مج 2 - ص 386.

(2)- المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

فلانة وفلانة وفلانة وليس له امرأة سواهن فيصح الاستثناء ولا تطلق واحدة منهن، أما لو قال: أنت طالق أربعاً إلا ثلاثة صح الاستثناء كذلك وتقع واحدة (طلقة) أو يستثنى الأقل أو الأكثر أو يساوي بين المستثنى والمستثنى منه.

أما استثناء القليل من الكثير فجائز، يقول المزري في كتابه (شرح البرهان) إن كان ليس بواحد فلا خلاف في جوازه مثل "له علي عشرة إلا حبة أو إلا سدساً"، وإن كان جزءاً صحيحاً كالواحد والثلث فالمشهور عندهم قبوله وجوازه، وإن استهجنه آخرون وقالوا: الأحسن أن يقال في الخطاب "له عندي تسعة ولا يقول عشرة إلا واحداً"، وجاء في كتاب (شرح التلقين) عن قوم أنهم شذوا فقالوا لا يجوز هذا النوع من الاستثناء (استثناء القليل من الكثير) إلا لضرورة إليه ويمثلون باستثناء الكسور كقولهم: "له عندي مائة درهم إلا ربع درهم أو إلا نصف درهم"، وقولهم مائة درهم إلا عشرة، يعني "له عندي مائة تسعون"، لكن ذلك لا يجوز بما احتج به من قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾⁽¹⁾، وفي هذا استثناء الأقل من الأكثر من غير أن يكون كسراً في العدد، لكنهم أجابوا بأنه في معنى الكسر لأن التجزئة المقترحة من النصف إلى العشر، وكذلك يرون أن الخمسين من الألف كنصف العشر، فصار في معنى استثناء الكسر وهذا مرفوض ومردود عند العلماء⁽²⁾.

أما الاستثناء الأكثر فيستند فيه أهل الفقه على قول النحاة الذين يرون فيه مذهباً: الأول يمنعونه وفيه يقول الزجاج لم ترد به اللغة لأن الشيء إذا

(1) - سورة العنكبوت - الآية: 14.

(2) - البحر المحيط: للزرکشي - مج 2 - ص 386-387. وينظر: أصول الفقه - الشيخ محمد الخضري -

تحقيق خيرى سعيد - المكتبة التوفيقية - القاهرة - مصر - د. ط - د. ت - ص 216-217.

نقص يسيرا لم يزل عنه اسم ذلك الشيء، فلو استثنى أكثر لزال الاسم. ويمثّل ابن جنّي لذلك بقوله: "له عندي مائة إلا سبعة وتسعين"، فما كان هذا متكلمًا بالعربية وكان عبثًا من القول، ويقول ابن قتيبة في كتابه (المسائل)، لا يجري في اللغة (ويعني به الاستثناء الأكثر) لأنّ تأسيس الاستثناء على تدارك قليل من كثير أغفلته أو نسيتَه لقلّته، ثمّ تداركته بالاستثناء، ولأنّ الشيء قد ينقص نقصًا يسيرا فلا يزول عنه اسم الشيء وأمّا مع الكثرة فيزول⁽¹⁾.

إنّ النحاة يمنعون الاستثناء الأكثر ويقولون بأنّ لا ورود له في اللغة ووروده فاسد ولا يعبر عن شيء منها، لأنّ الشيء عندهم إذا نقص نقصًا كثيرًا زال والعكس ليس صحيحًا، إذا نقص الشيء قليلًا بقي منه.

ويرى الشيخ أبو حامد أنّ هذا النوع من الاستثناء هو مذهب عند البصريين من النحاة كما يجيزه أكثر أهل الكوفة، وقد أجازوه أكثر الأصوليين في قولهم: له عندي عشرة إلا تسعة فيلزمه درهم، وهذا القول يرجع إلى السيرافي وأبو عبيد وهؤلاء النحاة يحتجّون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾⁽²⁾، فيرون المتبعون له (الذين يتبعون الشيطان هم كثر) ويستدلّون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽³⁾.

إنّ نوع الاستثناء في الآية الكريمة (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) استثناء منقطع والعباد المضافون إلى الله تعالى هم المؤمنون لكنّه يدخل الغاؤون تحت المستثنى منه لولا الاستثناء، وهو كذلك استثناء متصل

(1) - البحر المحيط: للزرکشي - مج 2 - ص 387.

(2) - سورة الحجر - الآية: 42.

(3) - سورة سبأ - الآية: 13.

وقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) أَقَلُّ مِنَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْمَلَكَ وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ، وَكُلَّ الْغَاوِينَ أَقَلُّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا قَوْلُ الشَّيْخِ أَبُو إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَثْنَى الْغَاوِينَ مِنَ الْمَخْلُصِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَاسْتَثْنَى الْمَخْلُصِينَ مِنَ الْغَاوِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾⁽¹⁾، فَلَوْ كَانَ الْمُسْتَثْنَى أَقَلُّ مِنَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَ الْغَاوِينَ وَالْمَخْلُصِينَ أَقَلُّ مِنَ الْآخِرِ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ (مِنْهُمْ) عَائِدٌ لِبَنِي آدَمَ، وَالْمَخْلُصَ مِنْهُمْ قَلِيلٌ، وَانْفِصَلَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ فَقَالَ الْمَخْلُصُونَ هُنَا هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَسُكَّانُ السَّمَوَاتِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْغَاوِينَ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ اسْتِثْنَاءِ الْأَقَلِّ مِنَ الْأَكْثَرِ⁽²⁾.

أَمَّا الْمَسَاوِي فَمَنْ جَوَّزَ الْأَكْثَرَ فَهُوَ هُنَا أَجْوِزٌ، وَمَنْ مَنَعَهُ اخْتَلَفُوا عَلَى قَوْلَيْنِ، أَمَّا دَرَسْتَوِيهِ فَقَدْ أَلْحَقَهُ بِالْأَكْثَرِ فِي الْمَنْعِ وَالْجَمْهُورِ عَلَى الْجَوَازِ، وَاجْتِجَّ عَلَى اسْتِثْنَاءِ النَّصْفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾⁽³⁾.

فَالضَّمِيرُ فِي نِصْفِهِ عَائِدٌ عَلَى اللَّيْلِ، وَنِصْفُهُ بَدَلٌ، فَإِمَّا مِنَ اللَّيْلِ الْاسْتِثْنَاءُ فَيَكُونُ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفًا وَإِمَّا مِنْ قَلِيلٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِاللَّيْلِ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَلِرَبِّمَا تَمَسَّكَ بِهِ الْقَائِلُونَ بِالْأَكْثَرِ مِنْ جِهَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ)، لَكِنَّ نِصْفَهُ مَفْعُولٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ أَيُّ قُمْ نِصْفَهُ وَلَا يَكُونُ بَدَلًا لِأَنَّ النَّصْفَ لَا يُقَالُ فِيهِ قَلِيلٌ وَعَلَيْهِ، يَكُونُ قَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْلًا بِقِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا فَيَكُونُ أَمْرًا

(1) - سورة ص - الآية: 82-83.

(2) - البحر المحيط: الزركشي - مج 2 - ص 388.

(3) - سورة المزمل - الآية: 2-3.

بقيام الأكثر، فقوله بعده نصفه مخالف له، فيلزم أن يكون ناسخا وليس كذلك لأنه متصل وشرط النسخ أن يكون متراخيا، يقول بن عصفور في ذلك: "بل ضمير نصفه يعود على القليل وهو بدل منه، بدل البعض من الكلّ وجاز وإن كان القليل مبهما لأنه قد تعيّن بالعادة أي ما يسمّى قليلا في العادة"⁽¹⁾.

2-3 الشرط الثالث أن يقتن قصده بأوّل الكلام:

فلو بدا له عقب الفراغ؛ فالأصح في كتاب الطلاق - ودعى أبو بكر الفارسي الإجماع عليه - المنع لإنشائه بعد الوقوع. وإن بدا له في الأثناء فوجهان: أصحهما - وهو نصّ البويطي - صحته.

2-4 الشرط الرابع أن يلي الكلام بلا عاطف:

فلو ولي الجملة بحرف العطف كان فاسدا بالاتّفاق، يقول الأستاذ أبو إسحاق ومثله بالمثل الآتي: "له عندي عشرة دراهم، وإلا درهما أو فيلأ درهما"، ويشترط إمام الحرمين في كتابه (النهاية) أن يكون هذا الاستثناء مسترسلا فإن كان في شيء معيّن لم يصح استثناءه، كما لو أشار إلى عشرة دراهم، فقال: هذه الدرهم لفلان إلا هذا، فلا يصحّ استثناءه على الأصح. فإذا أراد الاستثناء في البعض كان راجحا (بمعنى صحيحا) لأنّ المرجح عند الفقهاء هو الصّحيح. ويشترط الماوردي وغيره كون الاستثناء من جنس الأصل ليصحّ خروج بعضه فإن عاد إلى غير جنسه فهو يصحّ عند الشافعي مثلا في المعنى دون اللفظ⁽²⁾.

(1) - البحر المحيط: الزركشي - مج 2 - ص 390.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - ص 393.

ويشترط أيضا في صحّة الاستثناء تعليق على الاستثناء ضدّ حكم الأصل، فإن كان الأصل إثباتا جاء الاستثناء نفيا وإن كان الأصل نفيا جاز الاستثناء إثباتا.

3- مذاهب علماء الفقه في تقدير دلالة الاستثناء:

يختلف علماء الفقه في تقدير الدلالة في الاستثناء، هل هو إخراج قبل الحكم؟ فهم على ذلك على ثلاثة مذاهب.

3-1 الاستثناء هو إخراج قبل الحكم

نسبه ابن الحاجب إلى كثير من علماء الفقه والمراد منه مثلا قوله: عشرة في المثال عليّ عشرة إلا ثلاثة تساوي سبعة، (فهو كعملية الطرح التي رأيناها في الفصل السابق)، إلا ثلاثة هي قرينة مبيّنة لأنّ استعمل الكلّ وأريد به الجزء مجازا كال تخصيص بغير الاستثناء، وأورده ابن الحاجب بالإجماع على أنّ الاستثناء المتصل هو إخراج، ولأنّ العشرة نصّ في مدلولها، والنصّ لا يتطرق إليه التخصيص وإنما التخصيص يكون في الظاهر. فإنّ الكوفيين يرون أنّ الاستثناء لا يخرج شيئا، بمعنى أنّهم يخالفون القول بالإجماع، فمثلا: "قام القوم إلا زيدا" فالإخبار بالقيام عن القوم الذين ليس فيهم زيد، وزيد مسكوت عنه لم يحكم عليه بقيام ولا بنفيه.

وقال بعض الأئمة لا يستقيم غير هذا المذهب لأنّ الله تعالى قال:

﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾⁽¹⁾، فلو أراد الألف من لفظ الألف لما تخلف مراده عن إرادته، فعلم أنّه ما أراد إلا تسعمائة وخمسين من الألف، مثل ما من قال بالعشرة مع استثناء الواحد فلم يرد منها إلا التسعة⁽²⁾.

(1) - سورة العنكبوت - الآية: 14.

(2) - البحر المحيط: الزركشي - مج2 - ص395. وينظر: البرهان في علوم القرآن - الزركشي - 401/1.

3-2 الاستثناء من غير إخراج:

وقال به القاضي أبو بكر أن عشرة إلا ثلاثة بمتلة السبعة من غير إخراج فهي كاسمين وضع لمسمى واحد أحدهما مفرد والآخر مركب، حيث استكره إمام الحرمين فقال أنه محال ولا يفهمه إلا ضالع باللغة، وعليه يقول ابن الحاجب: وهذا المذهب خارج عن قانون اللغة إذ لا يعهد فيها لفظ مركب من ثلاثة ألفاظ وضع لمعنى واحد، ولأن نطق بدلالة الاستثناء بطريق الإخراج. وقال في (شرح المقدمة) إنه غير مستقيم أيضا لأن المتكلم بالعشرة يعبر بها عن مدلولها وهو خمستان (5+5)، وبالإلا عن معنى الإخراج وبالواحد عن مخرج، ولو كان كما قالوا لم يستقم فهم هذه المعاني منها كما لا يستقيم أن يفهم من بعض حروف التسعة عند إطلاقها على مدلولها معنى آخر.

وهذا الذي قصده لا يفهم من العشرة خمستان مع استثناء الدرهم منها، بل المفهوم من ذلك تسعة لا غير ولا بإلا معنى الإخراج لأن الاستثناء لغة: الصرف والرد، وقوله كما لا يستقيم ليس بنظير ما نحن فيه إذ عدم فهم ما ذكر لعدم الوضع والاستعمال في غيرها، والاستثناء مستعمل فيما ذكر لغة وعرفاء، والقصد بهذا القول أن يفرق بين هذا التخصيص بدليل متصل أو منفصل، فإن كان بدليل متصل فإن الباقي حقيقة، وإن كان بدليل منفصل فإن الباقي مجاز، ولهذا قيل في الاستثناء إن الكلام بجملته يصير عبارة عن أمر آخر⁽¹⁾.

3-3 الاستثناء بالإخراج وتقدير ما بعده:

وهو صحيح عند بن الحاجب أن المستثنى منه مراد بتمامه ثم أخرج المستثنى وبعد ذلك حكم بالإسناد ما بعده تقديرا وإن كان الذي هو قبله

(1) - ينظر: البحر المحيط: الزركشي - مج 2 - ص 396.

مذكورا، فمثلا عشرة إلا ثلاثة فباعتبار عشرة من الأفراد ثم أخرجت ثلاثة ثم أسند(*) إلى الباقي تقديراً ورجحه الهندي وغيره، ولذلك لا يحكم من يعرف بلغة العرب بالإسناد قبل تمامه لتوقع التغيير قبله بالاستثناء أو غيره، وبه يندفع ما أورد على حقيقة الاستثناء من كونه إنكارا بعد الإنكار وتناقضا. والفرق بين هذا المذهب والأول أن الأفراد بكمالها غير مرادة في المستثنى منه في الأول لدلالة الاستثناء عليه، وفي الثالث مرادة والاستثناء إنما هو لتغيير النسبة لا للدلالة على عدم المراد(1).

والذي قال بالمذهب الثالث لا فرق عنده بين أن يكون الاستثناء من ألفاظ العدد أو غيرها، فإن الكلام في تقدير دلالة الاستثناء مطلق وحينئذ يلزم أن يكون هذا المذهب مخالفا لإجماعهم على أن الفرد المخصوص من العام ليس مراد منه، ويقول المازري أصل هذا الخلاف في الاستثناء من العدد هل يكون الاستثناء كقرينة غيرت الصيغة أو لم تغيره وإنما كشفت عن المراد بها؟

وعليه نخلص إلى أنه من رأى أسماء العدد كالتصوص التي لا تحمل سوى ما يفهم منها فإنه يقول بالمذهب الأول ويتزل المستثنى والمستثنى منه كالكلمة الواحدة الدالة على عدد ما، ويكون المستثنى كجزء من أجزاء هذه الكلمة لجموع هو الدال على العدد المتبقي، ومن يرى أن أسماء العدد ليست نصاً فإن العشرة ربما استعملت في عشرة ناقصة فيرى أن الاستثناء قرينة لفضية دلت على المراد بالمستثنى منه، كما يدل قول رسول الله ﷺ "لا تقتلوا الرهبان" ويريد بقوله هذا اقتلوا المشركين، قال: وهذا ظاهر على القول بأن دلالة العام

(*) - الإسناد ما يبقى بعد الإخراج.

(1) - البحر المحيط: الزركشي - مج2 - ص397.

على أفرادها ظاهرة. فإن قلنا نصّ فلا يستقيم ثم ذكر من الفرق بين التخصيص والاستثناء أن الاستثناء يدخل على النصوص والتخصيص لا يدخل عليها. إن الأكثر من علماء الفرق يرون استعمال العشرة في سبعة دلّ عليه قول إلا ثلاثة، والقاضي وإمام الحرمين عندهما أن المجموع يستعمل في السبعة، أما ابن الحاجب فيقول: بأن ماهي العشرة تتمثل في حذف الثلاثة منها ثم تحكم بالسبعة، كأنه يقول شارحا ذلك له على الباقي من عشرة أخرج منها ثلاثة أو بصيغة أخرى عشرة إلا ثلاثة له عندي. وكلّ من أراد أن يحكم على شيء بدأ باستحضاره في ذهنه ثم أخرج الثلاثة ثم حكم، ويمثّل ذلك بالمثال التالي: تخرج عشرة دراهم من الكيس ثم تردّ منها إليه ثلاثة ثم تهب الباقي وهو عشرة، هذا تقرير مذهب ابن الحاجب، لكنّ تصريحه بأن الإسناد بعد الإخراج "مخالف لمذهب سيويه أن إلا أداة أخرجت من الاسم والحكم"⁽¹⁾ وهذا إنّما يأتي على القول المرجوح أن الإخراج من الاسم فقط.

ويرد عليه أن المفرد لا يستثنى منه ولو استثنى منه لم ينتظم، وعليه لا يقال: العامل في المستثنى هو العامل في المستثنى منه كما هو مذهب كثير من النحاة. والتّحقيق أن المراد بالإسناد ما يبقى بعد الإخراج لأنّ الإسناد للجملة إنّما يتبيّن معناه بآخر الكلام فإن عطف عليها بـ(أو) كان ثابتا بأحد الأمرين وإن عطف عليها بالواو كان ثابتا للمجموع، وإن استثنى منه كان ثابتا لبعض مدلولها وليس الاستثناء مبنيًا للمراد بالأوّل بل يحصل الإخراج وقصده أن يستثنى لا بقصد المعنى حتّى ولو قال مثلا: أنت طالق ثلاثا إلا واحدة ووقع الاستثناء بعد موت الزوجة طلقت ثلاثا، ولو كان مبنيًا لزمه اثنتان (طلقتان) وعلى هذا لا يسمّى تخصيصا⁽²⁾.

(1) - الكتاب: سيويه - 360/1.

(2) - البحر المحيط: الزركشي - مج 2 - ص 398-399.

4- الاستثناء في المعاملات:

4-1 في الاستثناء من الأحوال (الإرث):

تقع بعد إلا حالة وما يمكن أن تكون حالة فيعلم أن ذلك استثناء من الأحوال، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾⁽¹⁾؛ أي لا يدخلونها في حالة من الحالات إلا في حال الخوف، فهو استثناء متصل من الأحوال من غير منطوق به، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾؛ أي لا تموتن في حالة من الحالات إلا في حالة الإسلام، والواو في قوله تعالى: (وَأَنْتُمْ) واو الحال، وهو استثناء من الحال استثناء متصلاً من الجنس، فاللفظ هنا يقتضي النهي عن الموت في غير هذه الحالة، والموت لا يمكن أن ينهى عنه مطلقاً لا في هذه الحالة ولا في غيرها، فكيف جاء النهي عنه؟ فإن النهي لا يرد إلا فيما يمكن كسبه جلباً ودفعاً وأن ما لا يمكن اكتسابه جلباً ولا دفعاً إذا ورد طلب جلبه بالأمر أو النهي صرف ذلك إلى ثمة أو إلى سببه⁽³⁾.

ومن الاستثناء في الأحوال ما يتمثل في الموارث وهو جمع الإرث، أصله موارث، قلبت الواو ياء، لسكونها وكسر ما قبلها. وشرعاً الميراث هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة، والذي جاء تعريفه في اصطلاح الفقهاء العلم الذي يعرف به من يرث ومن لا يرث ومقدار كل وارث⁽⁴⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 114.

(2) - سورة البقرة - الآية: 132.

(3) - الاستغناء في الاستثناء: القرابي - ص 532.

(4) - مسائل محلولة في التركات والموارث: د. أحمد دكار - دار الغرب للنشر والتوزيع وهران - الجزائر -

ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافًا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، معنى الآية أن الله سبحانه وتعالى يحرم بالنهي عن أخذ شيئاً من الصّداق في حالة من الحالات (إلا في حالة الخوف) أن لا يقيما حدود الله تعالى فيما وجب من جميل العشرة، فإذا حصلت هذه الحالة جاز الخلع وأخذ ما أعطي للمرأة من صداقها أو من غيره لأن الضرر من قبل الزوج والكراهة جاءت من قبلها، أمّا إذا انعكس الأمر أو الحال وصار الزوج هو المضار فيحرم الخلع في هذه الحالة فهو استثناء من الأحوال وهو متّصل من غير المنطوق.

ومن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾⁽²⁾، معنى الآية أن نصف الصّداق يسقط بالطلاق قبل الدّخول ويثبت نصفه في جميع الأحوال إلا في حالة واحدة وهي حالة عفو المرأة الرّشيّدة غير المحجور عليها عن ذلك النّصف فيسقط، فهو ثابت في جميع الحالات إلا في هذه الحالة، وهو استثناء من الحالات من النّاحية النحوية نلاحظ أن (أن) و(ما) عملت فيه بتأويل المصدر، والمصدر في تأويل اسم المفعول المنصوب على الحال تقديره: فنصف ما فرضتم ثابت في جميع الأحوال إلا معفوّا عنه ومعفو عنه حال منصوبة، فهو استثناء الأحوال وهو استثناء متّصل⁽³⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 229.

(2) - سورة البقرة - الآية: 237.

(3) - الاستغناء في الاستثناء: القرافي - ص 535.

وقوله تعالى في إرث النساء خاصة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾⁽¹⁾، في هذه الآية يحرم الله سبحانه وتعالى إرث النساء كرهاً أو كرهاً فلا يحلّ إجبار الأرملة على الزواج مما لا تريد، ولا يحلّ أيضاً إلجائها إلى ذلك بعضل الزواج عنها ولو كان ذلك من غير إجبارها على شخص بعينه، وهذا ما يقرره اللغويون في الفرق بين الكره بالفتح والكره بالضم، وقد روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أوليائه أحقّ بامرأته إن شاء بعضهم تزوّج وإن شاؤوا زوّجوها فهم أحقّ بها من أهلها، وعلى ذلك نزلت هذه الآية⁽²⁾.

وأخرج ابن جرير الطبري بسنده عن ابن أمية، سهل بن حنيف قال: لما توفي بن قيس بن الأسلت، أراد ابنه أن يتزوّج امرأته وكان ذلك جار في الجاهلية فأنزل الله في آيته الكريمة (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا)، يقول المفسرون: "كان أهل المدينة بالجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قرابته من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة فكان إلقاءه الثوب إمارة أنه اصطفأها لنفسه فلم يكن لغيره أن يخطبها ولم يكن لها أن تردّه عنها"⁽³⁾. ففي هذه الآية استثنى الله تعالى حالة واحدة يجوز فيها العضل^(*) وهي حالة إتيان بالفاحشة المبيّنة كالزنى والسرقة والنشوز عن الطاعة ونحو ذلك

(1) - سورة النساء - الآية: 19.

(2) - القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد الحيش - ص 289.

(3) - ينظر: حجة القراءات: ابن زنجلة (أبو زرعة) - مؤسسة الرسالة - دمشق - د. ط - د. ت - ص 197.

(*) - المنع بشدة وكرهه والمراد ههنا الأزواج.

من الأمور المقوتة شرعا وعرفا وفي هذه الحالة يجوز العضل لاسترداد ما أعطوه من صداق وغيره من المال لأن الإساءة من المرأة، واشتراط كون الفاحشة مبيّنة أي ظاهرة ثابتة إنما هو لمنع عضلها بمجرد سوء الظن بسبب غيرة الرجل الشديدة وتسرّعه في الحكم على الزوجة البريئة أو المرأة العفيفة فيقع الرجل في الظلم حينئذ⁽¹⁾.

وإذا تأملنا هذا الاستثناء نجد أن "أن مع الفعل بتأويل المصدر، والمصدر المؤول باسم الفاعل المنصوب على الحال تقديره إلا أن تأتي بفاحشة ظاهرة فهي حالة مستثناة من الأحوال لم ينطق بها استثناء متصلا من أعمّ العام كما تقدّم تقريره"⁽²⁾.

ومن الاستثناءات التي وردت عند أهل الفقه في باب المواريث قول تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾⁽³⁾، يشرح القرطبي هذه الآية بقوله: "حرّم الله تعالى في هذه الآية ألا يأخذ إلا بعد الخوف ألا يقيما حدود الله، وأكد التحريم بالوعيد تعدى الحد، والمعنى أن يظن كل واحد منهما بنفسه ألا يقيم حقّ الزواج لصاحبه حسب ما يجب له فيه لكرهة يعتقدونها...، والخطاب للزوجين والضمير في (أن يخافا) لهما و(ألا يقيما) مفعول به و(خفت) يتعدى إلى مفعول واحد، ثم قيل هذا الخوف هو بمعنى العلم أي أن يعلم ألا يقيم حدود الله وهو من الخوف الحقيقي وهو

(1) - القراءات المتواترة وأثرها في الرّسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد الحبش - ص 290.

(2) - الاستغناء في الاستثناء: القرافي - ص 539-540.

(3) - سورة البقرة - الآية: 229.

الإشفاق من وقوع المكروه وهو قريب من معنى الظنّ ثم قيل: (إلا أن يخافا) استثناء منقطع أي لكن إن كان منه نشوز فلا جناح عليه في أخذ الفدية...⁽¹⁾ ويرى القرافي تحليلاً آخرًا لهذا الاستثناء الوارد في الآية السابقة هو أن لا يجلّ لكم (الأزواج) أخذ شيء من الصّدّاق في حالة من الحالات إلا (استثناءً) في حالة يخافا ألا يقيما حدود الله تعالى فيما وجب من جميل العشرة، فإذا حصلت هذه الحالة (الخوف من أن لا يقيما حدود الله) جاز الخلع وأخذ ما أعطته المرأة من صداقها أو غيره، لأنّ الضرر من قبل الزوج والكراهة جاءت من قبلها، أمّا إذا انعكس الحال وصار الزوج هو المتضرر فيحرم الخلع في هذه الحالة، وعلى هذا الأساس فهو استثناء من الأحوال وهو متصل من غير المنطوق (معنوي)⁽²⁾.

وقوله أيضا: ﴿وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾⁽³⁾، قرأها ابن عامر وشعبة بن عاصم وأبو جعفر بالنصب (غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ) وقرأ الباقر (غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ) بالكسر، قراءة ابن عامر وشعبة بالنصب على وجهين؛ الوجه الأوّل على الاستثناء فيكون معنى الآية (وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ... إِلَّا أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ) فلا يبدين زينتهنّ لهم، وعلى هذا تكرر الاستثناء فعاد الحكم إلى الأوّل، ولما فتح تكرير الاستثناء بإلا ورد الاستثناء بغير، أمّا الوجه الثاني على الحال،

(1) - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي - دار الكاتب العربي - القاهرة - د.ت - ج 3 - ص 138 - 139.

(2) - ينظر: الاستغناء في الاستثناء - القرافي - ص 534.

(3) - سورة المنور - الآية: 31.

فيكون المعنى (وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِلتَّابِعِينَ) حال كونهم غير أصحاب أرب في النساء⁽¹⁾.

4-2 الاستثناء من الحالات (الحدود):

ومن الأحكام الفقهية الأحكام الواردة في الحدود وعليها جاء الاستثناء لبلوغ الهدف واستخلاص الحكم الشرعي كما يراه أهل الشرع. ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾⁽²⁾، في هذه الآية تنفير شديد من الربا حيث يقارن المرابي (الذي يأكل الربا) كالذي يفقد عقله أو يركبه الصرع فيتلفه، وتقدير الآية يكون على النحو الآتي: الذين يأكلون الربا فيما بينهم لا يقومون في حالة من الحالات إلا في حالة واحدة شبههم الله بها سبحانه وتعالى بمن يتخبطه الشيطان، وفي هذه الحالة نطرح السؤال التالي: ما العامل في الكاف (كَمَا)؟.

يجوز أن يكون الحال المحذوف مقدراً بإلاً كائنين كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، ويجوز أن يكون العامل فيها صفة لمصدر محذوف تقديره لا يقومون إلا قياماً كائناً كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، أمّا عن ما فالسؤال الذي نطرحه، ما معنى ما التي دخلت عليها الكاف (كَمَا)؟ ما هنا هي ما المصدرية والتقدير هو كقيام الذي يتخبطه الشيطان، وما مع الفعل بتأويل المصدر، ثمّ هذا المصدر يختلف حاله. فإن كان العامل صفة مصدر بقي مصدراً على حاله تحقيقاً للتشبيه، وإن كان العامل حالاً محذوفاً كان المصدر مؤوّلاً باسم الفاعل وفي معناه تحقيقاً للتشبيه، فإنّ المشبّه به هو اسم الفاعل، وتشبيهه

(1) - الاستغناء في الاستثناء: القرافي - ص 292.

(2) - سورة البقرة - الآية: 275.

اسم الفاعل بالمصدر لا يصح بل يتعين التأويل تحقيقا للتشبيه، ويجوز أن تكون الكاف نفسها اسما في موضع نصب بل منصوبة بمعنى (مثل) ويكون هذا المثل الذي هو الكاف الصفة المشبهة بها المصدر أو اسم الفاعل⁽¹⁾.

وفي استثناء المعاملات (الحدود) يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾⁽²⁾، تقدير الآية هو كتابة المال في كل حالة من الحالات إلا في حالة كونه تجارة جاهزة فلا تأمرون بالكتابة حينئذ، فهذه الحالة مستثناة من الأحوال التي ينطق بها، وعبرة (أن تكون) في موضع نصب على الحال، وهل يكون منصوبا بالاستثناء أيضا ويكون من باب اجتماع عاملين أم لا؟ أن مع الفعل الذي بعدها هو (يكون) في تأويل المصدر والمصدر بدوره في تأويل اسم الفاعل المنصوب على الحال، وعليه يكون تقدير الآية إلا كائنا تجارة حاضرة، ويتعين ذلك تحقيقا للحال مع كونها مشتقة، والمصدر لا يقع حالا إلا مؤولا⁽³⁾.

نستخلص مما ذكرناه سابقا أن علماء الفقه أحالوا الاستثناء في المعاملات إلى نوع استثناء الأحوال وذلك على حسب تفاسيرهم للآيات القرآنية التي تمثلت في الآيات الخاصة بالإرث بالنسبة للمرأة (الزوجة) والحالة التي تكون فيها وتوهمها إلى أن يرثها الرجل (الزوج) أم لا، أمّا بالنسبة للاستثناءات الواردة في الآيات القرآنية التي تقول بالحدود، فكذلك أحالها علماء الفقه إلى المستثنى من

(1) - الاستثناء في الاستغناء: القرآني - ص 537.

(2) - سورة البقرة - الآية: 282.

(3) - الاستثناء في الاستغناء: المصدر السابق - ص 537.

الحالات، كما رأينا في حالة الذي يأكل الربا والذي مثله الله سبحانه وتعالى بالذي يتخبّطه الشيطان وفي الآية الأخرى التي تقول بأن لا يكتب المال إلا في حالة تجارة جاهزة بين المؤمنين، وعليه فالاستثناءات الواردة في مجموع هذه الآيات تصنّف ضمن صنف استثناء الأحوال الذي يعمل به علماء الفقه خاصّة وهو وارد كذلك عند علماء النحو عامّة.

الفصل الثالث

حقائق المستثنيات اللغوية في علم التجويد

- 1- المستثنيات من صوت الهمزة.
- 2- المستثنيات من الإمالة.
- 3- المستثنيات الواردة في المدّ والقصر (الصوائت).
- 4- المستثنيات من ترقيق وتفخيم حرف الراء.
- 5- المستثنيات من باب الإدغام الصّغير.

يلتقي علم التجويد وعلم القراءات في نقطة واحدة وهي قراءة القرآن الكريم، وهدفنا في هذا الفصل هو استخراج مجموعة تلك المستثنيات وتصنيفها إلى جهتها اللغوية كحجة للقارئ يبيّن عليها قاعدته اللغوية صرفية أو دلالية أو صوتية أو نحوية كانت.

1- المستثنيات من صوت الهمزة:

للهمزة حالتان التحقيق والتخفيف، التحقيق هو إعطاؤها حقها في النطق وهو الأصل، وهناك من يضيف على التحقيق فيهمز ما ليس أصل الهمز نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾⁽¹⁾، فقد قرأ قنبل عن ابن كثير (ضياءً) حيث همز ما كان أصله واوا، قال ابن خلوويه: "كان بن كثير شبهه (ضياءً) حيث قرأ بهمزتين بقوله رثاء الناس"⁽²⁾.

ولقد تحدّث رمضان عبد التواب عن هذه الظاهرة تحت ما سماه (الخدلقة) في اللغة ورأى أنه: "بعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى، تسابق العرب في النطق به فأدّى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز، مبالغة في التفصّح لأنه إذا كانت (فَقَاتُ عَيْنُهُ) فصيحة و(فَقَيْتُ) غير صحيحة... فإنه لا مانع من تحوّل (حَلَيْتُ السُّوَيْقِ) و(لَبَيْتُ بِالْحَجِّ) و(رَثَيْتُ زَوْجِي) إلى: حَالَتُ وَالْبَاتُ وَرَثَاتُ عن طريق القياس الخاطئ مبالغة في التفصّح"⁽³⁾.

أمّا تخفيف الهمزة فهو لغة أهل الحجاز وله أسبابه تمثلت:

(1) - سورة يونس - الآية: 5.

(2) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني - ص 148.

(3) - التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه: رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 3-

أولاً: في ثقلها، يقول بن أبي مريم: "اعلم أنّ الهمزة لما كانت خارجة من أقصى الحلق استحبت العرب تخفيفها استثقالا لإخراج ما هو كالتهوُّع"⁽¹⁾.

ثانياً: كثرتها في الكلام، والشيء إذا كثر استعماله كان بالتخفيف أولى من غيره.

ثالثاً: وأن تخفيفها لا يخلّ باللفظ وذلك لأنه يكون في غالب الأمر بإقامة ما يدلّ عليها من حرف مدّ أو نقل حركة...⁽²⁾.

1-1 مذاهب القراء في صوت الهمزة:

انفرد السوسي^(*) عن الدوري^(*) بإبدال كلّ همزة ساكنة إلا ما استثني منه، ولقد أحصينا ما استثناه السوسي من باب إبدال الهمز الساكن خمسة أنواع فقط:

النوع الأوّل: ما كان مجزوماً فإنه يحقّق الهمز منه ولا يبدل له مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾⁽³⁾.

(1)- الكشف في القراءات السبع: القيسي - 72/1.

(2)- المصدر نفسه - ص 89.

(*)- هو صالح بن زياد بن عبد الله بن الجارود السوسي أو شعيب المقرئ سكن الرقّة، قال بن أبي عاصم: حدثنا صالح بن زياد وكان خياراً، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد يحيى بن مبارك اليزدي المقرئ قراءة أبي عمرو، وقرأ على حفص قراءة عاصم توفي سنة 261هـ (ينظر: رواية السوسي عن أبي عمرو البصري - جمال فياض - دار الإيمان الإسكندرية - مصر - ص 7-8).

(*)- حفص الدوري: هو حفص بن عمر بن عبد العزيز أبو عمر إمام القراءة في زمانه التي أخذها عن كثيرين كان في مقدّماتهم الكسائي، توفي سنة 246هـ (ينظر: ما انفرد به كلّ من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي - عبد القادر الهيبي - دار الكتب الوطنية - بن غازي - تونس - ط 1 - 1996 - ص 99).

(3)- سورة إبراهيم - الآية: 19.

النوع الثاني: ما كان سكونه علامة للبناء فإنه لا يبدل له مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾⁽¹⁾.

النوع الثالث: ما كان إبداله ثقيلًا، وجاء هذا النوع في كلمة واحدة أتت في موضعين من قوله تعالى: ﴿وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾⁽²⁾، والموضع الآخر من قوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾⁽³⁾.

النوع الرابع: ما ترك إبداله من محذور الاشتباه وهو موضوع واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاءً وَرِئِيًّا﴾⁽⁴⁾، لأنه يشتبه بالهمز (بالرؤى) وهو المنظر الحسن، فلو ترك همزه لاشتبه بري وهو الشارب وهو امتلاؤه.

النوع الخامس: ما ترك إبداله من أجل محذور الخروج من لغة إلى لغة أخرى، وهو في كلمة واحدة جاءت من موضعين وهي (مؤصدة) لأنه بالهمز من أصدت بمعنى أطبقت، فلو ترك همزه لخرج إلى لغة من هو عنده من أوصدت.

1-2 التصنيف اللغوي لهذه الأنواع من المستثنيات:

يندرج النوع الأوّل والثاني والثالث من المستثنيات المذكورة سابقا في جانب الدّراسة النحوية، وعليه يعلّل القيسي ذلك بقوله: "إنّ ما سكونه علمٌ للجزم، وما سكونه بناء، أصله كلّ الحركة والسّكون فيه عارض، ومن أصله أن

(1) - سورة البقرة - الآية: 33

(2) - سورة الأحزاب - الآية: 51.

(3) - سورة المعارج - الآية: 13.

(4) - سورة مريم - الآية: 74.

يحقق المتحرّك فحقّق هذه على ما كانت عليه في أصلها قبل الجزم والبناء، وأيضاً فإنّ هذين النوعين قد غيراً مرّة من الحركة إلى السكون، فكره أن يغيرهما مرّة أخرى إلى البدل، فيقع في ذلك تغيير مع تغيير فيكون فيه إجحاف بالكلمة⁽¹⁾.
 أمّا النوع الرابع ممّا استثناه السوسيّ يصنّف في باب أمن اللبس^(*)، لأنّه في كلمة (رئياً) فيها لغتان، لغة الهمز وتكون على معنى (الرواء) وهو ما يظهر من الريّ، أمّا ترك الهمز على معنى الريّ (الشارب الممتلئ)، فكره أن يترك همزه فيظنّ أنّه عنده من (الريّ)، فيخرج بترك الهمز من معنى إلى معنى آخر، وهذه العلة همزه السوسي في قراءته ليبين ممّال هو مشتقّ وكذلك ليبين المعنى الذي يدلّ عليه⁽²⁾.

أمّا النوع الخامس فيصنّف في المستثنى الدلالي لأنّ كلمة (مؤصدة) بدورها لها لغتان في اشتقاقها يجوز أن تكون مشتقة ممّا أصله الهمز (أصدت) أي أطبقت ومن (أوصدت) وهو الاشتقاق الثاني فكره أن يخفّف الهمزة وهو عنده من أصدت فيظنّ ظانّها عنها من أوصدت فخاف أن يخرج بالتخفيف من لغة إلى لغة أخرى وهذه العلة حقّق الهمز فيها ليحافظ على أصل معنى الكلمة⁽³⁾.

(1) - الكشف في القراءات السبع: مكّي القيسي - 85/1.

(*) - يعرف أمن اللبس في الكلام هو سلامته من الاشتباه بغير المراد وهو شرط لحدوث التغيرات اللغوية صوتية كانت أو غير ذلك (ينظر: الوقف في العربية على ضوء اللسانيات عبد البديع النيرباني - ص 46).

(2) - ينظر: الكشف في القراءات السبع - المصدر السابق - 86/1.

(3) - ينظر: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

2- المستثنيات من الإمالة:

1-2 مفهوم الإمالة:

تصنّف الإمالة في باب التغيّرات الصوتية خاصّة في الصّوائت، والصّوائت في العربية على نوعين:

- صوائت أصول وهي: الفتحة والضمة والكسرة، والألف والواو والياء المدّيتان⁽¹⁾.

- صوائت فروع وهي: تنويعات نطقية للصّوائت الأصول لدى بعض اللهجات أو في تشكيلات صوتية خاصّة⁽²⁾، وتكون الصوائت الفروع مركّبة أو بسيطة، فالمركّبة (الإشمام) والبسيطة إمّا أن تكون فيها إمالة أو إخفاء، والإمالة كما يعرفها إبراهيم أنيس هي: "لغة بني تميم يقابلها الفتح وهو لغة أهل الحجاز، ويعبرون عن الإمالة بمسمّيات أخرى كالإضجاع والكسر ويعبرون عن الفتح بالتفخيم أحياناً"⁽³⁾.

درجة الإمالة: للإمالة درجتان شديدة ومتوسّطة، والتوسط معناه بين الفتح والإمالة هو مفتوح محض ولا ممال محض، ويقول فيه إبراهيم أنيس: "واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة وأقصى ما يصل إليه أوّل اللسان في الصعود نحو الحنك الأعلى هو ذاك المقياس الذي يسمّى عادة

(1) - علم اللغة: محمود السّعران - ص 184-185.

(2) - دروس في علم أصوات اللغة العربية: جانكتينو - ترجمة صالح القرمادي - الجامعة التونسية - تونس - 1966 - ص 131.

(3) - ينظر: في اللهجات العربية - إبراهيم أنيس - ص 57.

بالكسرة طويلة كانت أو قصيرة فهناك إذا مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة⁽¹⁾.

أما عن الفتح فلقد عرفه مكّي بقوله: "اعلم أن أصل الكلام كله الفتح، والإمالة تدخل في بعضه في بعض اللغات لعلّة، والدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز وليست الإمالة بداخلة إلاّ في بعضه في بعض اللغات لعلّة فالأصل ما عمّ وهو الفتح"⁽²⁾.

2-2 التصنيف اللغوي للمستثنيات في الإمالة:

يصنّف ما استثني لورش^(*) في باب الفتح والإمالة إلى صنف الاستثناء الصرّفي، وعليه استثني القارئ ورش من هذا الباب أربعة مواضع لا يميلها لعلّة صرفية، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾⁽³⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾⁽⁴⁾، فقد روي عن نافع أن كلمة (رِبَا وكِلَاهُمَا) مستثنيات من الإمالة، لكنه اختلف عن ورش فيهما، فقد روي الفتح

(1) - في اللهجات العربية - إبراهيم أنيس - ص 57.

(2) - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني - ص 188.

(*) - ورش: هو عثمان بن سعيد (ورش) بن عدي. بن سابق بن غزوان بن داوود أبو سعيد المصري الملقّب بورش ولد بمصر سنة 110هـ وتوفّي بها سنة 197هـ أخذ عن كثير من القراء وعلى رأسهم نافع بن عبد الرحمن الذي ختم عليه القرآن الكريم عدّة مرّات وولد بمصر، وكلمة ورش لقب بذلك نظراً لبياضه وقصر ملابسه فكان إذا مشى ظهرت رجلاه مع اختلاف ألوانه كالورشاء وهو الطائر المعروف بكثرة ألوانه (ينظر: الأعلام - الزركلي - بيروت - ط3 - 1969 - ج4 - ص366).

(3) - سورة البقرة - الآية: 275.

(4) - سورة الإسراء - الآية: 23.

فيهما عند ورش وأحقيهما بعض أهل الأداء بنظائرهما من الكلمات الواردة في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾⁽¹⁾، وفي مثل قوله أيضا: ﴿وَالضُّحَى﴾⁽²⁾، فأميلت هتين الكلمتين بالإمالة الصغرى والراجح هو الفتح وعدم الإمالة، والعلّة في هذا الاستثناء علّة صرفية لأنّ هذين اللَّفظين واويان والإمالة في الواوي تكون ضعيفة⁽³⁾.

ويقول عبد الفتاح إسماعيل شلبي: "بقيت هناك كلمات أمالها القراء، وربّما توهموا أنّها أميلت من أجل الكسرة قبل الألف وهي الربا- كلاهما- مشكاة...، أمّا الربا وكلاهما فالقراء يقولون بأنّ الإمالة هنا من أجل الكسرة قبل الألف أو من أجل الأصل اليائي في كلاهما، لأنّ الألف منقلبة عن ياء لكنّ صاحب القاموس جعل (كلا) من دواة الواو..."⁽⁴⁾.

وفي هذا يقول بن الجزري: "وأجمع أنّ مرضاتي ومرضاة وكمشكاة مفتوح، هذا الذي عليه العمل بين أهل الأداء وهو الذي قرأ به ولم يختلف علينا في ذلك اثنان من شيوخنا من أجل أنّهما واويان، وأمّا (الربا) و(كلاهما)، فقد ألحقه بعض أصحابنا بنظائره من (القوى) و(الضحى) فأماله بين بين وهو صريح في (العنوان) وظاهر في (جامع البيان)، والجمهور على فتحه وجهان، واحد وهو الذي نأخذ به"⁽⁵⁾. هذا ما فسره القراء، أمّا عند أهل النحو فسيبويه يقول: "إذا اشتكل عليك أمر الألف في الأفعال فأخبر بذلك الفعل عن نفسك فإن رجعت

(1)- سورة النجم- الآية: 5.

(2)- سورة الضحى- الآية: 1.

(3)- القواعد المقررة والفوائد المحررة: البكري- ص143.

(4)- الإمالة في القراءات واللّهجات العربية: عبد الفتاح إسماعيل شلبي- ص170-171.

(5)- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- 41/2.

ألفه في الإخبار إلى الياء فأصلها الياء، وإن رجعت إلى الواو فأصلها الواو فتميل ذوات الياء ولا تميل ذوات الواو، فقس بأيّ ذلك شئت...⁽¹⁾.

أما علة إمالة مضموم الأوّل أو مكسوره مثل الرّبّا أو ربّا وهو من الأصل الواوي من الفعل (ربّوت) وهي لغة كثير من العرب تثنيته بالياء فيقولون ربّا ← ربّيان، والعرب تفرّ من الواو إلى الياء في كثير من الكلام لأنّ الياء أخفّ من الواو مثل: ميّت وهينّ وسيّد وشبه كثير، ومع ذلك فالفتح أكثر وأصوب لأنّه الأصل وهو الذي قرأ به الباقون⁽²⁾.

أمّا عن الاستثناء الصوتي فأبو عمرو استثنى من قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾⁽³⁾، كلمة الجار الواردة في الآية القرآنية من الإمالة، من باب من أمالة للكسرة وهي وقوع الكسرة بعد الألف على راء، والكسرة إعراب مثل النار من قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾⁽⁴⁾، وكلمة النهار من قوله تعالى: ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁽⁵⁾. وعلة من فتح هذه الكلمات هو أنّه أتى بها على الأصل ولم يستثقل التسفّل بعد التصعّد، وإنّما الذي ينطبق في اللفظ هو التصعّد بعد التسفّل بمعنى انتقال وضعية اللسان أخفّ من التصعّد بعد التسفّل وهي أثقل لما يحدث العكس، مثل إمالة كلمة زاغ الواردة في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾⁽⁶⁾.

(1) - الكتاب: سيويه - 312/2.

(2) - التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة: علي محمد فاخر - 71/1.

(3) - سورة النساء - الآية: 36.

(4) - سورة البقرة - الآية: 24.

(5) - سورة البقرة - الآية: 164.

(6) - سورة النجم - الآية: 17.

3- المستثنيات الواحدة في المد والقصر (الصوائت):

لقد سبق وأن ذكرنا أن حروف المدّ على ضربين:

الضرب الأوّل: حروف المدّ واللّين، وهي ثلاثة، الألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، قال المهدوي: "ولا يمكن أن يدخل المدّ في غير هذه الحروف وإنّما كان ذلك لأنّ هذه الحروف أصوات والحركات مأخوذة منها، فامتداد الصّوت بها ممكن، ويسوغ فيه التطويل والتوسّط والتقصير ولا يسوغ ذلك في شيء من الحروف سواهنّ. أمّا الضرب الثاني: حرفا اللّين، وهما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: سَوءٍ وشَيءٍ، غير أنّ المدّ فيهما أنقص من المدّ في حروف المدّ واللّين، وعليه يقول المهدوي أيضاً: وعلّة ورش في مدّه الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما أنّ فيهما شيئاً من المدّ واللّين وإن كان أنقص في الرتبة ممّا في الياء إذا انكسر ما قبلها والواو إذا انظّم ما قبلها"⁽¹⁾.

نفهم من قول المهدوي أنّ المدّ يقع في حروف المدّ الثلاثة وهي: الألف والواو والياء، إلا أنّ نسبته تنقص بقليل في حرف الواو والياء.

3-1 أسباب المدّ:

ومن أسباب المدّ التي ذكرها علماء التجويد أربعة أضرب: أسباب لفظية، وأخرى موسيقية ودلالية واضطرارية، ومن الأسباب اللفظية الهمزة: ذكر مكّي أنّ حروف المدّ واللّين حرف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج

(1) - شرح الهداية: أبو العباس المهدوي - تحقيق د. حازم سعيد حيدر - مكتبة الرشد - الرياض - ط1 -

صعب في اللفظ، فلما لاصق حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقته الهمزة له خفاءً، فبين المدّ ليظهر، وكان بيانه بالمدّ أولى لأنه يخرج من مخرجه بواسطة المدّ، فبين بما هو منه، ويؤكد صاحب القول مدّ حرف اللين واللين قبل الهمزة وهما في كلمة واحدة بقوله: أكد⁽¹⁾

إن مكّي لا يعني بأن حروف المدّ خفية أنها لا تظهر وإنما ليس لها مخرجا معينا كالأصوات الأخرى، فهي تخرج مع الهواء، ولما كانت الهمزة صوتاً صعباً لأنه يخرج من أقصى الحلق وهو كذلك ثقيل خيف على هذه الحروف (حروف المدّ) بخفائها كلياً من النطق عند ملاصقتها لحرف الهمزة، فبواسطة المدّ يستطيع القارئ أن يظهرها ويبينها أثناء قراءته.

3-2 استثناء مدّ الواو:

يستثنى القارئ ورش مدّ حرف الواو مع الرّغم من التصاقه بحرف الهمزة على حسب ما ذكرناه في الفقرة السابقة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾⁽²⁾، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾⁽³⁾، فليس فيهما إلاّ القصر، فلم يزد أحد فيهما تمكينا (مدّا) على ما فيهما من صيغة⁽⁴⁾.

لكن استثنى ورش هتين الكلمتين من مدّ (حرف الواو الواقع أمام حرف الهمزة) لعلّة ذكرها صاحب الكشف بقوله: "ولأنّ أصل الواو الأولى في (المؤودة) الحركة لأنه من الفعل (وَأَد) وإثما سكنت لدخول الميم لبناء مفعوله،

(1) - شرح الهداية: المهدي - 30/1.

(2) - سورة التكوير - الآية: 8.

(3) - سورة الكهف - الآية: 58.

(4) - ينظر: القواعد المقررة والفوائد المحرّرة - البكري - ص 287.

كالواو من (مَوْتَلًا) أصلها الحركة أيضا، فترك المدَّ لأنَّ السكون عارض، فإنَّ فاء الفعل أصلها أبدا الحركة لأنها أوَّل فسكونها عارض أبدا⁽¹⁾.

نعلل هذا الاستثناء الذي استثناه ورش في عدم مدّه للواو رغم وقوعها مع الهمزة تعليلا صرفيا حيث جاء في كتب الصِّرف أنَّ الواو من الكلمتين تسقط في بعض التصاريف مثلا: أَل- يَثَلُ، وَأَد- يَثُدُّ؛ ومعنى أَل = لَجَأٌ، والمُوَيْلُ = المَلجَأُ، ووَأَد = قَتَلَ، والمُوَوُّودَةُ = المَقْتُولَةُ⁽²⁾.

ونضيف موضعا آخر اختلف عن ورش في واو الكلمة سوءات وما يتصرّف عنها في مثل قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا﴾⁽³⁾، فمن الرواة عن ورش ما استثناه من اللين فلم يجري فيها توسطًا ولا مدًا بل أجراها مجرى قولنا وخوفا، ومنهم من لم يستثنها بل أحقاها بكلمة بسوءة والسوء، فأجرى فيها المدَّ المشبع وكذلك التوسط، وعليه يكون لورش فيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأوَّل: القصر كغيره من القراء

الوجه الثاني: التوسط.

الوجه الثالث: الطول.

لكنَّ المحققين من علماء القراءة يرون أنَّ هذه الواو لا مدَّ فيها لورش أصلا لأنَّ رواة مدَّ اللين عن ورش أجمعوا على استثناء هذه الواو، ومما نلاحظه

(1) - الكشف في القراءات السبع: القيسي - 49/1 - 50.

(2) - ينظر: دقائق التصريف - أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدّب - تحقيق د. حاتم صلاح الضامن - دار البشائر - سوريا - ط1 - 2004 - ص702.

(3) - سورة الأعراف - الآية: 20.

من هذه القاعدة أنه يجب معرفة ليس المراد من قصر الواو في كلمة سوءات وواو المؤوودة وواو مؤوئلا مدها بمقدار حركتين بل المراد إذهاب مدها بالكليّة (أكليا)، والنطق بواو ساكنة مجردة عن المدّ كالنطق بواو فوقكم⁽¹⁾.

3-3 استثناء مدّ الألف:

لقد استثنى القارئ ورش مدّ الألف في الفعل يؤأخذكم لوجود الهمزة المخففة قبله، ولقد وقعت في القرآن الكريم هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽²⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾⁽³⁾، وإلى جانب ورش هناك من استثنائها من المدّ مثل المهدي وابن سفيان ومكي وغيرهم. يقول الداني في هذا الباب: أجمع أهل الأداء على ترك التمكين للألف في قولهم: لا يؤأخذكم ولا تؤأخذنا ولا يؤأخذ حيث وقع، وكان ذلك عندهم من واخذت غير مهموز⁽⁴⁾.

ويضيف مكي قولاً يشرح فيه عدم مدّ الألف وهو: "قد يمكن أن تكون الواو فيه لا أصل لها في الهمز وأتت على لغة من قال (واخذته)، فإذا لم يكن للواو في الهمز أصل لم يجب المدّ من أجلها"⁽⁵⁾.

(1) - ينظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع - عبد الفتاح القاضي - مكتبة عبد الرحمن محمد القاهرة - مصر - د.ط - د.ت - ص 83.

(2) - سورة البقرة - الآية: 225.

(3) - سورة البقرة - الآية: 286.

(4) - ينظر: النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - 271/1.

(5) - الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي - 53/1.

3-4 المستثنى من حكم مدّ البدل:

لَمَّا ذُكِرَ حُكْمُ مَدِّ الْبَدَلِ عِنْدَ وَرْشٍ وَقَالُونَ^(*)، وَاخْتَصَّ وَرْشٌ بِالتَّوَسُّطِ،
وَذَكَرَ لُورْشٌ مَوَاضِعَ قَصَرِهَا أَيْ (بِمَعْنَى اسْتِثْنَائِهَا) مِنْ حُكْمِ مَدِّ الْبَدَلِ، وَالْمَوَاضِعُ
هِيَ:

الموضع الأول: ما توفّرت فيه شروط ثلاثة:

* أن تكون الهمزة بعد حرف صحيح أي ليس حرف علة.

* أن يكون هذا الحرف ساكناً لا متحرّكاً.

* أن يكون متصلاً بالهمزة في كلمة واحدة، مثل: مئذوما

ومسؤولاً.

وعلة نقل حركة الهمزة على الساكن قبلها لورش هو ثقل الهمزة وبعدها
مخرجها مع صعوبة التلفظ بها، فلما كثرت في الكلام وأمكن أن تلاقى حركتها
على ما قبلها فتقوم حركتها ما قبلها وتذهب صعوبة لفظها؛ ولقد آثر ذلك -
ورش مع روايته على أئمتّه- فهو إذا ألقى حركة الهمزة على ما قبلها لم يخل
بالكلام وإثماً خفف الثقل الذي هو في الهمزة، وما كان من كلمتين أو
بالتخفيف لثقل اجتماع كلمتين والهمزة ولم يفعل ذلك فيما هو في كلمة لحفة
الكلمة... (1).

(*) قالون: هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدني، مولى الأنصار أبو موسى الملقب بقالون، لقبه
بذلك الإمام نافع لجودة قراءته ومعناه في اللغة الروم الجيد، قرأ على كثير من أهل المدينة وفي مقدّمة
أولئك نافع بن عبد الرحمن، انتهت إليه الرئاسة في علوم العربية وقراءة القرآن الكريم في زمانه بالحجاز،
ولد سنة 120هـ، وتوفي سنة 220هـ (ينظر: ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو
العربي - عبد القادر الهيبي - ص 9).

(1) - ينظر: الكشف عن جوه القراءات السبع - القيسي - 89/1.

ولقد اختلف في علة مدّ الكلمتين مسؤولاً ومدّوماً، فقد قيل لأمن إخفاء بعده وقيل لتوهم النقل فكانّ الهمزة معرّضة للحذف⁽¹⁾.

ونأخذ بتعليل القيسي لهذا الاستثناء بقوله: "إنّ من قصر هتين الكلمتين جمع بين لغتين فمدّ في موضع، وترك المدّ في موضع، وأيضا فإنه لما كان قل الهمزة ما يحسن أن يلقي حركتها عليه ويحذف، أسقط المدّ لأجلها؛ لأنّه لو ألقى حركتها على ما قبلها لم يتمكّن المدّ البتّة فعامل المعنى حكم لها به..."⁽²⁾.

واستنتاجا للتعليل الذي قدّمه القيسي لهذا الاستثناء يتبيّن لنا أنّ هذا الاستثناء بعد ما كان استثناءً صرفياً أخذ اتّجاهاً آخر وهو دلاليّاً وذلك بقوله: (عامل المعنى...)، كما نستشّف من قول ابن الجزري في آخر الفقرة أنّه يعلّل هذا الاستثناء على حسب ما يراه هو بقوله: "وظهر لي في علة ذلك أنّه لما كانت الهمزة فيه محذوفة رسماً ترك زيادة المدّ فيه تنبيهاً على ذلك، وهذه هي العلة الصحيحة في استثناء كلمة إسرائيل عند من استثنائها"⁽³⁾.

وعليه، يصدر ابن الجزري حكم الصحّة عن تعليله السابق وعلى هذا الأساس يأخذ هذا الاستثناء كذلك تصنيفاً له علاقة برسم المصحف، فإذا اختلف كلّ من القيسي وابن الجزري في تصنيف علة هذا الاستثناء، فالأوّل يصنّفه إلى الدلالة، والثاني يصنّفه إلى رسم المصحف.

الموضع الثاني: يختصّ هذا الموضع بمدّ أو قصر حرف الياء: إنّ القارئ ورش يقصر ياء كلمة إسرائيل التي وردت في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي

(1) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 271/1.

(2) - الكشف في وجوه القراءات السبع: القيسي - 48/1.

(3) - النشر في القراءات العشر: المصدر السابق - 271/1.

إِسْرَائِيلَ⁽¹⁾، أثناء القراءة في حالة الوصل، أما عند الوقف عليها فهو يشبعها (بمعنى يطيل في قراءتها)، يعلّل ابن الجزري تقصير ياء (إسرائيل) إلى أن الهمزة محذوفة رسماً فترك زيادة المدّ في الياء تنبيهاً على ذلك⁽²⁾.

أما البقري^(*) يعلّل استثناءها من المدّ إلى أنه يعود إلى طول الكلمة وكثرة دورانها، وثقلها بالعجمة مع أنها أكثر ما تجيء هذه الكلمة مع كلمة (بني) بمعنى (بني إسرائيل) فيجتمع ثلاث مدّات، وعليه استثنى مدّ الياء من أجل التخفيف⁽³⁾.

الموضع الثالث: مدّ الحروف التي تأتي بعد همزة الوصل: يمدّ القارئ ورش مدّاً طبيعياً كلّ حرف مدّ جاء بعد همزة الوصل في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾⁽⁵⁾، فيقرأها ورشاً قراءة طبيعية؛ بمعنى أن يقصّر هذا النوع، وعلة هذا الاستثناء تعود إلى أن همزة الوصل لا ثبات لها، فلا يؤخذ بمدّها وكذلك إنّها تنعدم حال وصلها بما قبلها⁽⁶⁾.

(1) - سورة البقرة - الآية: 40.

(2) - ينظر: النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - 271/1.

(*) - البقري: هو محمد بن إسماعيل البقري اشتهر بالبقري نسبة إلى قرية من قرى مصر كانت تسمى دار البقر ولد سنة 1018هـ وتوفي سنة 1111هـ (ينظر: القواعد المقررة والفوائد المحررة - البقري - ص 56-58).

(3) - ينظر: القواعد المقررة والفوائد المحررة - البقري - ص 289.

(4) - سورة يونس - الآية: 79.

(5) - سورة البقرة - الآية: 283.

(6) - ينظر: المختصر الجامع شرح الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع - الحاج سليمان بن أعمار ميلودي - تحقيق المختار بن العربي - دار بن حزم - بيروت - ط 1 - 2004 - ص 40.

الموضع الرابع: الألف المبدلة من التنوين: يستثنى ورشا مدّ الألف المبدلة من التنوين عند الوقف حيث يقرأها بالتقصير مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾، يعلّل ابن الجزري هذا الاستثناء بقوله أن الألف فيه غير لازمة، فكان ثبوتها عارضا لأنها تحذف وصلا⁽²⁾.

أمّا تعليل القيسي لها، فيقول بأنها عارضة فمدّها غير ممكن وهي ليست كمدّ آمن و آدم وشبهه، إنّما يقف على همزة بعدها ألف غير مشبعة، المراد به الوقف العارض والبدل العارض ولا اختلاف في إشباع المدّة في قوله: ماءً وخفَاءً لأنها حرف مدّ ولين لازم أصلي، بعده همزة، فبيّن بالمدّة لئلا يخفى مع جسوّ الهمزة وجلالتها وبعد مخرجها⁽³⁾.

4- مستثنيات من ترقيق وتفخيم حرفه الراء:

4-1 الألفاظ على وزن فعيل:

هناك في اللغة العربية اثنان وعشرون لفظا على وزن فعيل وهي: (قديرا، حنيريا، بصيرا، كبيرا، كثيرا، بشيرا نديرا، صغيرا وزيرا، عسيرا، حريرا، أسيرا)، ومنه ما يكون على غير ذلك الوزن وجملته ثلاثة عشر حرفا، وهي: (تقديرا، تطهيرا، تكبيرا، تبديرا، تدميرا، تبيرا، تفسيرا، قواريرا، قمطيرا، زمهيرا، منيرا، مستطيرا)، لقد رقق علماء الأداء الكلمات السابقة الذكر في الحالين وأجروه مجرى غيره من المرقق، وبه قرأ الداني على شيخه أبي الحسن وهو القياس، وذهب

(1) - سورة البقرة - الآية: 171.

(2) - النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - 172/1.

(3) - ينظر: الكشف عن وجوه القراءات العشرة - القيسي - 49/1.

آخرون إلى استثناء ذلك كله وتفخيمه، وعلّة هذا الاستثناء المتمثل في تفخيم الراء جاء من أجل التنوين الذي لحقه ولم يستثنوا من ذلك شيئاً⁽¹⁾.

ذهب جمهور العلماء (القراء) إلى التفصيل فاستثنوا ما كان بعد ساكن صحيح مظهر وهو الكلمات الست وهي: (ذَكَرًا، سِتْرًا، وَزْرًا، إِمْرًا، حَجْرًا، صَهْرًا)، إلا أن بعض هؤلاء استثنى من المفصول الساكن الصحيح مثل كلمة (صَهْرًا) فرققها، ويعلّل ترقيقه من أجل خفاء الهاء الموجودة في الكلمة (صَهْرًا)، وذهب آخرون إلى ترقيق كلّ منونٍ ولم يستثنوا منه كلمات على زون (ذَكَرًا) وما يحتويه في بابه، فمنهم أبو الحسن طاهر بن غلبون وغيره، وبه قرأ اللداني عليه، وأجمعوا على استثناء: (مِصْرًا، إِصْرًا، قَطْرًا، وَزْرًا، وَقْرًا)⁽²⁾.

ويعود تعليل استثنائهم هذا في تفخيم حرف الراء الواقع في الكلمات السابقة الذكر إلى وجود حرف الاستعلاء الذي هو قبل حرف الراء، مثل: حرف الصّاد في: مِصْرًا وإِصْرًا، وحرف الطّاء في: قَطْرًا، وحرف الزاي في: وَزْرًا، وحرف القاف في: وَقْرًا.

وقد خصّ الترقيق بورش أبو عبد الله بن شريح وأبو عليّ بن أبو بليمة وغيرهما وأطلقوه حتى في الكسرة العارضة، واستثنى بعضهم كسرة النّقل، وقيل في الكافي: "وقد وقف قوم عن ورش على نحو في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾⁽³⁾، وفي قوله أيضا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ﴾⁽⁴⁾، بالترقيق كالوصل، واستثنوا من

(1) - ينظر: النشر في القراءات العشر - المصدر السابق - 81/2.

(2) - ينظر: المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

(3) - سورة المزمل - الآية: 8.

(4) - سورة النور - الآية: 63.

ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁽¹⁾ لا علة في ذلك لهم إلا الرواية.

وأجمع أهل الأداء على تفخيم الراء في الأقسام كلها واستثنى الأزرق من ذلك أصليين:

الأول: أن لا يقع بعد الراء حرف استعلاء، فمتى وقع بعدها فإنه يفخّمها كسائر القراء.

الثاني: لکنه مع حرف الخاء مثلاً في كلمة (إخراج) حيث وقع فلم يعتبره حاجزاً وأجراه مجرى غيره من الحروف المستفلة، فرّق الراء عنده من مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾⁽²⁾، وفي كلمة أخرى مثلاً: إِخْرَاجُكُمْ، ويصنّف هذا الاستثناء ضمن الاستثناءات الصوتية لأنها متعلّقة بكيفية نطق حرف الراء⁽³⁾.

2-4 تَغْلِيظُ اللَّامَاتِ:

تغليظ اللام تسمينها لا تسمين حركتها، والتفخيم مرادف التغليظ، إلا أن تغليظ يقع في حرف اللام، أمّا التفخيم يقع في حرف الراء، وضدّهما أي ضدّ التغليظ والتفخيم الترقيق.

سبب تغليظ اللام: لا تغلّظ اللام إلا لسبب واحد يعود إلى مجاورتها حرف الاستعلاء ولا يقع تغليظها إلا بهذا السبب بل هي ترقق إذا لم تتجاور مع حرف الاستعلاء إلزاماً، وقد اختصّ المصريون بمذهب ورش في تغليظ اللام ولم

(1) - سورة الكوثر - الآية: 2-3.

(2) - سورة البقرة - الآية: 85.

(3) - التّشرف في القراءات العشر - ابن الجري - 86/2.

يشاركهم فيها سواهم، ورووا من طريق الأزرق وغيره عن ورش تغليظ اللّام إذا جاورها حرف التفخيم، واتفق الجمهور من القراء منهم على تغليظ اللّام إذا تقدّما حرف الصّاد أو الطّاء أو الظّاء وذلك بثلاثة شروط:

✓ أن تكون اللّام مفتوحة.

✓ أن يكون أحد هذه الحروف الثلاثة مفتوحاً أو ساكناً.

✓ اختلفوا في غير ذلك وشدّ بعضهم فيها بما لم يروه غيره⁽¹⁾.

"روى بعضهم ترقيق اللّام مع الطّاء كالجماعة وهو الذي في كتب القراءات التالية: العنوان، المجتبي، التذكرة، وإرشاد بن غلبون. وبه قرأ الدّاني على شيخه أبي الحسن بن غلبون وبه قرأ مكّي على أبي الطيّب، إلا أن صاحب كتاب التجريد استثنى من قراءته الطّلاق وطلّقتم، فقرأها بتغليظ اللّام على حسب القاعدة"⁽²⁾.

يعلّل هذا الاستثناء بأنّ اللّام كما سبق وأن ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الأوّل صوتٌ مفخّمٌ مطبقٌ مستعلٍ، ونرى أن ورشا أراد بتفخيمه أثناء القراءة صوت اللّام في كلمة (الطّلاق وطلّقتم) أن يقرب اللّام نحو لفظه؛ وفي هذه الحالة (حالة التفخيم) نلاحظ أن حركة اللّسان تعمل عملاً واحداً فقط، وهو ما ذهب إليه معظم العرب في هذه الحالة فيقربون الحرف من الحرف ليعمل اللّسان عملاً واحداً، كما يقربون الحركة من الحركة ليعمل اللّسان كذلك عملاً واحداً، وعليه يعمل اللّسان في الإطباق عملاً واحداً. أمّا التّريق فهو

(1) - ينظر: النّشر في القراءات العشر - ابن الجري - 87/2.

(2) - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

الأصل، ألا ترى أنه لا يجوز تفخيم كل لام ولا يجوز ترقيق كل لام فالأعم هو الأصل، والتفخيم في اللام داخل فيها، والترقيق جرى عليه كل القراء (1). وعلى هذه الحال لوضعية اللسان النطقية أثناء التفخيم والترقيق نصّف هذا الاستثناء ضمن الاستثناءات الصوتية.

5- الاستثناءات من باب الإدغام الصغير:

الإدغام الصغير كما سبق وأن رأينا يندرج ضمن علم التجويد، ويقابله الإدغام الكبير الذي يندرج في علم القراءات، وبما أن كل من علم التجويد وعلم القراءة ميدانه قراءة القرآن الكريم فهما يلتقيان في النقطة نفسها. تاء التأنيث: تدغم تاء التأنيث في السين والجيم والزاي عن الداجوني، فروى الجمهور عنه إظهارها، كما استثناه جماعة ممن روى الإدغام عن الحلواني وأضاف بعضهم إليها من قوله تعالى: ﴿كَلِمًا نَّضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ (2)؛ كما انفرد صاحب كتاب التجريد أيضا باستثناء إدغام الجيم مع الصاد حيث أظهرها وذلك من قراءته على الفارسي (3).

5-1 تعليل من أدغم التاء في السين:

إن حرف السين فيه صفير يعطيه قوّة، وهو مؤاخي لحرف التاء في المخرج من الفم، وكذلك يؤاخيه في الهمس ويؤاخيه في إدغام لام التعريف فيهما، كل من حرف التاء حرف فيه شدة فتقوم الشدة في القوّة مقام الصفير الذي في السين، واستخلاصا لهذه المعطيات المشتركة بين حرف التاء وحرف

(1)- ينظر: الكشف في القراءات السبع: القيسي- 219/1.

(2)- سورة النساء- الآية: 56.

(3)- ينظر: النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- 8/1.

السّين كانت التّيجة التّساوي بينهما، وعليه حسن الإدغام لسبب أنّه لا ينقل الأوّل إلى الضّعف بل ينقله إلى مثل حاله من القوّة والضعف، على أنّ الصّفير أقوى من الشدّة، فحسن الإدغام بين القوّة والضعف. أمّا من استثنى بالإظهار؛ بمعنى أظهر التّاء ولم يدغمها في السّين لأنّهما منفصلان ولأنّ الأصل هو الإظهار وهو حسن عند القراء، حيث قرأ الحرمان وعاصم بن عامر بإظهارهما⁽¹⁾.

وبما أنّ القول في هذا الباب عن الإدغام والإظهار بين أصوات تتقابل في القوّة أو الضّعف كما تتقابل في صفة الهمس والجره وفق المخرج الصوتي المشترك وهو الفم، يصنّف هذا الاستثناء في صنف المستثنيات الصوتية.

(1) - ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع - القيسي - 151/1.

خاتمة

خاتمة

من أبرز ما استخلصته من هذا البحث:

أولاً: إنَّ لعلم التجويد اهتماماً خاصاً بالجوانب النطقية التي تمثّلت في:

* الأصوات (عدّتها وأنواعها).

* أعضاء النطق.

* مخارج الأصوات.

* ألقاب الأصوات ونسبتها إلى مخارجها.

* صفات الأصوات (الصفات المتضادة، الصفات المفردة، القوّة والضعف في الصفات).

* العلاقة الكميّة بين أصوات المدّ والحركات.

* مكان الحركات من الأصوات.

* دلالة الأصوات.

- الجوانب التشكيلية؛ تمثّلت في التغيّرات الصوتية في الصّوامت والصّوائت.

* الصّوامت: (الإدغام، الإبدال، الهمز، النون والميم الساكنتين والتنوين، ياءات الإضافة، الإمالة، الروم، الإشمام).

* الصّوائت: (حذف الصّوائت القصيرة، حذف الصّوائت القصيرة...).

- مصادره: القرآن الكريم وقراءاته.

ثانياً: الاستثناء:

- هو أسلوب من أساليب التعبير في اللّغة العربية يقوم على أدوات التي ترد لمعان مختلفة بحسب السّياق الذي هي فيه، وتحديد معناها يساعد على التفسير والبيان.

خاتمة

- اهتمام علماء الفقه لظاهرة الاستثناء لكثرة وروده في الآيات القرآنية
الكريمة.

ثالثا: علاقة علم التجويد بالقراءات القرآنية:

- يتّصل علم التجويد بمقلين من حقول المعرفة العربية، الحقل الأول تمثّل
في علوم اللّغة، أمّا الحقل الثاني فتمثّل في علوم القرآن.
- قواعد علم التجويد ذات صفة لغوية ومجال تطبيقها الآيات القرآنية.
رابعا: التعليل:

- اختلف التعليل باختلاف المستويات اللّغوية لكلّ استثناء.
- التعليل الصوتي: جاء مختلفا لأنّه مادّي يحيل على الحسّ فكان قوامه
أثناء الحديث عن الاستخفاف والاستثقال خاصة مع صوت الهمزة.
- التعليل النحوي (إعراب المفردات والجمل): وجد خلاف بين
النحويين أنفسهم (البصريين والكوفيين)، وبين النحاة وعلماء الفقه.
- التعليل الصرفي: يقوم على تمييز العناصر اللفظية في العبارة لتحديد
صغتها وخصائصها ووظائفها البنيوية، وتفسير ما فيها من تبدّل في اللفظ
والصيغة والدلالة والوظيفة مع بيان ما تحتمله من تغيير صوتي في موقعها الخاص
من التركيب، وكان ذلك بتحديد بنى المفردات وأنواعها وصفاتها، وما يطرأ
عليها من تغييرات ذاتية وموقعية وما يتوارد عليها من معان صرفية في سياق
العبارة.

خامسا: المصطلحات: امتزجت مصطلحات القراء بشيء من مصطلحات
النحويين (الترتيل، التجويد، الحدر السكت، اللّحن الخفي واللّحن الجليّ،

خاتمة

الإدغام)، وبين مصطلحات النحو ومصطلحات الفقه مثل: مصطلح الشرط، الصفات، الأحوال، الإثبات، النفي...

وتوصّلت إلى أنّ البحث في الاستثناء كأسلوب لغوي ضمن مدوّنة نصيّة قرآنية مضبوطة بأحكام قواعد علم التجويد مفتوح الآفاق في البحث والتنقيب عن ما يمكن أن يساهم في جمال العربية وحسن الأداء فيها، كما توصّلت إلى أنّ قراءة القرآن مجوداً يعدّ مصدراً مهمّاً في استنباط الأحكام اللّغوية عامّة وفي الاستشهاد على المسائل الصوتية خاصّة.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد

قائمة
المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

أ

- 1- أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد- دار عمار- الأردن- ط1- 2002م.
- 2- الإتيقان في علوم القرآن- السيوطي (جلال الدين)- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار التراث- القاهرة- ط3- 1405هـ.
- 3- الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير: غانم قدوري- دار عمار- الأردن- ط1- 2007.
- 4- أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين الملقب بابن سينا- تحقيق محمد حسان الطيار ويحيى مير عالم- راجعه شاعر الفحام وأحمد راتب النفاخ- مجمع اللغة العربية- دمشق- ط1- 1983م.
- 5- الاستغناء في الاستثناء: القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان): تحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- 6- الاستغناء في الفرق والاستثناء: البكري (محمد بن أبي سليمان)- تحقيق مسعود بن سعد بن مساعد الثبيتي- جامعة أمّ القرى- مكة المكرمة- 1988.
- 7- أسرار العربية: الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد)- تحقيق محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار- دار البشائر- دمشق- ط2- 2004م.

- 8- أصول الفقه- الشيخ محمد الخضري- تحقيق خيرى سعيد- المكتبة التوفيقية القاهرة- مصر.
- 9- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية- مصر- ط1- 1975.
- 10- إضاءات في علم التجويد: أيمن رشدي سويد- جمع وتقديم سمر العشا- دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق.
- 11- الأعلام: الزركلي- بيروت- ط3- 1969.
- 12- إعراب القراءات الشواذ: أبو البقاء العكبري- تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز- عالم الكتب- بيروت- ط1- 1996.
- 13- الاقتراح: السيوطي- طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بمحدر أباد الدكن- العراق- 1359هـ.
- 14- الإقناع في القراءات السبع: ابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري)- حققه جمال الدين شرف- دار الصحابة للتراث- مصر.
- 15- الإمامة في القراءات القرآنية واللهجات العربية- عبد الفتاح إسماعيل شلي- مطبعة نهضة مصر- القاهرة- ط1- 1957م.
- 16- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ابن الأنباري- المكتبة العصرية بيروت- لبنان.
- 17- الإيضاح في القراءات العشر: أحمد بن أبي عمر الأندرابي- تحقيق عدنان غني- العراق- 2002.
- 18- الإيضاح في شرح المفصل: ابن الحاجب يونس الدوني: تحقيق إبراهيم محمد عبد الله- دمشق- سوريا- ط1- 2005م.

ب

19- البحر المحيط: الزركشي - تحقيق لجنة من علماء الأزهر - دار الكتبي - القاهرة - ط3 - 2005م.

20- البرهان في علوم القرآن - الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي - القاهرة - 1972م.

ت

21- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (اسماعيل بن حماد) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط1 - 1956م.

22- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر الطوسي - تحقيق أحمد حبيب العاملي - المطبعة العلمية النجف - بغداد - 1967.

23- التحديد في الإتيان والتجويد: ابن الجزري - تحقيق غانم قدوري الحمد - دار عمار - الأردن - ط2 - 1420هـ - 1999م.

24- التحديد في الإتيان والتسديد في صنعة التجويد: الداني: تحقيق أحمد عبد التواب الفيومي - مكتبة وهبة - مصر - ط1 - 1993.

25- التذكرة في القراءات: ابن غلبون - تحقيق: عبد الفتاح البحيري إبراهيم - مكتبة الزهراء للإعلام العربي - مصر.

26- ترتيب العلوم: المرعشي (محمد بن أبي بكر) - تحقيق نجلاء قاسم عباس - مركز إحياء التراث العلمي العربي - بغداد - 1984م.

27- التبرغيب والترهيب من الحديث الشريف المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي) - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - بيروت - ط2 - 1973.

28- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط3 - 1997م.

- 29- التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري- تحقيق علي حسين البواب- دار المعارف الرياض- السعودية.
- 30- التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري- حققه د.غانم قدوري- الرسالة بيروت- لبنان- ط1- 2001م.
- 31- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: السعيدى (علي بن جعفر)- تحقيق: د.غانم قدوري- الجمع العلمي العراقي- دار عمار- الأردن- 2000.
- 32- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة: علي محمد فاخر- مكتبة وهبة- مصر- ط1- 1999.

ج

- 33- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي- دار الكاتب العربي- القاهرة.
- 34- الجامع الصحيح: البخاري (محمد بن إسماعيل)- طبع محمد علي صبيح- القاهرة.
- 35- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني- دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق- سورية.
- 36- جمهرة اللغة: ابن دريد- دار صادر- بيروت.
- 37- جهد المقل: المرعشي- تحقيق سالم قدوري الحمد- دار عمار- الأردن- 1422هـ- 2001م.

ح

- 38- الحجّة للقراء السبعة: أبو عليّ الفارسي- تحقيق بدر الدين قهوجي- دار المأمون للتراث- دمشق- ط2- 1993م.

(39)- حجّة القراءات: ابن الزنجلة (أبو زرعة)- تحقيق: سعيد الأفغاني- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط5- 2001م.

(40)- حجّة القراءات: ابن زنجلة (أبو زرعة)- مؤسسة الرسالة- دمشق.

خ

(41)- الخصائص: بن جنيّ (أبو الفتح عثمان)- تحقيق محمد علي النجار- دار الكتب المصرية- القاهرة.

د

(42)- الدّراسات الصوتية عند علماء التجويد: غانم قدوري الحمد- مطبعة الخلود- بغداد- 1986.

(43)- دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر- مكتبة عالم الكتب- القاهرة- ط1- 1976م.

(44)- دروس في علم أصوات اللّغة العربية: جان كنتينو- ترجمة صالح القرمادي- الجامعة التونسية- تونس- 1966م.

(45)- دقائق التصريف- أبو القاسم بن محمّد بن سعيد المؤدّب- تحقيق د. حاتم صلاح الضّامن- دار البشائر- سوريا- ط1- 2004م.

(46)- دليل الحيران في مورد الضمّان في فنّ الرّسم والضبط: محمد ابن إبراهيم الشريشي- تحقيق عبد السلام محمد البكّاري- دار الحديث- القاهرة- 2005م.

ر

(47)- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: القيسي (مكي بن أبي طالب)- تحقيق أحمد حسن فرحات- توزيع دار الكتب العربية دمشق- سوريا- 1973.

س

- (48)- سر صناعة الإعراب: ابن جنّي (أبو الفتح عثمان) - تحقيق حسن
هنداوي - دار القلم - دمشق - ط2 - 1993م.
(49)- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي: ابن القاصح - مطبعة
مصطفى حلي - سوريا - 1929م.

ش

- (50)- شرح ابن عقيل - تحقيق حنا الفاخوري - دار الجليل - بيروت.
(51)- شرح الشافية: الساترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن) - تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت.
(52)- شرح الكافية: الرضي الأسترابادي - دار الكتب العلمية - بيروت.
(53)- شرح المفصل: ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي) - عالم الكتب -
بيروت.
(54)- شرح الهداية: أبو العباس المهدوي - تحقيق د. حازم سعيد حيدر -
مكتبة الرشد - الرياض - ط1 - 1995.
(55)- شرح تصريف المازني: ابن جنّي - تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله
أمين - القاهرة - مصر - ط1 - 1954م.

ص

- (56)- الصوتيات العربية: منصور بن محمد الغامدي - مكتبة التوبة - الرياض -
ط1 - 2001م.
(57)- الطبقات الكبرى - بن سعد - دار صادر - بيروت - 1957.

ظ

- 58- الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (أحد القراء السبع): رسول صالح عليّ أحمد الحلبوسي - دار الإيمان - الإسكندرية - مصر.

ع

- 59- العقد الفريد: ابن عبد ربه - حققه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الانباري - دار الكتاب العربي - بيروت - ط3 - 1965م.
- 60- علم الأصوات في كتب معاني القرآن: ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي - دار أسامة عمان - الأردن.
- 61- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة: غانم قدوري الحمد - دار عمار - الأردن - ط1 - 2005م.
- 62- علم اللغة العام للأصوات: د. كمال بشر - دار المعارف - مصر - ط2 - 1971م.
- 63- علم اللغة: محمود السّعران - دار المعارف - مصر - 1962م.
- 64- علم اللغة: محمود السّعران - منشورات جامعة حلب - 1994.

غ

- 65- غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري - تحقيق براجستراسر - مكتبة الخانجي - مصر - 1933م.

ف

- 66- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي العسقلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

- (68)- الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأمانى - محمد البيومي
(الشهير بأبى عياشة الشافعى الدمنهورى) - تحقيق عبد العزيز بن ناصر
السير - مكتبة الملك فهد الوطنية - السعودية - ط1 - 1417هـ - 1997م.
(69)- فى اللّهجات العربىة - إبراهيم أنىس - مكتبة الأنجلو المصرىة - مصر -
ط3 - 1965م.

ق

- (70)- القراءات القرآنىة نشأتها أقسامها حقیقتها - د. خىر الدىن سىب - دار
الخلدونىة للنشر والتوزىع - الجزائر - 2005م.
(71)- القراءات القرآنىة فى ضوء علم اللّغة الحدیث: عبد الصّبور شاهىن - دار
القلم - القاهرة - 1966م.
(72)- القراءات المتواترة وأثرها فى الرسم القرآنى والأحكام الشرعىة: محمّد
الحبش - دار الفکر - دمشق - ط1 - 1999م.
(73)- القاموس المحیط: الفىروز أبادى (مجد الدىن) - دار إحىاء التراث العربى -
بىروت - ط1 - 1417هـ.
(74)- القواعد المقرّرة والفوائد المحرّرة: البقرى (محمّد بن قاسم إسماعىل) -
تحقیق محمد بن إبراهيم بن فاضل المشهدانى - الرىاض - ط1 - 2005م.
(75)- القول السّدید فى علم التجوىد بروایة حفص عن عاصم: علىّ الله بن
علىّ أبو الوفا - دار ابن حزم - بىروت - ط1 - 2003م.

ك

- (76)- الكتاب: سىبویه - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرىة العامة
للكتاب - القاهرة - 1975.
(77)- الكتاب: سىبویه - تحقيق عبد السلام هارون - عالم الكتب - بىروت.

78- الكشف عن وجود القراءات السبع وعللها وحججها: مكّي بن أبي طالب القيسي - تحقيق محي الدين رمضان - صدر عن مجمع اللغة العربية - دمشق - 1974م.

ل

79- لسان العرب: ابن منظور (محمد بن مكرم) - دار صادر - بيروت - ط1 - 1992م

80- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان - الهيئة المصرية للكتاب - ط2 - 1979.

81- اللهجات العربية في التراث: أحمد علم الدين الجندي - دار العربية للكتاب ليبيا - تونس - 1398هـ - 1978م.

م

82- ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي - عبد القادر الهيبي - دار الكتب الوطنية بن غازي - تونس - ط1 - 1996.

83- مبادئ اللسانيات العامة: أندريه مارتينييه - ترجمة أحمد حمو - وزارة التعليم العالي - دمشق - 1984.

84- مباحث في علم اللغة واللسانيات: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - 2002.

85- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: بن جني (أبو الفتح عثمان) - تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط1 - 1988م.

86- المحكم في نقط المصحف - الداني - تحقيق الدكتورة عزة حسن - وزارة الثقافة والإرشاد دمشق - سوريا - 1960م.

- 87- المختصر الجامع شرح الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع - الحاج سليمان بن أعمر ميلودي - تحقيق المختار بن العربي - دار بن حزم - بيروت - ط 1 - 2004م.
- 88- مدخل إلى الألسنية: يوسف غازي - منشورات العالم العربي - الجامعة - دمشق - ط 1 - 1985.
- 89- المدخل إلى علم اللغة: رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 1 - 1982م.
- 90- مسائل محلولة في التراكات والمواريث: د. أحمد دكار - دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران - الجزائر - ط 1 - 2007.
- 91- المصاحف: أبو داود (عبد الله بن سليمان) - تحقيق آرثر جيفري - المطبعة الرحمانية - مصر - 1936م.
- 92- معاني القرآن: الأخفش (أبو الحسن) - تحقيق فائز فارس - الكويت - ط 2 - 1981م.
- 93- معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق المخزومي والسامرائي - دار الرشيد - بغداد - 1980.
- 94- معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق: عبد الله درويش - مطبعة البعاني - بغداد - 1967.
- 95- المعجم الكبير: الطبراني - تحقيق أحمد عبد المجيد السلفي الزهراء - بغداد - ط 1 - 1984م.
- 96- المغني اللبيب عن كتب الأعراب: بن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الطلائع - مصر.

- 97- المفيد في أحكام التجويد: د. سعاد عبد الحكيم - دار البصيرة - مصر - ط1 - 2006م.
- 98- المقتضب: المبرّد (محمد بن يزيد) - تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة - القاهرة.
- 99- معاني القرآن: الفراء - تحقيق محمد علي النجار وإسماعيل شلبي - دار المعارف - القاهرة - 1972م.
- 100- مفاتيح اللغة العربية: بوعلام بن حمودة - ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون - الجزائر - 1991م.
- 101- مقاييس اللغة: ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي) - تحقيق عبد السلام هارون - دار الجليل - بيروت - ط1 - 1411هـ - 1991م.
- 102- مناهج البحث في اللغة: تمام حسّان - دار الثقافة - مصر - 1979م.
- 103- الموضّح في التجويد - القرطبي (عبد الوهاب بن محمد) - تحقيق غانم قدوري الحمد - دار عمار - الأردن - 2000م.
- 104- الموضّح في وجوه القراءات وعللها: ابن أبي مريم - تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي - جدّة - ط1 - 1993.
- 105- الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة (دراسة لسانية في المدونة والتراكيب): عبد الجليل مرتاض - دار الغرب للنشر والتوزيع.

ن

- 106- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري- قدّم له وعلّق عليه جمال الدّين محمد شرف- دار الصحابة للتراث- مصر- ط1.
- 107- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمّد مكّي نصر الجريسي- تحقيق عبد الرّؤوف سعد- مكتبة الصفا- القاهرة- ط1- 1999م.

و

- 108- الوجيز في فقه اللّغة: محمد الأنطاكي- دار الشرق- بيروت- ط2.
- 109- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: عبد الفتاح القاضي- مكتبة عبد الرحمن محمّد- القاهرة- مصر.
- 110- الوقف في العربية في ضوء اللّسانيات: عبد البديع النيرباني- دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق- ط1- 2008.



فهرس المحتويات

أ.....

الباب الأول: علم التجويد أسسه ومطادره

الفصل الأول

نشأة علم التجويد

- 1- كتابة القرآن ورسمه: 3
- 1-1 مراحل كتابة القرآن وجمعه: 3
- 2-1 الرسم العثماني وعلاقته بكتابة القرآن الكريم: 8
- 3-1 خطّ المصاحف العثمانية: 9
- 2- البدايات الأولى لعلم التجويد: 14
- 1-2 مصطلح علم التجويد: 17
- 2-2 أبو مزاحم الخاقاني وقصيدته في علم التجويد: 20
- 3- علم القراءات: 22
- 1-3 الوحي المصدر الأوّل للقراءات القرآنية: 24
- 2-3 الأصل اللّغوي والشرعي للقراءات: 25
- 3-3 علاقة القراءة بالأحرف السبعة: 27
- 4- تأثير القصيدة الخاقانية في التأليف في علم التجويد: 32
- 1-4 التأليف في علم التجويد في زمن أبي مزاحم: 32
- 2-4 التأليف في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية: 38

الفصل الثاني

مخارج الأصوات اللّغوية صفاتها وموقعها في علم التجويد

- 1- مخارج الأصوات وموقعها في علم التجويد: 43

- 1-1 العملية الفيزيائية لإحداث الصوت من الرئتين: 43.....
- 2-1 الكيفية الفيزيائية في عملية إنتاج الصوتي اللغوي: 49.....
- 3-1 دراسة مخارج الأصوات: 51.....
- 4-1 تحديد مخارج الأصوات اللغوية العربية في علم التجويد: 61.....
- 2- الصفات وموقعها في علم التجويد: 64.....
- 1-2 مقياس الصفة عند القدامى: 64.....
- 2-2 مقياس الصفة عند المحدثين: 64.....
- 3-2 اختلاف العلماء في عدد الصفات: 66.....
- 4-2 القوة والضعف في الصفات: 92.....
- 3- وصف الأصوات العربية الجامدة على حسب الجهاز النطقي: 93.....
- 1-3 أصوات الحلق: 93.....
- 2-3 أصوات أقصى اللسان: 94.....
- 3-3 أصوات وسط اللسان: 94.....
- 4-3 أصوات طرف اللسان: 95.....
- 5-3 الأصوات الشفوية: 97.....
- 4- دراسة صوتية عامة للأصوات الذائبة: 97.....
- 1-4 تعريف الأصوات الذائبة: 97.....
- 2-4 قياس المد: 98.....
- 3-4 كيفية إحداث الأصوات الذائبة: 99.....
- 5- صوت الضاد بين النظرية والتطبيق في علم التجويد: 101.....
- 1-5 مخرج الضاد عند سيويه: 101.....

101 2-5 الصفات:
104 2-5 علاقة صوت الضاد بغيره من الأصوات:
الفصل الثالث	
القواعد الكلية لعلم التجويد	
112 1- قواعد النون الساكنة والتنوين في علم التجويد:
112 1-1 تعريف النون الساكنة والتنوين:
113 2-1 أحكام النون الساكنة والتنوين:
134 2- قواعد الميم الساكنة في علم التجويد:
134 1-2 تعريف الميم الساكنة:
134 2-2 أحكام الميم الساكنة:
139 3- قواعد الإدغام في علم التجويد:
139 1-3 تعريف الإدغام بين القدامى والمحدثين:
143 2-3 الإدغام ظاهرة صوتية ناتجة عن التأثير للأصوات المتجاورة:
147 3-3 التحليل النطقي لعملية إنتاج الصوت المدغم:
151 4-3 أقسام الإدغام في علم التجويد:
173 4- قواعد الإمالة والفتح في علم التجويد:
173 1-4 معنى الفتح والإمالة في اللغة والاصطلاح:
176 2-4 درجات الفتح والإمالة وأنواعها:
177 3-4 مقاصد النحاة والقراء من البحث في الإمالة:
178 4-4 التحديد الجغرافي لشيوع الإمالة والفتح:
180 5-4 مفهوم الفتح والإمالة عند علماء الأصوات اللغوية:

- 183 6-4 نظرة علماء التجويد للإمالة:
- 194 5- قواعد المدّ والقصر في علم التجويد:
- 195 1-5 العدد الإجمالي للأصوات الذائبة والجامدة:
- 196 2-5 تعريف القصر والمدّ لغة واصطلاحاً:
- 197 3-5 الأمد والكيفية للأصوات الذائبة في العربية:
- 198 4-5 التحليل الكميّ للأصوات الذائبة عند أهل التجويد:
- 199 5-5 الظواهر النطقية المتولّدة عن الأصوات الذائبة بمجاورة غيرها في التركيب:
- 211 6- أحكام الهمز في علم التجويد:
- 211 1-6 دراسة الهمز مفرداً على مستوى التحليل:
- 213 2-6 ظاهرة الهمز في كلام العرب:
- 215 3-6 دراسة الهمز على مستوى التركيبي الفونولوجي (الصوتي):
- 232 7- قواعد الياءات في القرآن الكريم:
- 233 1-7 الفرق بين ياءات الإضافة وياءات الزوائد:
- 233 2-7 "الاختلاف في أصل الياءات:
- 233 3-7 التحليل الصوتي لصوت الياء:
- 234 4-7 عدد الأوجه التي تأتي عليها ياءات الإضافة في القرآن:
- 235 5-7 ياءات الزوائد في القرآن:
- 237 8- تقنيات التجويد:
- 237 1-8 البسمة:
- 239 2-8 قواعد الوقف والابتداء في علم التجويد:

252 3-8 علاقة النبر والتنغيم بالوقف:

الباب الثاني : علل المستثنيات في علم التجويد

الفصل الأول

الاستثناء في قواعد اللغة العربية

257 1- تعريف الاستثناء لغة واصطلاحاً:

257 1-1 لغة:

258 2-1 في تحقيق اشتقاقه:

258 3-1 اصطلاحاً:

259 2- الاستثناء في النحو:

260 1-2 حدود المستثنى:

260 2-2 العامل في المستثنى:

264 3-2 إعراب المستثنى:

268 4-2 أدوات الاستثناء وإعرابها:

274 5-2 موقع الفعل موقع المستثنى:

275 6-2 حذف المستثنى:

276 3- الاستثناء في اللهجات العربية الفصيحة:

الفصل الثاني

الاستثناء في الأحكام الشرعية

281 1- تعريف الاستثناء عند علماء الفقه:

281 1-1 حدّي الاستثناء المتصل والمنقطع بين النحاة والفقهاء:

283 2-1 الاستثناء المنقطع عند الفقهاء:

- 287 2- شروط صحّة الاستثناء عند الفقهاء: 287
- 287 1-2 الشرط الأوّل الاتّصال: 287
- 288 2-2 الشرط الثاني عدم الاستغراق: 288
- 293 2-3 الشرط الثالث أن يقترن قصده بأوّل الكلام: 293
- 293 2-4 الشرط الرابع أن يلي الكلام بلا عاطف: 293
- 294 3- مذاهب علماء الفقه في تقدير دلالة الاستثناء: 294
- 294 1-3 الاستثناء هو إخراج قبل الحكم: 294
- 295 2-3 الاستثناء من غير إخراج: 295
- 295 3-3 الاستثناء بالإخراج وتقدير ما بعده: 295
- 298 4- الاستثناء في المعاملات: 298
- 298 1-4 في الاستثناء من الأحوال (الإرث): 298
- 303 2-4 الاستثناء من الحالات (الحدود): 303

الفصل الثالث:

حقائق المستثنيات اللّغوية في علم التجويد

- 307 1- المستثنيات من صوت الهمزة: 307
- 308 1-1 مذاهب القراء في صوت الهمزة: 308
- 309 2-1 التّصنيف اللّغوي لهذه الأنواع من المستثنيات: 309
- 311 2- المستثنيات من الإمالة: 311
- 311 1-2 مفهوم الإمالة: 311
- 312 2-2 التّصنيف اللّغوي للمستثنيات في الإمالة: 312
- 315 3- المستثنيات الواردة في المدّ والقصر (الصّوائت): 315